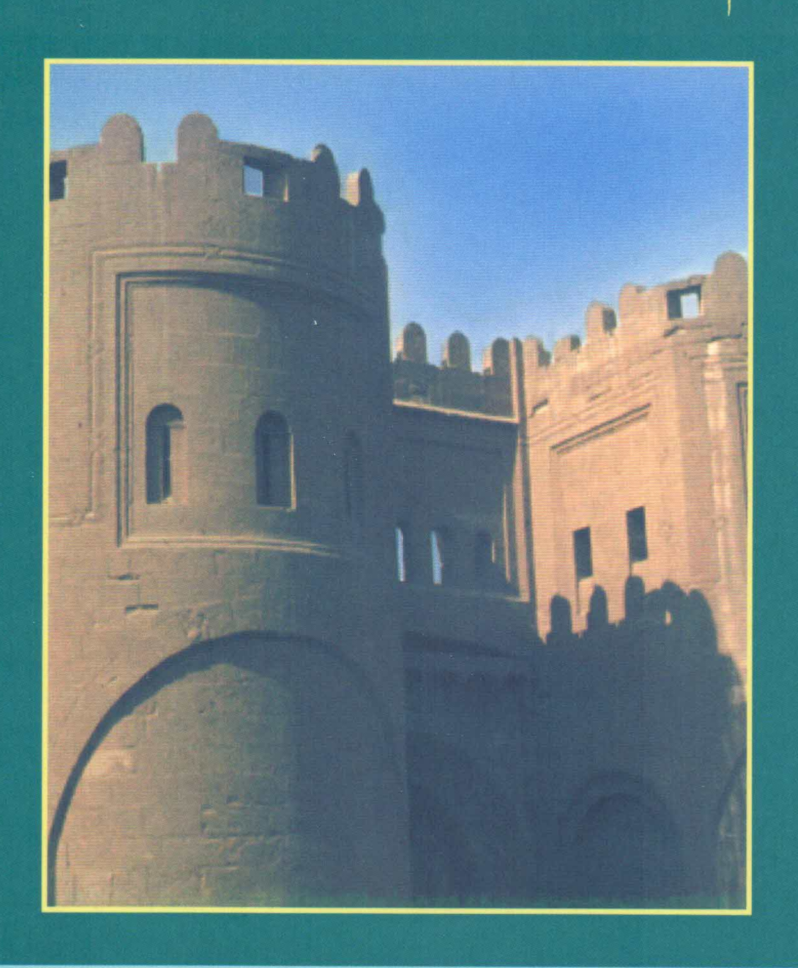
مذكرات رسالة

العالِم ورَجل الدولة والشاعِر المؤيّد في الدِّين الشِّيرازي



ڤيرينا كليم

مذكرات رسالة

العلاّمة الإسماعيلي رجل الدولة

والشاعر المؤيّد في الدّين الشيرازي

فيرينا كليم

مذكرات رسالة

العلاّمة الإسماعيلي رجل الدولة والشاعر المؤيَّد في الدّين الشيرازي

ترجمة

شارل شهوان

دار الساقي
بالاشتراك مع
معهد الدراسات الإسماعيلية

Verena Klemm, *Memoirs of a Mission*,
Published by I.B. Tauris & Co. Ltd, 2003
in association with
The Institute of Ismaili Studies

الطبعة العربية
دار الساقي
بالاشتراك مع
معهد الدراسات الإسماعيلية

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

ISBN 1 85516 422 1

دار الساقي
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ـ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢(٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦(٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

The Institute of Ismaili Studies
42-44 Grosvenor Gardens, London SW1W 0EB

إلى هاينز هالم

المحتويات

معهد الدراسات الإسماعيلية

تأسس معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن عام ١٩٧٧ بهدف تطوير وتيرة الدراسات والمعارف الإسلامية في السياقين التاريخي والمعاصر، ودفعها إلى الأمام من جهة، ولتحقيق فهم أفضل لعلاقتها بالديانات والمجتمعات الأخرى من جهة ثانية.

تشجع برامج المعهد منظورات لا تقتصر على التراث الديني واللاهوتي للإسلام فحسب، بل تسعى إلى استكشاف علاقة الأفكار الدينية بأبعاد أوسع للمجتمع والثقافة. وهكذا، فإن هذه البرامج تشجع مقاربة (منهجاً) إلى مادتي التاريخ والفكر الإسلاميين ذاتي النظام المتشابك. ويكرّس المعهد اهتماماً خاصاً أيضاً بمسائل الحداثة الناشئة عن كون المسلمين يسعون إلى ربط تراثهم بالوضعية المعاصرة.

كما تسعى برامج المعهد إلى تطوير البحث، داخل التقليد الإسلامي، في تلك المجالات التي لم تلقَ من العلماء، حتى تاريخه، سوى اهتمام قليل نسبياً. وتشمل هذه المجالات التعبيرين الفكري والأدبي للشيعة عموماً، وللإسماعيلية على نحو خاص.

وتتزود برامج المعهد بمعارف ضمن سياق المجتمعات الإسلامية تأتيها من نطاق كامل ومتنوع للثقافات التي يُمارَس فيها الإسلام اليوم؛ من الشرق

الأوسط، ومن جنوب آسيا ووسطها، ومن أفريقيا مروراً بالمجتمعات الصناعية للغرب، آخذة في الاعتبار تنوع السياقات التي تشكل مُثُل الدين ومعتقداته وممارساته.

ويجري تحقيق هذه الأهداف من خلال برامج ونشاطات ملموسة تقوم بتنظيمها وتطبيقها أقسام المعهد المتنوعة. كما يتعاون المعهد بشكل دوري، وعلى أساس برنامج محدد، مع معاهد علمية أخرى في المملكة المتحدة وفي الخارج.

وُتصنَّف منشورات المعهد الأكاديمية ضمن عدة طبقات متميزة ومترابطة:

أ - أبحاث عرضية أو مقالات تتناول موضوعات عريضة من العلاقات بين الدين والمجتمع، وبشكل خاص تلك التي لها علاقة بالإسلام؛

ب - رسائل قصيرة تستكشف جوانب محددة من الدين الإسلامي وثقافته، أو مساهمات شخصيات فردية أو كتّاباً مسلمين؛

ج - تحقيق أو ترجمة نصوص ثانوية أو أوليّة هامة؛

د - ترجمة نصوص شعرية أو أدبية تصور الموروث الغني للتعابير الدينية والروحانية والرمزية في التاريخ الإسلامي؛

هـ - كُتُب تتناول التاريخ والفكر الإسماعيليّين، وعلاقة الإسماعيليين بالتقاليد والجماعات والمدارس الفكرية الأخرى في الإسلام؛

و - وقائع مؤتمرات وندوات يرعاها المعهد.

ز - كتب بيبلوغرافيا وفهارس توثّق المخطوطات والنصوص المطبوعة وغيرها من مصادر المعرفة.

ويقع الكتاب الحالي ضمن الفئة الخامسة (هـ) من التصنيف المذكور أعلاه.

وغرض المعهد الوحيد من تسهيل هذه المنشورات وغيرها، هو تشجيع

البحث والتحليل الأصلي للمسائل ذات الصلة. وفي حين يجري بذل كل جهد ممكن من أجل ضمان كون المنشورات من مستوى أكاديمي راقٍ، فإن هناك تصميماً كي تكون ذات وجهات نظر وأفكار وتفسيرات مختلفة. ويجب في هذه الحالة، فهم الآراء المُعبَّر عنها في هذه المطبوعات باعتبارها تعود إلى مؤلفيها وحدهم.

سلسلة التراث الإسماعيلي

شهدت الطائفة الإسماعيليّة، وهي طائفة إسلامية شيعية، تاريخاً طويلاً حافلاً بالأحداث. وساعد انتشار أبناء الطائفة في شتى أنحاء العالم، آسيا، أفريقيا والآن في أوروبا وأميركا الشمالية، على أن تتشكل لدى هذه الجاليات تقاليد أدبية ومعرفية مدوّنة بلغاتٍ مختلفة. وفي مناسبتين تاريخيتين، الأولى إبّان الخلافة الفاطمية؛ والثانية لدى قيام الدولة النزارية في إيران وسوريا خلال حقبة قلعة آلموت، تمكّن الإسماعيليون من تأسيس دولتهم. وفيما كان قادة تلك الدول يسعون لتحقيق أهداف دينيّة وسياسيّة، أخذوا يشجّعون الحركات الثقافيّة، العلميّة، الفنيّة والتجاريّة.

إلى يومنا هذا، بقيت الدراسات التي تتناول الإسماعيليين حكراً على أعدائهم الذين يستعينون بأخبار ملفّقة بما في ذلك الحملة الضخمة التي شنّها الباحثون في الهرطقات والجدليون في العصور الوسطى الذين تميّزوا بالعداء للشيعة بشكل عام وللإسماعيليين بشكل خاص.

نعت هؤلاء العلماء التفسير الشيعي للإسلام بالتفسير المضلّل وحتى بالهرطقة؛ ونتيجة ذلك نمت تدريجاً أسطورة سوداء وتطوّرت لكي تقلل من شأن الإسماعيليين وتفسيرهم للإسلام. ومن جهة أخرى، روّج الصليبيون المسيحيون والمؤرخون الغربيون الذين يجهلون تماماً معاني الإسلام والانقسامات الداخلية فيه، أسطورتهم الخاصة عن الإسماعيليين، مما جعل الأوروبيين يقبلون بهذه الأساطير على أساس أنها الحقيقة الدامغة حول التعاليم والطقوس الإسماعيلية.

في العصر الحديث قام المستشرقون بدراسة الإسماعيلية انطلاقاً من هذه المصادر المعادية والخرافات القروسطية، وتواصلت بالتالي الأساطير والفهم الخاطىء للطائفة الإسماعيلية حتى في القرن العشرين.

بيد أنه تمّ في العقود الأخيرة تثوير الدراسات الإسماعيلية من خلال العثور على مصادر إسماعيلية موثوقة ودراستها على نطاق واسع، وهي مخطوطات نجت من عملية التدمير التي لحقت بالمكتبات الفاطمية والنزارية الاسماعيلية. هذه المدوّنات العائدة إلى تراث الإسماعيليين الأدبي موجودة باللغات العربية والإيرانية والهندوكيّة، وقد حفظت بسريّة تامّة في مجموعات خاصة في الهند، آسيا الوسطى، إيران، أفغانستان، سوريا واليمن.

لقد أصبح من الضروري بعد التطوّر الذي حصل في الدراسات الإسماعيلية أن تُعاد كتابة التاريخ الإسماعيلي ومساهماته في الحضارة الإسلامية. وأصبح جلياً الآن أن الإسماعيليين سبق لهم أن أسسوا مكتبات ضخمة وصروح علم ومعرفة كالأزهر ودار العلم في القاهرة، بينما قام بعض الدعاة المثقفين ثقافة رفيعة بتطوير تقاليد فريدة في ميدان العلم والثقافة، تجمع بين عقيدتهم الدينية وبين التعاليم الفلسفية المتنوّعة التي تتناول نظماً ماورائية شائكة. وقد حافظت الإسماعيلية على رعايتها للعلوم وحتى للأفكار المناهضة لتعاليمها وللعلماء من غير الإسماعيليين في أحلك الظروف، خصوصاً في فترة حكم قلعة آلموت، عندما كانت الجماعة تحرص على بقائها ونجاتها في محيطٍ عدائي خطر إلى أبعد حدود.

إن سلسلة التراث الإسماعيلي تُنشر تحت رعاية قسم الأبحاث الأكاديمية والمنشورات في المؤسسة الإسماعيلية للدراسات، وتهدف إلى وضع المعلومات المُكتشفة حديثاً تحت تصرُّف أكبر عدد من القرّاء، وتبيان مدى الثراء الفكري والثقافي الإسماعيلي، بالإضافة إلى إظهار بعض أوجه إنجازاتهم الحديثة وتاريخهم المعاصر.

تمهيد

يعتبر المؤيَّد في الدين الشيرازي أحد الشخصيات الإسماعيلية البارزة وواحداً من أصحاب المواهب الجليَّة في حقل الرسالتين السياسية والدينية عبر الدعوة إبّان الحكم الفاطمي. في ذروة الحكم والنفوذ الفاطميين أي في القرن الخامس الهجري أو الحادي عشر الميلادي، أمضى المؤيَّد معظم سنوات حياته في خدمة الخليفة الإمام المستنصر باللّه (حكم ما بين ٤٢٧ إلى ٤٨٧ هجرية أو ١٠٣٦ إلى ١٠٩٤ ميلادية) وكان الداعية الذي تُناط به مهام متنوعة إدارية، دبلوماسية، عسكرية ودينية. وقد توصَّل إلى أعلى مقام وهو داعية الدعاة في الدعوة الفاطمية.

عمل بدايةً كقائد قطري للدعوة في مسقط رأسه فارس Fārs، جنوب إيران على بعد ١٣٠٠ ميل من القاهرة عاصمة الفاطميين. وكانت فارس آنذاك إمارة مستقلة تقريباً في مملكة الخليفة العباسي في بغداد عدوّ الفاطميين اللدود. وتكشف سيرة المؤيَّد، أنه حاول إقناع البويه حاكم فارس أبا كاليجار بأنه في حال اعتنق القضية الفاطمية سيحصل على منافع سياسية ودينية جمّة. كانت مهمة صعبة وخطرة للغاية يُناط بها داعية إسماعيلي في بيئة عدائية للغاية، وخلال حقبة إصلاح سنيّة. في البداية اعتقد المؤيَّد بأن مهمته نجحت ولكن بعد وقت وجيز خسر صداقة الحاكم وأُجبر على مغادرة مسقط رأسه وعائلته إلى الأبد.

وبعد رحلة خطرة إلى الخوزستان شمال بلاد ما بين النهرين وسوريا وصل المؤيَّد أخيراً إلى البلاط الفاطمي في القاهرة سنة ٤٣٧ هجرية - ١٠٤٥ ميلادية أو ٤٣٨ هجرية - ١٠٤٦ ميلادية، حيث ووفي بالتكريم المستحق والمكافآت من الإمام المستنصر لقاء تعهُّده القيام بمهمة دعوية كانت قد فشلت لأسباب خارجة عن تأثيره ومسؤوليته. أمضى المؤيَّد السنوات الطوال يصارع مدافعاً عن إنجازاته لكي يتمّ الاعتراف به وبأعماله وليحصل على التقدير، غير أن في ذلك الوقت كانت سلطة الإمام السياسية تخضع ولسوء الحظ لضغوط قوية من قبل أهل الحكم المتنافسين.

وبالرغم من بعض الانتكاسات فقد تمكّن اللاجىء الطموح تدريجاً من الصعود في التراتبيَّة الهرمية للدعوة. فعمل بدايةً مديراً لديون الإنشاء الفاطمي، ثم أصبح رئيساً للحملة العسكرية إلى شمال سوريا سنة ٤٤٨ هـ. أي ١٠٥٦ م. حتى ٤٥٠ هـ. أي ١٠٥٨ م. حيث أُمِرَ بإنشاء حلف قطري ضِدَّ الغُزّ التركمان الذين اجتاحوا الأراضي الإسلامية الوسطى بقيادة عشيرة السلاجقة. بعد ذلك عاد المؤيَّد إلى القاهرة حيث نجح في بلوغ هدفه الأسمى حين عُيِّن رئيساً للدعاة أو داعية الدعاة للدعوة الفاطمية. باستثناء فترات قصيرة شغل المؤيَّد منصب داعية الدعاة، وعاش وعمل في دار العلم حتى وفاته سنة ٤٧٠ هـ. أي ١٠٧٨ م.، وبقيامه بترؤس مؤسسة الدعوة المركزية نذر حياته لإدارة شؤون الدعوة وللتعليم وإعداد الدعاة من داخل الإمبراطورية الفاطمية وخارجها وتدوين مؤلفاته اللاهوتية.

من بين طالبي المعرفة الكثر الذين كانوا في عداد تلامذته نذكر الشاعر الفيلسوف ناصر خسرو (توفي بعد ٤٦٥ هـ. أي ١٠٧٢ م.) الذي قام برحلته الشهيرة من بدخشان إلى القاهرة في العقد الثالث من القرن الخامس الهجري. نجد بين مؤلفات ناصر الشعرية قصيدتين يمتدح فيهما المؤيَّد؛ إذ يدعوه حارس الحديقة في المركز الروحي للإمامة. ونجد في هذه الأبيات مديحاً للمؤيَّد باعتباره معلماً وطبيباً للنفس ومؤيِّداً (بكسرة على الشدة)

للدين، لا يماثله أحد في الحكمة والمعرفة، شعره هو رمز الحكمة ونثره هو رمز الفلسفة.[١]

ومن زوّار مجلسه أيضاً نذكر لَمَق بن مالك الحمّادي رئيس قضاة اليمن؛ الذي ترأس بعثةً إلى مصر سنة ٤٥٤ هـ. أي ١٠٦٢ م. أرسلها علي الصُلَيحي مؤسس دولة الصُلَيحيين الموالية في اليمن قبل أقل من ثلاثة عقود. بعد أن حصّل لَمَق تعاليم الدعوة الإسماعيلية مدة خمس سنوات وتلقّنها على يد المؤيَّد عاد إلى اليمن حاملاً كتب ومؤلفات الدعوة الإسماعيلية. في منطقة Musta'li-Ṭayyibī الصغيرة في جبل الحرّاز Al-Ḥarāz لا تزال تعاليم المؤيَّد حيّة حتى الآن. وقد قام لَمَق، بناءً على تعليمات المؤيَّد بإدخال التعاليم الإسماعيلية إلى شبه القارة الهندية حيث استمرت إلى يومنا الحاضر من خلال الطائفة الإسماعيلية في الهند والمدعوة البوهرا، في منطقة غوجارات، بومباي وبعض المدن الأخرى في الهند وباكستان، كما في شرق أفريقيا حيث نجد جالية من هنود البوهرا المهاجرين.

ومن خلال الإسماعيليين الطيِّبين Ṭayyibī لا يزال المؤيَّد يحظى بالاحترام والتبجيل والتكريم كونه المرشد الروحي والقائد.[٢]

بالإضافة إلى منصبه داعية الدعاة ورئيس الدعوة التنفيذي، للمؤيَّد ثمانمئة محاضرة معدة للتلاوة في مجالس الحكمة، وهي محاضرات وخطب

---

(١) إحدى هذه القصائد مترجمة وعلّق عليها أليس. س. هنسبرغر في كتابها:
Nasir Khusraw, The Ruby of Badakhshan: A portrait of the Persian Poet, Traveller and Philosopher, (London, 2000), pp. 62-69, quotation p.67.

ناصر خسرو، **زمردة بدخشان**، قصة شاعر فارسي رحالة وفيلسوف.

(٢) عن الإسماعيلية الطيبية والبهرة، أنظر فرهاد دفتري:
A Short History of the Ismailis: Traditions of a Muslim Community, (Edinburgh, 1998), pp. 185-193.

تاريخ موجز عن الإسماعيليين: **تراث وتقاليد جماعة إسلامية**.

ألقيت على مسامع جماعة المؤمنين أيام الخميس في العاصمة الفاطمية.[٣]

تحتوي هذه الخطب خلاصة فكر المؤيَّد في الدين والفلسفة وهي قمينة بأن تحلل وتدرس. وفي جميع الأحوال يجب أن ننظر إلى أفكاره على أساس أنها نابعة من تعاليم فيلسوف الإسماعيلية الأول وعالم اللاهوت أبي يعقوب السجستاني (توفي بعد ٣٦١ هـ. أي ٩٧١ م.) كما أن أعمال هذا الفيلسوف الأفلاطوني المحدث الذي أُعدم في شرق إيران لم تدرس بشكل وافٍ.[٤] بالإضافة إلى خطب المجالس ألّف المؤيَّد - الذي يظهر في السيرة متملّكاً من الأدب العربي بلاغة وبياناً - أكثر من ستين قصيدة عربية معظمها قصائد مديح لأبي كاليجار والإمام المستنصر وسَلَفه الظاهر لإعزاز دين اللّه.

إن للسيرة أهمية تاريخية كبيرة بين مؤلفات المؤيَّد. وضعت السيرة خلال ثلاثة عقود بين ٤٤٣ هـ. أي ١٠٥١ م. و٤٥٥ هـ. أي ١٠٦٣م.[٥] وهي تشتمل على السنوات ٤٢٩ هـ. إلى ٤٥٠ هـ. أي ١٠٣٨ م. إلى ١٠٥٨ م.

تبدأ السيرة بسيرة ذاتية تتسم بالحيوية والفصاحة وتتضمن تقريراً حول

---

(٣) انظر هاينز هالمز في كتابيه: *The Isma'īlī Oath of Allegiance and Sessions of Wisdom*
القسم الإسماعيلي ومدارس الحكمة.
لدى طبعة فرهاد دفتري المعنونة
Mediaeval Isma'īlī History and Thought, Cambridge, 1996, pp. 91-115.
الفكر الإسماعيلي القروسطي وتاريخه.
وأيضاً ساموئيل ستيرن في كتاب: القاهرة مركز الحركة الإسماعيلية.
Cairo as the Center of the Isma'īlī Movement in Studies in Early Isma'īlīsm, Jerusalem and Leiden, 1983, pp. 234-256.

(٤) بول إي والكر، **أبو يعقوب السجستاني.**
انظر أيضاً ساموئيل ستيرن، **أبو يعقوب السجستاني في:**
Intellectual Missionary, ed London, 1996, EI2, Vol.1, p.160.

(٥) فيرنيا كليم Die Mission des fatimidishen Agenten Al Mu'ayyad fī d-dīn in Šīraz, Frankfurt, 1989, pp. XIII-XX.

رسالة المؤيَّد الدينية السياسية في إيران البويهيين، ثم تشرح اختبارات المؤيَّد الواقعية في البلاط الفاطمي. وفي جزءٍ آخر يتحدث المؤيَّد عن مفاوضاته السياسية مع قائد البدو المحلي وقائد الفرق التركية المتمرّدة في بغداد أبي الحارث البساسيري، وهو يغذي تقريره بشواهد كالرسائل والملفات الموثَّقة.

بالإضافة إلى أن سيرة المؤيَّد تتمتع بمصادر قيّمة وأصلية كتبها شاهد عيان ولاعب مهم شارك في أحداث القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر ميلادي، فهي تُملي الفراغات وتضيء الحقبة التاريخية غير المكتملة، إن من حيث المعلومات أو من حيث الأحداث، كما كتبها المؤرخون الفاطميون، الأيوبيون أو المملوكيون.[٦]

ثم قام في ما بعد إدريس عماد الدين (توفي سنة ٨٧٢ هـ. أي ١٤٦٨م.) وهو الداعية المطلق والمؤرخ والمؤلف غزير النتاج بإكمال ما نَقُصَ من سيرة المؤيَّد وأعماله وإنجازاته. كما نجد في مؤلفات عماد الدين وعلى وجه التحديد في الجزء السابع من مؤلفه الفخم عيون الأخبار،[٧]

---

(٦) من بينها: **الإشارة إلى من نالَ الوزارة** لابن الصيرفي، توفي سنة ٥٤٢ هجرية أي سنة ١١٤٧ ميلادية؟
نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، لابن الطوير، توفي سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م؛
أخبار مصر. لابن ميسّر، توفي سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م؛
الخطط واتعاظ الحنفاء، للمقريزي، توفي سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م.

(٧) الكتاب السابع لإدريس عماد الدين من سلسلة **عيون الأخبار** يلخص سيرة المؤيّد ويضيف معلومات قيّمة حول المرحلة الأخيرة من حياة المؤيّد ومسيرة عمله ونضاله. في الآونة الأخيرة قام أيمن فؤاد سيّد بتحقيق المؤلف الضخم ونشره مع ملخص باللغة الإنكليزية تحت عنوان:
The Fatimids and their Successors in Yaman, (London, 2000).
هذا المصدر القيّم استعملته في وقت سابق بهذات طاهرة قطب الدين في بحثها غير المنشور عن ديوان المؤيّد (أنظر رقم ١٨). ومن أجل معلومات أكثر تفصيلاً انظر في =

مرسوم تعيين المؤيَّد داعية الدعاة. كما يُصار إلى ذكر داعية الدعاة المؤيَّد في رسالتين رسميَّتين بعث بهما المستنصر إلى اليمن.[٨]

في القرن العشرين عاد الاهتمام بالمؤيَّد للظهور لدى اكتشاف مخطوطات في المكتبات الإسماعيلية في اليمن والهند، وبذلك تمّ ولوج فصلٍ جديدٍ في تاريخ الإسماعيليين المتواصل.

يُعتبر حسين الهمداني (١٩٠١-١٩٦٢) في تصويره للتراث اللاهوتي الفاطمي سنة ١٩٣١ أن المؤيَّد أوصل التراث الإسماعيلي إلى ذروته، وأكثر من ذلك فهو يعتبره مسؤولاً عن إيصال الدعوة إلى اليمن. ومن خلال المخطوطات في مكتبته الخاصة تمكّن حسين الهمداني من تحديد شخصية المنافس المجهول وهو المؤيَّد الذي جادل ذات مرةٍ شاعر وفيلسوف سوريا الأعمى الشهير أبا العلاء المعرِّي في موضوع نباتيته (لم يكن يتناول اللحوم).[٩]

وبعد فترةٍ قصيرةٍ وضع فلاديمير ايڤانوف (١٨٨٦-١٩٧٠) لائحةً بمؤلفات المؤيَّد التي اكتشفها في مجموعة من المخطوطات في المكتبات الهندية. ثم أعاد إسماعيل ك. پوناوالا وآخرون تصحيح وإكمال هذه اللائحة[١٠] (راجع الملحق ١). تعد خطب المجالس الثمانمئة لدى المؤيَّد أكبر مجموعة من هذا النوع الأدبي في التراث الفكري الإسماعيلي. وفي

= بول إي والكر:
Exploring an Islamic Empire: Fatimid History and its Sources, (London, 2002).

(٨) السجلات المستنصرية، طبعة أ. ماجد، القاهرة، ١٩٤٥ .
pp. 180f., 200f.

(٩) حسين الهمداني:
The History of the Isma'īlī Dawat and its Literature during the Last Phase of the Fatimid Empire, Journal of the Royal Asiatic Society (1932), pp. 126, 136.

(١٠) فلاديمير إيڤانوف = *A Guide to Isma'ili Literature*, (London, 1933), pp. 47-49;

القرن السادس الهجري صدرت مجموعة من خطب المؤيَّد في كتاب الداعية اليمني حاتم بن إبراهيم الحامدي «جامع الحقائق».[١١] وقد نشر مصطفى غالب وآخرون الخطب بشكل جزئي أيضاً.[١٢]

تتضمن الخطب أيضاً المراسلات مع أبي العلاء المعرّي حول موضوع النباتية، كذلك تفنيد كتاب الزمرُّد لابن الراوندي.[١٣]

سنة ١٩٤٩ قام العلاَّمة المصري محمد كامل حسين (١٩٠١-١٩٦١) بنشر ديوان المؤيَّد وسيرته. ترتكز «السيرة المؤيَّدية» على مخطوطتين عثر عليهما محمد كامل حسين في مكتبات البهرة في كجرات.[١٤] في مقدمة «السيرة» كان محمد كامل حسين أول علاَّمة مجدِّد يعمد إلى تصوير الخطوط

= إسماعيل ك. بونا والا *Bibliography of Ismaʿīlī Literature* (Malibu, CA, 1977), pp 104-109;

آدام غاسيك *Catologue of the Arabic Manuscripts in the Library of the Institute of Ismaʿīlī Studies*, (London, 1984-85), Vol.I, nos.14, 77, 99, 100, 146;

انظر أيضاً لدى ديليا كورتيس *Arabic and other Ismaʿīlī Manuscripts* (London, 2000), pp. 61-88.، وهو مصنف لمخطوطات في مكتبة الدراسات الإسماعيلية؛

مجموعة الزاهد علي في مكتبة الدراسات الإسماعيلية:

Arabic Ismaili Manuscripts, (London, 2003), nos. 20, 32, 76, 95, 156.

(١١) حاتم بن إبراهيم الحامدي، **جامع الحقائق**، طبعة عبدالقادر عبدالناصر، (القاهرة، ١٩٧٥).

(١٢) **المجالس المؤيَّدية**، جزء واحد وثلاثة، مطبعة مصطفى غالب، بيروت، ١٩٧٤-١٩٨٤، جزء أول وثاني، طبعة حاتم حميد الدين، بومباي وأوكسفورد، ١٣٩٥-١٤٠٧هـ/١٩٧٥-١٩٨٦م.

(١٣) ب. كراوس: *'Beiträge zur islamischen ketzergechichte. Das Kitab az-zumurrud des Ibin ar-Rawandi', in Rivista-Degli Studi Orientali*, 14, 1934; pp 93-129 and pp 335-379.

أعيد طبعها في كتاب ب. كراوس تحت عنوان:

Alchemie Ketzerei, Apokryphen im frühen Islam, ed. R Brague (Hildesheim, 1994), pp. 109-190.

(١٤) حسين في مقدمته للكتاب، ص 27f. انظر أيضاً: بونا والا *Biobiliography*، ص١٠٧.

وفلاديمير إيڤانوف: *Ismaili Lietrature A Bibliographical Survey* (Tehran, 1963), p.46.

العريضة لحياة المؤيَّد من خلال عناصر السيرة الذاتية في «السيرة» وأيضاً من خلال بعض المعلومات النادرة والعَرَضية الموجودة في مصادر تاريخية.

كتبت كذلك حتى الآن ثلاثة أبحاث حول المؤيَّد. قدّم البحث الأول عباس الهمداني ابن حسين الهمداني في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية في لندن سنة ١٩٥٠، لكن هذا البحث لم يُنشر.[١٥] أما الثاني فهو بحثي الخاص الذي قدّمته إلى جامعة «توبينجن» ونشر سنة ١٩٨٩ وهو يركّز بشكل خاص على الجزأين الأول والثاني من السيرة.[١٦] وخلال قيامي بالأبحاث تبيّن لي أن الجزء الأول من السيرة يحتاج إلى أن يعتبر محاولة الداعية تبرير وإظهار الدلائل عن إنجازاته التي يعتبرها متوائمة بشكلٍ كامل مع مقاصد وأخلاقيات الدعوة الإسماعيلية. هذه المُثُل كتبها مسبقاً تحت عنوان «الرسالة الموجزة الكافية في أدب الدعاة» أحد مواطني المؤيَّد وهو الداعية أحمد بن إبراهيم النيسابوري، الذي عمل قبله بعقود إبّان عهد الخليفتين الإمامين العزيز والحاكم في القاهرة.[١٧] إن سيرة المؤيَّد تشرح الحياة الشخصية والتاريخية وأعمال الداعية، وتُرجع إلى النظم والقوانين العائدة إلى الدعوة الفاطمية. انطلاقاً من هذا الاقتراح تحاول الدراسة تقييم السيرة على كونها مصدراً ليس فقط للتاريخ الذي قامت عليه الدعوة الفاطمية، بل لإعادة بناء الديناميكات العالمية والسياسية التي كانت سائدة في بداية وصول شعب الغُزّ التركماني إلى قلب العالم الإسلامي.

---

(١٥) عباس همداني، **سيرة المؤيَّد في الدين الشيرازي**، رسالة دكتوراه قدمت كدراسة لمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية، لندن، ١٩٥٠.

(١٦) انظر إلى رقم ٥ فوق.

(١٧) أدخل نص النيسابوري في الجزء الثاني من كتاب **الأزهر** لحسن بن نوح البَهروشي (انظر بونا والا *Biobibliography*, p.179). حصلت على المخطوطة بواسطة الجامعة الأميركية في بيروت، أما المصدر فانظر الفصل الرابع والتتمة II.

راقب الحكام الفاطميون بقلق تطوّر هذا التهديد وانتهى الأمر بإزالة القادة العسكريين البويهيين، وإحلال سلطة القائد السلجوقي طُغرُل بِك العليا مكانهم في بغداد مجلس الخلافة السنيّة سنة ٤٤٧ هـ. أي ١٠٥٥ م.

أما البحث الثالث عن المؤيَّد فقد كتبته في الآونة الأخيرة بضعة طاهرة قطب الدين في جامعة هارفرد سنة ١٩٩٩.[١٨] في التفاصيل الوفيرة التي فاقت البحثين الأولين تُظهر بضعة أن الشعر لدى المؤيَّد يصلح لأن يكون مادةً لإعادة بناء صور وأحداث من حياته. وللمرة الأولى، تمكّنت من استخدام مصادر مكتبة دعوة الطيِّبين في بومباي وسورات مثل الكتاب السابع من مجموعة إدريس عماد الدين «عيون الأخبار».

يشكّل التحليل الأدبي والوظيفي للقصائد العمود الفقري لدراسة طاهرة قطب الدين؛ كما تصل إلى خلاصة مفادها أن شعر المؤيَّد المشغول بعناية والسلس يحتوي على كمٍّ كبير من اللاهوت والإيديولوجيا الفاطميين. من الواضح أن هدف الشعر هو لعب دور الوسيط لإعلان القضية الفاطمية ولأجل تثقيف وتلقين أتباعه. ويمكن أيضاً اعتباره ضرباً جديداً من الشعر عندما تطلق عليه قطب الدين تسمية شعر «الدعوة الفاطمية». وهي أيضاً تؤكّد أن المؤيَّد هو المؤسس لهذا التراث الأدبي الديناميكي الجديد، الذي ما يزال يلعب دوراً مهماً في ليثورجية الطقس الطيِّبي وفي التربية الدينية الحديثة.

بالنظر إلى الدلائل والأبحاث حول المؤيَّد، لا نبالغ إذا قلنا إننا نعرف الكثير عن هذا العلاَّمة الفاطمي المتعدِّد المواهب الذي أجاد دوره كمبعوثٍ دبلوماسي ذكي، رجل الدولة، شاعر، واعظ وعالم فلسفة ولاهوتي أصيل. ولكن حتى ولو أننا نعرف عنه أكثر من زملائه في الدعوة الفاطمية مثل

---

(١٨) بضعة طاهرة قطب الدين: **المؤيد في الدين الشيرازي: مؤسس لتقليد جديد شعر الدعوة الفاطمي**، (رسالة دكتوراه، جامعة هارفرد، ١٩٩٩).

الداعية، الفارسي الشهير، الفيلسوف واللاهوتي حميد الدين الكرماني،[١٩] يبقى عدد كبير من تفاصيل حياته مجهولاً؛ خصوصاً فكره الأدبي واللاهوتي الوارد في خطبه والذي يحتاج إلى دراسة معمّقة وتحليل.

ليس الهدف من هذا العمل الذي بين أيدينا التحقيق في بُعد كتابات المؤيِّد اللاهوتية والأدبية، ولست بصدد التنقيب عميقاً في شعره، ولو أنه تمّ أخيراً إظهار خصوصيّة هذا الشعر ومعانيه. إنَّ ما أهدف إليه في عملي هنا هو إعادة سرد ما هو معروف في الأصل من سيرة هذا الداعية الشهير وفي نيتي أيضاً التكلُّم على الظروف المحيطة بحياته وما فيها من أحداث، ناقلةً إلى جمهور واسع تفاصيل تهمّه، ومنها تاريخ الإسماعيلية وتنظيم واستراتيجيات العمل العليا في الدعوة الفاطمية.

أكثر من هذا، يتوجه الكتاب إلى قرّاء يهتمون بتاريخ وديناميكات المجتمعات الشرقية في القرن الخامس للهجرة أي القرن الحادي عشر ميلادي؛ كانت هذه الحقبة حقبة استقرار نسبي في مصر الفاطمية، غير أنه في شرق ووسط العالم الإسلامي حصلت تغييرات جذرية. وكون المؤيَّد مراقباً حساساً فإنه وآخرين من أمثاله أدركوا خطورة هذه التطورات وأنها تشكّل تهديداً لمصر، لكن تحديات هذه التطورات جلبت معها فرصاً وقدرات غير متوقّعة.

لأجل الحصول على فهم دقيق لسيرة حياة الداعية المؤيّد سأستخدم «سيرته» كمكبِّر. من خلال مقابلة المنظور التاريخي والمنظور الأدبي

(١٩) كان الكرماني داعيةً في إيران والعراق إبّان حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢١م).

أنظر بول إي. والكر: **حميد الدين الكرماني: الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم**، (لندن ١٩٩٩).

و جي. تي. بي. برويجن: الكرماني حميد الدين، *EI2*, Vol.5, pp 166-167.

سنكتشف أنه بالإضافة إلى السيرة الذاتية، يمكن أن نفهم هذا العمل الفريد كمصدر لفهم المُثُل التي اعتنقتها الدعوة الفاطمية. وفي الوقت نفسه ستتمكن من اقتفاء أثر الداعية الذي يعكس مصيره وحياته تاريخاً شاملاً لتلك المرحلة.

وللقرّاء المتخصصين المهتمين بالمصادر الأكاديمية نعثر على المراجع العلمية في الملاحظات والمصادر والمراجع والفهرس الملحقة بهذه الدراسة.

وقد طلب مني فرهاد دفتري أن أكتب بورتريه المؤيَّد في الدين الشيرازي خلال زيارتي إلى معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن في تموز/ يوليو العام ٢٠٠٠، وفي هذه المناسبة أقدّم له شكري الجزيل. وأنا ممتنة أيضاً لـ بضعة طاهرة قطب الدين من جامعة شيكاغو، التي ساعدتني دراستها الحديثة كونها مصدراً مفيداً وملموساً للمعلومات حول شعر المؤيَّد، كما ساعدتني في الحصول على معلومات حول ظروف مجهولة عن حياته وعلى عدد من الوثائق.

وأودُّ أن أشكر أيضاً بول بومن في برلين، وقطب قاسم من معهد الدراسات الإسماعيلية الذي نقّح كتابي باللغة الإنكليزية في مراحل عدة وبعناية شديدة؛ كما أغتنم هذه الفرصة لأعبّر عن امتناني لأستاذي هاينز هالم من جامعة توبنغن، الذي مهّد السبيل أمامي لألج الدراسات الشيعية والإسماعيلية منذ زمنٍ بعيد. فهو من شدّ انتباهي نحو المؤيَّد؛ كما أنه وعدني بأن سيرة المؤيَّد ستشكّل موضوعاً مثمراً وغنياً لأطروحتي لنيل الدكتوراه.

ويمكن اعتبار هذه الدراسة كقبسٍ ضئيلٍ لعمله الأكاديمي ومعرفته الدراسية الكبيرة والهامة.

ڤيرينا كليم

ڤورتزبورغ، أيار/مايو ٢٠٠٣

المقدّمة

تزيح سيرة المؤيَّد الستار عن مشهد بعيد لمدينتَي القاهرة وبغداد في عظمتهما الإمبراطورية. في هاتين المدينتين المزدهرتين، عاصمتي الإسلام في ذلك العهد؛ كان المؤرخون وكتبة البلاط يدوّنون ويعلّقون على الأحداث السياسية المهمة كتوالي الحكّام الواحد تلو الآخر، أو مسائل الحرب والسلم في العالم الإسلامي أو خارج حدوده وسط آسيا أو الإمبراطورية البيزنطية. بيد أن تقرير مهمة المؤيَّد في بلاط البويهيين يكشف عن سيناريو سياسي معيّن، يقصّه على مستوى خبرة شخصية؛ ففي جنوب منطقة فارس الإيرانية حيث حصلت هذه الأحداث، أدّت الأطماع الإقليمية والسياسية لدى الفاطميين والعباسيين إلى تطاحن عقليتين دينيتين وخلق مُناخ من التشاحن والاحتقان الإيديولوجي.

ولكن وبالرغم من بُعدها، كانت فارس كوناً مصغّراً يجمع السياسة الإسلامية العالمية وإيديولوجيتها في زمن المؤيَّد؛ ولولا إقدامه على تدوين ما أنجزه وما شهد عليه لكان كمٌّ كبير من مظاهر القرن الخامس الهجري، أي الحادي عشر الميلادي قد اندثر وكانت أوجه إنسانية وسياسية عديدة لتبقى في عالم الغيب إلى الأبد.

عائلة المؤيَّد ومسقط رأسه

ولد المؤيَّد في الدين الشيرازي حوالى سنة ٣٩٠ للهجرة أي ١٠٠٠ ميلادية لعائلة إسماعيلية في فارس، وعلى وجه التحديد في شيراز عاصمة الولاية.

كانت المدينة قد أسست في بداية الفتح الإسلامي كمعسكر للجند؛ وتقع وسط سهلٍ تخطّه الأنهر لتصب في بحيرة على بعد بضعة فراسخ من المدينة. في الصيف يتحوّل السهل إلى صحراء جافة. بني أول مسجد في شيراز في النصف الثاني للقرن الثالث الهجري أي التاسع الميلادي. اشتهر بابه الشمالي بجمال صنعه ثم سُمّي لاحقاً باب حسن.

في القرن الرابع هجري (العاشر ميلادي) وصفت المدينة كالتالي: مساحتها ثلاثة كيلومترات (فرسخ واحد)، أسواقها ضيقة بَيْد أنها تتمتع بحيوية كبيرة ولها ثمانية أبواب. كما بنى عضد الدولة البويهي (٣٦٧-٣٧٢ هـ./ ٩٧٨-٩٨٣ م.) وهو الحاكم المثقف، بيمارستان (مستشفى)، ومكتبة وقصرين، ويقع أحد القصرين على بعد كيلومتر ونصف الكيلومتر جنوب المدينة (أو نصف فرسخ). هذا القصر وما يحوطه من حدائق ممتدة، أصبح محاطاً بمدينة جديدة سُمّيت «كرد فناء خسرو» وجُلب عمّال مهرة من حائكين وصانعي أجواخ ليستقرّوا فيها؛ كما قام البويهيون الأوائل بجرّ المياه بواسطة قنوات لتغذية شيراز بالماء وكانت الجداول تنحدر في فصل الربيع من جبل داراك المجاور.(١)

اسم المؤيَّد الكامل هو «أبو نصر هبة اللّه بن موسى بن أبي عمران بن داود الشيرازي»، ولقبه المؤيَّد في الدين. وقد حصل على لقبه هذا حين عُيّن داعية أكبر في فارس. ويتمتَّع بألقابٍ أخرى منها «عصمة المؤمنين»

---

(١) غي لوسترانج: *The Lands of the Eastern Caliphate: Mesopotomia*, Persia and Central Asia from the Moslem Conquest to the Time of Timur (Cambridge, 1905), pp 249-252.

و«صفيُّ أمير المؤمنين ووليّه»؛ قد منحت له عندما أصبح داعية الدعاة للدعوة الفاطمية في القاهرة سنة ٤٥٠ هـ./١٠٥٨ م.

قبل أن يصبح المؤيَّد داعيةً أكبر في فارس، كان المنصب يعود لوالده موسى بن داود في خدمة الخليفة والإمام الفاطمي الحاكم بأمر اللّه (٣٨٦-٤١١ هـ/٩٩٦-١٠٢١ م). اعتُبرت فارس جزيرة للدعوة الفاطمية وهي التي تقع خارج الدولة الفاطمية حيث كانت الدعوة الإسماعيلية مزدهرة. وخلال حكم الخليفة الإمام الظاهر (٤١١-٤٢٧ هـ/١٠٢١-١٠٣٦ م) منح ابن موسى، هبة اللّه الإذن من القاهرة بالحلول في رئاسة الدعوة بعد والده(٢) ليخلفه وكان حاكم فارس في ذلك الزمان الأمير البويهي بهاء الدولة.

حكم البويهيين العسكري

قدَّمت عائلة البويهيين قادةً عسكريين يتمتعون بنفوذ كبير، وقد نزحت هذه العائلة من «ديلم» وهي منطقة جبلية إلى الجنوب من بحر قزوين شمال إيران. بعد أن نجحوا في تثبيت نفوذهم في (فارس، كرمان، وخوزستان) أرض الخلافة في إيران، تمكّن أحد الأخوة البويهيين «معزُّ الدولة» من السيطرة على القوة العسكرية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م ولقّب بأمير الأمراء.(٣)

---

(٢) نستطيع العثور على بعض التفاصيل القصيرة عن حياة المؤيّد ووالده في السيرة والديوان. أنظر محمد كامل حسين في مقدمته للديوان: **ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة**، (القاهرة، ١٩٤٩)، ص ص١٧-٢١. وانظر سيرة المؤيد في الدين، طبعة محمد كامل حسين (القاهرة، ١٩٤٩)، ص١٤. حيث ثمة رسالة إلى موسى بن داود كتبها حميد الدين الكرماني مذكورة في مؤلفه: **مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر اللّه في طائفة الدروز: تاريخها وعقائدها** لمحمد كامل حسين، (القاهرة، ١٩٦٢)، Klemm, c.f. pp. 55-62 ڤيرينا كليم Die Mission، p. XI و pp. 136-138.

وانظر أيضاً قطب الدين: المؤيَّد في الدين الشيرازي، ص١٥-١٧.

(٣) سي كاهين، Buwayhids or Būyid's، *EI2*, Vol.1, pp 1350-1357.

حكمت أسرة البويهيين مئة وعشر سنوات في وسط وشرق العالم الإسلامي، وتحوّل الخلفاء العباسيون إلى دمىً بأيدي العسكر وتدنّت سلطتهم لتتحوّل إلى وظيفة رمزية تمثل المطالبة الدينية بالإسلام السنّي. معظم البويهيين كانوا شيعة إثني عشرية وزيديين. وبمعاضدة البويهيين السياسية تمكّن الإثنا عشرية من نشر ثقافتهم الدينية والفكرية عبر القرن الرابع للهجرة أي العاشر ميلادي.

وبالرغم من ميراثهم الشيعي المشترك فقد بقيت العلاقات الرسمية بين البويهيين وبين الفاطميين فاترة في غالب الأحيان إذا لم نقل عدائية. وباستثناء فترة قصيرة جداً حصل خلالها تبادل دبلوماسي إبّان حكم عضد الدولة البويهي؛ ولا يوجد أي دليل على علاقات حسن جوار مع الإمبراطورية الفاطمية.(٤) لقد اعتبر البويهيون أن الفاطميين هم أعداؤهم السياسيون والدينيون. لكن في فارس كان البويهيون بوجه الإجمال متسامحين مع المرسلين الإسماعيليين العاملين في مملكتهم كوكلاء للخلفاء الفاطميين. ويبدو أن والد المؤيَّد كان يتمتع باحترام كبير من قِبَل وزير البويهيين فخر المُلك الواسع النفوذ، والمعروف عنه انفتاحه على الشيعة وصداقته لهم عموماً.

يقول المؤيَّد في سيرته أنه لمّا خلف والده كان في إمكانه مواصلة دعوته الدينية بانفتاحٍ وحرية. وكان في إمكانه أن يهتم روحياً دون وجل بالجند الديلمي الذين يخدمون حاكم فارس وكرمان البويهي أبا كاليجار عماد الدين مرزبان.(٥)

---

(٤) شاينول جيوا: الدبلوماسية الفاطمية البويهية خلال حكم العزيز بالله، (365/975- 386/996). *Journal of Islamic Studies*, 3 (1992), pp 57-71.

كريستوف ج. بورغيل:
Die Hofkorrespondenz 'Adud ad-Daulas und ihr verhäktbus zu anderen historischen Quellen der frühen Buyiden, (Wiesbaden, 1965), p.148 f.

(٥) السيرة، ص٥، ١٤. انظر أيضاً: هارولد بوين، «أبو كاليجار» *EI2*, Vol.1, pp 131-132.

كان مرتزقة الديلمية يشكّلون قوة وطنية تساند عائلة البويهيين في مطالبتها بالسلطة. ولقد رافقوا مؤسسي السلالة البويهية الأخوة علي حسين وأحمد بن بويه (عماد الدولة، ركن الدولة، ومعزُّ الدولة) كفرقة مشاة في زحفهم المظفّر من جبال مقاطعة ديلم جنوب شواطىء بحر قزوين إلى عمق الدولة العباسية. شكّلت هذه الفرقة العمود الفقري للجيش البويهي في المناطق الإيرانية التي تخضع للنفوذ البويهي، بينما تمّت الاستعانة بفرق خيّالةٍ تركية في مناطق الحكم العباسي. اتسمت العلاقة بين الجند الديلمي وبين العسكر التركي بالعداوة المتواصلة. ناصر الجند الديلمي الشيعي سياسة البويهيين لتظلّ قوية ومستقلة؛ بينما ناصر العسكر التركي السنّي مطالبة الخليفة العباسي بالسلطة.

يتضح لنا في الجزء الأول من السيرة أن جند الديلمي يشتملون على فرقة متحدة وقوية من العسكر الإسماعيلي. تتوافق فرقة الديلمي التي يتكلم عنها بإعزاز مع مصادر تاريخية وجغرافية، في أنها تأتي على ذكر العصبية القبلية ضمن هذه الجماعة العسكرية الوطنية.[٦] منذ القرن الثاني الهجري أي الثامن ميلادي والطائفة الشيعية موجودة في ديلم على شكل جماعات أسسها مرسلو الزيدية وعلى رأسهم زيد بن علي خصم الإمام جعفر الصادق، تمكّن زيد بن علي من إحلال سياسة عسكرية مترافقة مع تعاليم شيعية معتدلة في آنٍ معاً. في القرن الثالث هجري أي التاسع ميلادي، نجح أتباع زيد بن علي في تأسيس دولة في ديلم وأخرى في اليمن. كانت مناطق ديلم المرتع الأساسي للرسالة الإسماعيلية التي ازدهرت وحقّقت نجاحاً باهراً على يد

(٦) كاتب مجهول: **حدود العالم**، ص١٣٧. وللجند الديالمة أنظر أيضاً سي. إي. بوسوورث: «التنظيم العسكري خلال حكم البويهيين لفارس والعراق».
Oriens, 18-19 (1965-66), pp. 143-167.

اللاهوتي والفيلسوف أبي حاتم الرازي؛ الذي نجح في إقناع عدد من الأمراء الديالمة لاعتناق دعوته.[٧]

وبحسب ما ورد في سيرة المؤيَّد حول سياق الأحداث نتبيَّن بوضوح أن الاحتقان والعداوة الطائفية بين الديالمة الإسماعيليين وبين السُنّة في فارس يمكن أن يفسّرا على أساس الأطماع السياسية بين الفريقين. كانت سياسة أبو كاليجار تتأرجح بين قطبين متنازعين يساند كل منهما مجموعة عسكرية، أي عندما تكون سياسة الحاكم ذات هوىً سنّي وعباسي يحتجّ الديالمة، ومتى نهضت السياسة الإسماعيلية البويهية قام الاحتجاج من قِبَل السُنّة، والسُنّية هي الدين الأورثوذوكسي (الدين القديم) لفارس. أمّا القوة العسكرية وراء هذا «اللوبي» فكانت العساكر الأتراك. وكما يورد المؤيَّد في تقاريره كان الصوفيون يؤيّدون انتشار السُنّة في البلاد.

يؤمن الصوفيون بعدة طرق زهدية تتطابق في غالب الأحيان مع مبادىء السُنّة وهي التمسُّك بما ورد في القرآن وسُنّة الرسول. بدأت الصوفية بتحويل حركتها إلى الأورثوذوكسية خلال القرن الثامن هجري أي التاسع ميلادي.[٨]

الدعوة الفاطمية الإسماعيلية

كانت فارس، حيث نشأ وترعرع المؤيَّد وبدأ دعوته، واحدةً من الجزر الفاطمية العديدة المنتشرة في العالم الإسلامي، وهي تشكِّل نواةً لشبكة الدعوة الإسماعيلية. والدعوة الإسماعيلية هي دعوة إلى الحق ودعوة إلى الهداية؛ وعلى هذا الأساس انطلقت تعاليم الإسماعيلية الدينية ومُثُلها.

منذ أن اعتبر أئمة السلالة الفاطمية أنفسهم ورثة النبي محمد (صلعم) أصبح هدف دعوتهم الديني يرتبط في كل مناسبة بالمُثُل السياسية.

---

(٧) فرهاد دفتري، تاريخ موجز، ص 43f، وللحركة الزيدية، ص٣٠.

(٨) لويس ماسينيون وآخرون، «التصوف» EI2, Vol.10, pp. 313-340 وخصوصاً pp. 313-316.

ولأنهم الحكام الشرعيون للمسلمين؛ فقد رفضوا الانصياع للخلفاء العباسيين في بغداد؛ لا بل وصفوهم بمغتصبي السلطة. وبما أن الهدف الأسمى للحركة الإسماعيلية هو تحقيق إصلاح ديني وسياسي داخل الأمة كان على الدعوة أن تعمل بسرية تامة أو كما هو الحال مع الداعية المؤيَّد تعمل بشكل نصف معلن، وفي جميع الأحوال بحذر شديد. في إمكان الدعوة أن تصبح علانيةً بعد أن تكتسب شهرةً، هكذا كان الوضع داخل حدود الإمبراطورية الفاطمية، التي وصلت في ذروتها لتشمل شمال أفريقيا، مصر، سوريا، اليمن ومكة المكرمة والمدينة المنوّرة. في هذه المناطق أخذت الدعوة شكلها الرسمي كمؤسسة للتلقين الديني والتربية ومركزها الرئيس دار العلم أو دار الحكمة في العاصمة أي القاهرة.[٩]

ولكن في مناطق سُنيَّة تتصف بالعداء الشديد للدعوة، كان على الدعاة إبقاء عملهم سريّاً، بعيداً عن أعين الحكومة والحكام الذين اعتبروها خطراً داهماً يهدِّد الاستقرار الأمني، السياسي والديني؛ فبحسب رأي بعض المفكرين السُنّة اعتبرت الدعوة الفاطمية موئلاً للمؤامرات والهرطقة وهدفاً ممتازاً لأعداء الإسماعيلية ليطالوها بالجدل والدعاية المناهضة.

يقول الإسماعيليون إن أئمتهم يتحدَّرون من فاطمة (عليها السلام) ابنة النبي محمد (صلعم) وابن عمه وصهره علي (كرَّم اللّٰه وجهه) ويشاركهم في هذا الاعتقاد الشيعة الاثنا عشرية. يتوالى الأئمة الشيعة وصولاً إلى الإمام السادس جعفر الصادق الذي حين وفاته سنة ١٤٨ هـ./ ٧٦٥ م. حصل انشقاق كبير بين أتباعه حول من يملك الحق بخلافته.[١٠] كان جعفر قد

---

(٩) صامويل س. ستيرن، **القاهرة كمركز للحركة الإسماعيلية في:** Stern, Sudies, pp 234-256

(١٠) في المقاطع المقبلة حول هيكلية الدعوة الإسماعيلية والتطورات التاريخية التي أدت إلى تأسيس المملكة الفاطمية اعتماد كبير على مؤلف فرهاد دفتري **التاريخ القصير** (أو الموجز) *Short History*، فصل ٢ و٣. بالإضافة إلى دراسات هاينز هالم وخصوصاً مؤلفه: **مملكة المهدي ونهضة الفاطميين:** =

أشار إلى ابنه البكر إسماعيل ليخلفه في الإمامة، بَيْدَ أن إسماعيل مات أو اختفى بصورة غامضة ووالده لا يزال حيّاً. أدّى الخلاف بين مختلف الفرق حول الوريث الحقيقي إلى انقسامات كبرى بين الشيعة الإماميين بعد وفاة الإمام جعفر. في النهاية توافق معظم الشيعة على موسى الكاظم ابن جعفر ليكون إمامهم السابع. وأصبح لقبهم في ما بعد الإثني عشرية لأنهم يؤمنون بتوالي سلالة إثني عشر إماماً. بَيْدَ أن أتباع إسماعيل رفضوا هذه النتيجة لأنها وبحسب اعتقادهم تنافي إرادة الإمام جعفر الصادق.

وكما ورد من مصادر شيعية قديمة كانت الحصيلة أن انقسم فريقان من الإسماعيليين؛ فريق اعتبر أن إسماعيل لم يمت وهو مغيَّب لأسبابٍ أمنية بما أن العباسيين كانوا يبحثون عنه لاعتقاله وأنه سيعود ذات يوم بصفة «المهدي» أو «القائم». يقول القمّي والنوبختي (كتبا قبل ٢٨٦ هـ./ ٨٩٩ م بوقت قصير) أن هذه الفرقة تدعى الإسماعيلية الخالصة. وثمة فرقة أخرى تدعى فرقة المباركية تيمُّناً بلقب إسماعيل «المبارك»، تعتبر أن سلالة الأئمة يجب أن تتواصل عبر ابن إسماعيل البكر محمد. اتحد في ما بعد الفريقان على ما يبدو في حركةٍ واحدةٍ خرجت منها الدعوة الإسماعيلية بعد مرور قرن واحد.

تاريخياً عُرف القليل عن محمد بن إسماعيل، وما نعرفه عنه هو أنه وُلِد حوالى سنة ١٢٠ هـ./ ٧٣٨ م. وبعد وفاة جعفر الصادق مباشرة، هاجر من مسقط رأسه «المدينة» إلى الشرق، حيث اختبأ من اضطهاد العباسيين. لقبّه

= Das Reich des Mahdi. Der Aufstieg der Fatimiden (875-973) (Munich 1991).

ولهذا الكتاب ترجمة إنكليزية إم بونِّير صدرت تحت عنوان:
The Empire of the Mahdi: The Rise of the Fatimides, (Leiden, 1996), Chapters 1 and 2.

كما في الجزء الثاني لكتاب هالمز:
Die Kalifen Von Cairo. Die Fatimiden in Ägypten, 973-1047, (Munich, 2003).

من أجل نظرة مختصرة على التطوُّر التاريخي والمفاهيم الدينية حول الإسماعيليين، أنظر هاينز هالم: الشيعة *Shiism*.
(Edinburgh, 1991), pp 162-178.

أتباعه بالمكتوم، مات بعد بِضْع سنين من هذا التاريخ سنة ١٧٩ هـ./ ٧٩٥ م. في الخورستان جنوب غرب إيران. تضطرب الصورة في بداية تاريخ الإسماعيلية حيث تسود نزاعات حول الخلافة وعدد من الصراعات. ولكن وسط القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي خرجت إلى النور حركة إسماعيلية قوية ومتحدّة، وذلك يعدُّ من إنجاز الدعوة الإسماعيلية السابقة التي لم تتوقف عن بثّ الرسالة الدينية وحق محمد بن إسماعيل في الخلافة كونه الإمام الحق والمهدي، الذي سيعود متجلياً لتأسيس مملكة السلام العالمي وليحقَّ العدالة على الأرض إلى يوم القيامة.

من الدعوة إلى الامبراطورية

عندما أصبح المؤيَّد رئيس الرسالة الفاطمية في فارس كانت الدعوة قد اختمرت وتواصلت طوال مئتي سنة (٢٠٠). في أواسط القرن الثالث للهجرة أي التاسع الميلادي، كان طابع الدعوة العالمي المتسم باللين ظاهراً بوضوح شديد. كان الدعاة الإسماعيليون ينشطون في مناطق ريفية بعيدة تقع في جنوب العراق كما في المراكز الحَضَريَّة. مثل مدينة «الرَّيِّ» شمال إيران. وكان هؤلاء الدعاة مرسلين من قبل معلم سرّي يدعى «عبد اللّه» الذي من المرجّح أن يكون منظم الحركة الإسماعيلية في بدايتها. يطلق على هذا المعلم في التقاليد الفاطمية اسم «عبد اللّه الأكبر» لتفريقه عن «عبد اللّه المهدي» الذي أسس السلالة الفاطمية. يعدُّ عبد اللّه الأكبر سلفاً للأئمة الفاطميين؛ كان تاجراً ثرياً في مدينة «عسكر مكرم» المزدهرة الواقعة على ضفاف نهر دُجَيْل، في خوزستان، شمال الخليج الفارسي ليس بعيداً عن الأهواز عاصمة تلك المنطقة. وحتى يومنا هذا تبقى هوية عبد اللّه موضع جدال. في مؤلفات ابن رزام المعادي للإسماعيلية، وهي من أقدم المصادر،[١١] يعتبر أعداء عبد اللّه أنه ابن ميمون القداح. تعتبر الدراسات

(١١) ولد أبو عبد اللّه بن علي بن رزام في الكوفة. كتب مؤلفاته في العاشر الميلادي. =

الحديثة أن هذا المصدر هو ضرب من الاغتياب المعادي للإسماعيلية.

بعد مقارنات دقيقة وتحليل عدة مصادر أخرى بالغة في الجديَّة يفترض هاينز هالم Heinz Halm أن «عبد اللّٰه» يتحدّر من عقيل بن أبي طالب شقيق الإمام علي بن أبي طالب.

وبحسب التقليد الإسماعيلي؛ يعتبر عبد اللّٰه أحد أبناء محمد بن إسماعيل، وهذا الاعتقاد اعتنقه الفاطميون. في الواقع، استجار عبد اللّٰه بعائلة من زبائن عشيرة عقيل في البصرة بعد أن أجبر على الفرار من مدينة عسكر مُكرم. عندها قدّم نفسه كرسول والحجّة الحيّة عن الإمام المحجوب محمد بن إسماعيل الذي عاش قبل أكثر من نصف قرن.

زعم عبد اللّٰه أن المهدي ينتظر عودته المظفّرة في مخبأ بعيدٍ عن قبضة العباسيين. وادّعى عبد اللّٰه أيضاً كونه حجّة الإمام بأنه الوحيد القادر على الاتصال به. بعد أن بسط عبد اللّٰه سلطته وأخذ دعاته يكتسبون المؤيدين بين سكان المنطقة، طرد أخيراً من قبل أعدائه السُّنّة من المدينة، الذين دمّروا منزلَيه. وكما قَسَم له القدر فقد طرد خارج البصرة للأسباب نفسها. ثم انتقل مع حسين الأهوازي ودعاة آخرين إلى سوريا حيث استقرّ بصفة تاجر في مدينة سلميّة؛ وهذه المرة أبقى هويّته طيّ الكتمان واحتفظ بسريّة الرسالة مع بعض الأتباع الأصفياء. حصل على منزل إلى جانب السوق وأثرى وأسس عائلة.

في تلك الأثناء كان الدعاة المتحمسون يواصلون بث الدعوة في عددٍ

= وبالرغم من تناقضاته نجد في مؤلفاته بعض الحقائق، ذكرها غيره من أمثال المسعودي وابن النديم، وفي أعمال «أخي محسن» الضائعة (كتبت بعد ٣٧٢هـ/ ٩٨٣م) وهي أعمال مناهضة للإسماعيلية.

هذه المؤلفات نسخت في أعمال مؤرخين مصريين (ابن ظافر وابن الدواداري، والنويري، والمقريزي).

انظر هالم: *Empire of the Mahdi*، ص٦ و٤٢٥.

من المناطق في سائر العالم الإسلامي آنذاك. وبفضل عملهم الحثيث أخذت المجموعات الإسماعيلية تنتشر حول مدينة الرَّيِّ الإيرانية، كما في شمال منطقة الدَّيلَم على الشاطئ جنوب غربي بحر قزوين بما في ذلك مقاطعات جيلان، طباريستان، وجرجان. وقد تأسس مركز سريّ للدعوة في نيسابور في خرسان.

من هذه القاعدة انتشرت الدعوة الإسماعيلية وصولاً إلى أفغانستان وحتى ما وراء النهر وسط آسيا، مع مراكز قيادية في بُخارى (أوزبكستان). أُرسل حسين الأهوازي إلى جنوب بلاد ما بين النهرين حيث تمكَّن من استجلاب القرويين في سواد الكوفة إلى القضية الإسماعيلية حصل ذلك حسب ابن رزام سنة ٢٦١ هـ/ ٨٧٥ م. أو ٢٦٤ هـ/ ٨٧٢ م.[١٢] من هذه القاعدة اتسعت الدعوة لتشمل البلاد الإيرانية والعربية إلى الشرق وغرب الخليج الفارسي. وصلت إلى كرمان وفارس والمناطق الشرقية في شبه الجزيرة العربية. ثم انتشرت إلى الجنوب الغربي إلى اليمن حيث بقيت المجموعات الإسماعيلية مستمرة إلى يومنا الحالي.

تحوّلت اليمن إلى أهم مركز إسماعيلي وذات فعالية كبرى. ومن اليمن أيضاً انطلقت أول حملة تبشيرية إلى وادي الهندوس وشمال غرب الهند.[١٣]

---

(١٢) هالم: Empire of the Mahdi، ص٢٦. يعطي عدة تفاصيل حول بداية الدعوة الإسماعيلية في جنوب العراق كما ذكرها المؤرخ محمد بن جرير الطبري، توفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م. وهو يذكر استجواباً قامت به الشرطة لأحد الدعاة الذي احتجز سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٧م. أنظر مؤلف الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، طبعة M.J de Goeje et al (Leiden, 1879-1901), III, pp 2124-2127.

وبترجمته الإنكليزية:

The History of Al-Tabari, Volume XXXVII, The Abbasid Recovery.

ترجمة ب. إم فيلدز، طبعة (Albany, New York, 1987), pp 169-175.

(١٣) معلومات عن الدعوة في تلك المنطقة ينقلها عباس الهمداني في دراسته القصيرة: =

وفي سنة ٢٧٨ هـ/ ٨٩٢ م. كانت اليمن نقطة انطلاق الداعية أبي عبد اللّه الحسين بن أحمد الشيعي الذي أقام علاقات واعدة مع شمال أفريقيا؛ وهو ابن الكوفة نذر نفسه لينشر الدعوة في اليمن إلى جانب ابن حوشب الملقّب أيضاً بمنصور اليمن الذي بدأ مهمته السرية إلى جنوب غرب جزيرة العرب في مدينة عدن قبل عشر سنوات.(١٤) وخلال رحلة حج إلى مكة تمكّن أبو عبد اللّه الشيعي من القيام باتصالاتٍ مع أفراد من قبيلة كتامة وهي قبيلة بربرية من قُسَنطينَة في غرب الجزائر. بعد ذلك بقليل دعي لزيارة تلك البلاد والاستقرار فيها. وبمساعدة شقيقه الأكبر أبو العباس أسس قاعدة جديدة هناك، منها ستقوم الدولة الفاطمية بعد بضعة عقود.(١٥)

في شبكة الدعوة الإسماعيلية وهي شبكة لامركزية انتشرت مراكز مهمة لأغراضٍ لوجيستية ووسائل اتصال في مدينة طاليقان في ديلم، القاهرة، الكوفة وفي اليمن. وفي نهاية القرن الثالث هـ./ التاسع م. كانت الدعوة قد خلقت نواةً سياسية في جنوب العراق، شمال أفريقيا، البحرين واليمن، وكانت كلها تعلن بصراحة أنها لا تخضع للهيمنة العباسية. وفي هذه المناطق كان المؤمنون المحليون بالإمام المستتر على استعدادٍ تامٍّ لحمل السلاح حين

= **بدايات الإسماعيلية في شمال الهند**، طبعة القاهرة، ١٩٥٦.
Stern, *'Isma'īlī Propaganda and Fatimid Rule in Sind'*, in Stern, *Studies*, pp 177-188.

(١٤) إن عمل الداعية العراقي ابن حوشب الرائد في اليمن هو موضوع **سيرة ابن حوشب** الذي حوفظ عليه في مؤلفات كُتّاب من مثل القاضي النعمان في كتابه **افتتاح الدعوة**، و**عيون الأخبار**، (الجزءان الرابع والخامس) لإدريس عماد الدين.
انظر هاينز هالم: Die Sirat Ibn Haušab **سيرة ابن حوشب**.
Die ismailitische da'wa im Jemen und die Fatimiden, 'Die Welt des Orients', 12 (1981), pp. 107-135.

(١٥) من أجل سجلٍ فريدٍ من نوعه من أعمال وأحاديث ابن عبداللّه الشيعي وأبي العباس في شمال أفريقيا، انظر كتاب: **المناظرات** لإبن الهيثم. طبعة وترجمة فيلفريد ماديلونغ و بول إي والكر في كتاب:
The Advent of the Fatimids: A Contemporary Shi'i Witness, (London, 2000).

يصدر منه الأمر أو من أحد ممثليه. أمّا مركز انتشار هذه المنظمة فهو سلمية حيث كان عبد اللّه يستقبل سرًّا الدعاة والرسل من الجزر، وكان يرسل التعليمات لمعاونيه في الخارج بالطريقة السريَّة نفسها التي يستقبلهم فيها.

ومن أجل التستر ولأسباب أمنية في السَّلاميّة لم يقدم الدعاة على تبشير أبناء المدينة، فقد بقي حصن عبد اللّه مركز انطلاق الدعوة العالمية مكاناً سريًا للغاية.

لا بدّ من أن عبد اللّه توفي بُعيد منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وأصبح أحدهما قائد الدعوة. بقي الوضع على حاله لبضعة أجيال. أمّا القائد الثاني الذي حصل على رئاسة الدعوة، سعيد بن الحسين المولود سنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٤ م فقد قيّض له أن يصبح مؤسس الخلافة الفاطمية في شمال أفريقيا سنة ٢٩٧ هـ/ ٩٠٩ م متخذاً اسم عبد اللّه المهدي. في تلك الأثناء في سلمية قرر سعيد بن الحسين إعلام مؤيديه أنه هو سليل الإمام المحجوب محمد بن إسماعيل وهو الإمام الحقيقي والمهدي. أدّى هذا الإعلان التاريخي إلى فتح حقبة جديدة في تاريخ الإسماعيليين وتأسيس الدولة الفاطمية بعد وقتٍ وجيز؛ فدور السِتر لدى الأئمة انتهى أخيراً.

أول حالة نتجت عن خطوة عبد اللّه الثورية كانت انقسام الحركة الإسماعيلية؛ فالفرق في العراق والبحرين التي تحمل اسم قائدها الأول الداعية حمدان قرمط، رفضت الاعتراف بإمامة القائد الجديد عليها، وواصلت الدعوة للإمام المحجوب. أصبحت هذه الفرق تُعرف تاريخياً باسم القرامطة. بقي معظم الدعاة الآخرين أوفياء للقيادة في سلمية، وفي منطقة أفامية الصحراوية شرق الشام ثارت عشيرة بَني كلب التقيّة باسم المهدية على الحاكم العباسي في المدينة بعد أن عيل صبرها. بعد أن تحرّكت قوات الشرطة نحو سلمية اضطر عبد اللّه المهدي في خاتمة المطاف إلى أن يغادر. وبعد رحلة طويلة محفوفة بالمخاطر نحو الشرق، لقي ترحيباً حارّاً وحمايةً

في مركز الدعوة في شمال أفريقيا. تمرّدت عشيرة كتامة البربرية لدى وصول قائدها الروحي، بقيادة الداعية أبي عبد الله الشيعي ضِدَّ الحاكم الأغلبي في شمال أفريقيا. كان لسقوط حكم الأغالبة انتفاء للسيطرة العباسية في غرب العالم الإسلامي.

اختار الإمام الخليفة الفاطمي الأول المهدي مسكنه في المدينة القصر «رقادة» قرب عاصمة بني الأغلَب القيروان سنة ٢٩٧ هـ/٩٠٩ م. هذه هي الظروف التي أدّت إلى نشوء الإمبراطورية الفاطمية.(١٦) ولمدة ٢٥٠ سنة مقبلة، كان على الخلفاء العباسيين مواجهة خصوم أقوياء وجديين تحدوهم عقيدة دينية مثالية تهدف إلى التوسع في مناطق جديدة وضمّها إلى الدولة الفاطمية.

ومن الإنجازات الكبرى في هذا الاتجاه، احتلال الفاطميين لمصر، وهذا تقدُم آخر يحرزه الفاطميون في ذروة نجاحاتهم السياسية. ومع تأسيس عاصمتهم في القاهرة ـ التي حكمها حتى الآن أتباع العباسيين ـ تمتّع الفاطميون بمنطقة نفوذ من المحيط الأطلسي إلى شرق البحر المتوسط. بقيت القاهرة عاصمةً لإمبراطورية تتوسع دون توقُّف لعدة عقود بُعيد ذلك التاريخ. ثم احتُلّت المدينة سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٩ م على عهد الخليفة الإمام

---

(١٦) تقرير شخصي وأصلي حول المهدي في سلمية، رحلته المحفوفة بالمخاطر إلى شمال أفريقيا مروراً بقواعد الدعوة في فلسطين ومصر، وقصة وصوله إلى شمالي أفريقيا أملاها جعفر حاجب المهدي من الذاكرة.

إن المصدر المعروف تحت عنوان **سيرة جعفر الحاجب**؛ ورد مع مؤلف آخر يدعى محمد بن محمد اليماني.

أما النص العربي فقد حققه و. إيفانوف:

Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt, 4 (1936), pp. 107-133.

وترجم أيضاً في كتاب إيفانوف:

Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, pp. 184-23.

المُعزّ: (٣٤١-٣٦٥ هـ/ ٩٥٣-٩٧٥ م). تحوّلت القاهرة إلى مركز الحكم الإداري والديني والسياسي للفاطميين؛ وفيها القصور الملكية والوزارات (أي الدواوين) مثل ديوان الأموال، وديوان الجيش وديوان الإنشاء.

إبّان الحكم الفاطمي تحوّلت القاهرة إلى عاصمة مزدهرة ترعى المفكرين في حقول القانون، والدين والفلسفة والعلوم والفنون والآداب. وتحوّلت إلى مركز الدعوة الأم التي يرأس تراتبيتها الهرمية المتشابكة داعي الدعاة.[١٧] وضمن ديوانه نجد جامعة الأزهر وأكاديمية دار العلم؛ كما استقطبت هذه الدور خيرة المفكرين الموهوبين من كل أنحاء الإمبراطورية وحتى من وراء الحدود، من إيران على الخصوص للتدرّب والتثقّف؛ بعض هؤلاء مكثوا في القاهرة لسنوات أو لبقية عمرهم حيث واصلوا دعوتهم وألّفوا الكتب لإغناء التراث الفاطمي الديني والفلسفي الأدبي المتنامي آنذاك.

كانت سياسة الفاطميين تجاه الأكثرية السُنيَّة والمسيحيين واليهود في حدود ولايتهم سياسة تسامح إلى حدٍّ كبير وهدفوا إلى إدخال هذه الجماعات ودمجها في المجتمع. أمّا النُخَب الفاطمية فقد فتحت السبل أمامهم ليتضلّعوا بمهام إدارية، سياسية وعسكرية. وكان كل أفراد الإثنيات التي تتشكّل منها الدولة، من بربر وتُرك وأفارقة وديالمة وعرب في خدمة الدولة وبخاصة الجيش. ولكن في مرحلة متقدّمة تحوّل التنوّع الإثني مصدراً دائماً للتشنجات في الجيش. ولكن عندما أصبح هذا الصراع واقعاً لا مفرَّ منه، بات سبباً أساسياً لانقسامات حادة وتفتت الدولة في النصف الثاني من حكم الخليفة الإمام المستنصر (٤٢٧-٤٨٧ هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤ م)؛ فحكمه الذي امتدّ

---

(١٧) نجد لقب داعية الدعاة في مؤلفات تابعة لمؤرخين من السنة تناولوا الدولة الفاطمية. وهذه التسمية نادرة في المؤلفات الإسماعيلية حيث يستعمل لقب باب أو باب الأبواب.
انظر: دفتري: *The Isma'īlīs*، p. 227.

ستين سنة، كان شاهداً على وصول الدولة الفاطمية إلى الذروة كما شهد أيضاً بداية الانحدار وصولاً إلى سقوط الدولة.

بعد فترةٍ قصيرة من استيلاء الفاطميين على القاهرة ودخولهم إليها دخولاً مظفّراً، نجحوا في استمالة الحكام المحليين في مكة والمدينة وهما المدينتان المقدّستان في العالم الإسلامي. أخيراً أدرك الحكّام العباسيون في بغداد أن هذا التوسُّع الفاطمي هو أكثر من تحدٍّ سياسي؛ أصبحت من الآن فصاعداً المدن المقدّسة الإسلامية مركزاً للدعوة الفاطمية.

بعد وقتٍ وجيز تمركز الحكّام الفاطميون في المدن الفلسطينية الساحلية وصولاً إلى طرابلس. لكن التوسُّع نحو وسط وشمال سوريا تعثّر وبدا صعباً ولكن تواصل بالرغم من كل هذه الصعوبات. وأخذت القوات العسكرية الفاطمية تهاجم وتحتلّ من حينٍ إلى آخر مدينة دمشق. وأخيراً تمَّ الاستيلاء على مدينة حلب في عهد الخليفة الإمام الحاكم بأمر اللّه (٣٨٦-٤١١ هـ/ ٩٩٦-١٠٢١ م) وذلك أيام والد المؤيِّد؛ في تلك الحقبة اعترف حليف العباسيين في شمال العراق قِرواش بن مُقَلَّد قائد عُقيلد، موقتاً بالإمام الإسماعيلي. وفي إبّان حكم «الحاكم» طرق الفاطميون أخيراً أبواب بغداد؛ إذ أصبح رسل الفاطميين ناشطين في بغداد نفسها وحتى في قصر الخليفة العباسي.

وفي الحيِّ الشيعي المدعو «الكرخ»، وهو مركز المعارضة المتأجِّجة دوماً، غالباً ما يُسمع شعار مؤيّد للفاطميين: «يا حاكم يا منصور».[١٨]

---

(١٨) أبو بكر بن عبد اللّه بن الدواداري: **كنز الدُرر وجميع الغُرر**، الجزء السادس.
الدُرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، طبعة صلاح الدين المنجد، (القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م)، ص٢٧٢.
ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، (حيدر آباد ١٣٥٧-١٣٥٩هـ/ ١٩٣٨-١٩٤٠م)، جزء ٨، .pp. 72f
كليم: *Die Mission*، .pp. 129-133

وبسبب استدامة الصراع الديني والسياسي مع أعدائهم، اتخذت الشرطة البويهية إجراءات سياسية قاسية ضِدَّ مناصري الدعوة الفاطمية في العراق، كما تسبّبت الصراعات بردة فعل مناهضة للإسماعيلية من قبل مناصري الخليفة وأسياده البويهيين في بغداد. وأخذ علماء اللاهوت السُنّة والشيعة الإثني عشرية يشنّون حملات دينية وجدلية تشير إلى ضلال الفاطميين في ادعائهم أنهم من سلالة النبي.

حياة المؤيَّد

بعد انقضاء بضعة عقود على الأحداث الآنفة الذكر، راوح التوسُّع الفاطمي مكانه، والصراع مع العباسيين وقف عند حدٍّ معين. بينما في بغداد مركز الخلافة السُنيَّة وقاعدة الدين والسياسة لديها، فقد ظهرت صراعات جديدة: العسكر التركي في صراع متواصل مع العسكر الديلمي وأصبح القادة البويهيون يتنازعون في ما بينهم أكثر فأكثر وانقسمت مناطق نفوذهم. أمّا أبو كاليجار هدف دعوة المؤيَّد الذي حكم فارس، وكرمان وخوزستان وعمان منذ سنة ٤١٥ هـ/ ١٠٢٤ م، فقد كان يواجه نزاعاً متواصلاً مع عمِّه جلال الدولة الأمير الأكبر في عاصمة الخلافة بغداد، حيث ظهرت المعارضة وبدأ الامتعاض من العسكر البويهي يقال علانيةً، وأظهر أتباع الخليفة معارضتهم للبويهيين الذين أذلّوا رأس الإسلام السُني وتسامحوا مع الشيعة والمدرسة اللاهوتية العقلانية لفرقة المعتزلة. بسبب هذه المعارضة المطردة ضِدَّ البويهيين، تمكّن الخليفة العباسي القادر (٣٨١-٤٢٢ هـ/ ٩٩١-١٠٣١ م) والخليفة القائم (٤٢٢-٤٦٧ هـ/ ١٠٣١-١٠٧٥ م) من استعادة جزءٍ من قوتهما وسلطتهما السياسية.

سنة ٤٠٩ هـ/١٠١٨ م أصدر القادر رسالته الشهيرة وفيها شرح لعقيدته الدينية، السياسية والشريعة وهي ترتكز على العقيدة السُنيَّة الحنبليَّة معتبراً أنها عقيدة الخلافة الرسميَّة. قُرئت هذه الرسالة التقليديَّة جدّاً والمُعادية للشيعة

أمام حشدٍ كبيرٍ من الأعيان والرسميين. في عهد إعادة الاعتبار المزعومة للإيديولوجيا السُّنيَّة وهي عملية إعادة إحياء للتقليد الأورثوذكسي، انطلق مجدداً العداء للشيعة وبدأت الانتفاضات والبلابل.(١٩)

نُشر «الاعتقاد القادري» مجدداً سنة ٤٣٣ هـ/ ١٠٤٢م إبّان فترة حكم القائم، شعرت بغداد برمّتها بتأثير هذا الاعتقاد الذي امتدّ ألَقه إلى كل أنحاء الإمبراطورية العباسية كما نقل المؤيَّد وشهد.

لقد عاش المؤيَّد وعمل في فارس وسط تناقضات وتجاذبات مختلفة شكَّلت حقلاً من الاحتقانات. وكما سنرى فقد تأثّر مصيره بالعلاقات الصعبة والمتوترة بين الفاطميين وبين العباسيين وهما قوتان إمبراطوريتان لهما تاريخ طويل من العدواة الدينية، السياسية والإيديولوجية. لقد تأثّرت سيرة حياة المؤيَّد أيضاً بصراع القوى المطرد بين الخليفة وبين الأمراء البويهيين قادة العسكر في المملكة العباسية. وقرابة بداية دعوة المؤيَّد كان الصراع قد شهد نمو الإيديولوجية السُّنيَّة واستطاعت القوى التقليدية الأرثوذكسية أن تبسط اليد الطولى وتستقوي على العقلانية الشيعية والجماعات الدينية الأخرى. أزكى الصراع السياسي الناتج عن المواجهات الحادّة بين الفريقين، صراعاً آخر داخل العائلة البويهية وبين الحكام البويهيين في المناطق والقائد البويهي الأعلى في بغداد.

ولم يكن هذا كل شيء؛ فثمة صراعات أخرى ستترك بصماتها على حياة المؤيَّد: الاجتياح الذي نفَّذته قبيلة الغُزِّ التركمان، الذين كانوا يشنُّون

(١٩) جورج مقدسي: *Ibn 'Aqīl et la résurgence de l'Islam traditionaliste au XIe siècle*، (دمشق، ١٩٦٣)، pp. 281-327.

ابن عقيل ونهوض الإسلام التقليدي في القرن الحادي عشر.

إيريكا غلاسن: *Der Mittlere Weg. Studien zur Religionspolitik und Religiosität du späten Abbasidenzeit* (Wiesbaden 1981), pp 9-34.

الغارات من مناطقهم في وسط آسيا بشكل متواصل نحو الوسط الإسلامي وقد أثبتوا أنه ما من أحد بقادرٍ على إيقافهم. وفي سنة ٤٢٦ هـ/ ١٠٣٥ م تمكّنوا بقيادة عشيرة السلاجقة من عبور نهر آمو داريا مع خيولهم ومواشيهم. وبعد بضع سنين هاجموا واحتلّوا شرق إيران وعلى وجه التحديد أراضي الحكم السُّنيّ الجبري الغزنوي.

خلال دعوة المؤيَّد في فارس، كان السلاجقة قد أصبحوا يشكِّلون تهديداً حقيقياً شرق موطنه. ولمّا وصل إلى مصر سنة ٤٣٦ هـ/ ١٠٤٥ م. أو ربما سنة ٤٣٧ هـ/ ١٠٤٦ م. كان حلفاء كاليجار، همذان غرب إيران على وشك السقوط، مما أدَّى إلى فتح الطريق أمام السلاجقة باتجاه بغداد. بعد عشر سنوات وعلى وجه التحديد سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥ م دخل طُغرُل بِك العاصمة مدّعياً أنه سيخلّص الخليفة العباسي من وصاية البويهيين. تلقّى دخوله ترحيباً حاراً من قبل السُّنّة في المدينة. ومع دخوله انقرضت سلالة البويهيين. ولكن قبل أن تُسلّم المدينة رسمياً إلى السلاجقة تمكّن الثائر التركي البصاصيري من دخول المدينة لوقتٍ وجيزٍ باسم الفاطميين. ولا بدَّ من أن يكون المؤيَّد بذاته (وهذا ما سنراه في فصلٍ آخر) قد شجعه على هذه المحاولة الشجاعة سرّاً. فما بين شهر ذي القعدة ٤٥٠ هـ/ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٠٥٨ م) وبين شهر ذي القعدة هـ (كانون الأول/ ديسمبر ١٠٦٠ م) كانت عظة الجمعة تلقى باسم الإمام الفاطمي المستنصر الذي أصبح، لسنةٍ واحدةٍ على الأقل قائداً سياسياً للعالم الإسلامي.

القسم الأول

مذكرات المؤيَّد في فارس

الفصل الأول

نهضة داعية وسقوطه

نريد في هذا الفصل تقديم الجزء الأول من سيرة المؤيَّد. يبدأ الداعية بذكر السبب الذي يدفعه إلى تدوين الأحداث التي حصلت خلال رسالته في عاصمة البويهيين شيراز في فارس. وبلغة عربية فخمة يعطي تفاصيل دقيقة مبنية على تسلسل تاريخي موثوق لتعاقب الأحداث، مبتدئاً بالفطر الإسماعيلي آخر شهر رمضان من سنة ٤٢٩ هـ/١٠٣٨ م، ومنتهياً بُعيد وصوله إلى مصر، وذلك في سنة ٤٣٧ هـ/ ١٠٤٥ م أو ٤٣٨ هـ/١٠٤٦ م (راجع الفصل الثاني). لقد دوّن المؤيَّد تقريره ببلاغة أدبية؛ فغالباً ما تكون كتاباته نثراً مسجّعاً، يتقاطع من حين إلى آخر مع حوارات حية، وقصائد من وضع المؤيَّد وأحلام، وقصص وأمثلة. يُعدّ هذا التقرير تحفة أدبية عربية من القرون الوسطى بالإضافة إلى أنه مصدر نادر للأحداث التاريخية.

مدخل (السيرة: ٣-٤)

يقدّم المؤيَّد شارحاً سبب تدوينه الأحداث في فارس وكيف قرَّر أبو كاليجار وعصابة السُنّة تدمير الدعوة الإسماعيلية وإذلال قادتها. وهو يريد الاحتفاظ بسجل الأحداث للأجيال القادمة، وبخاصة لأن بعض المراقبين عن قرب قد يكتشفون مدى عظمة نعمة اللّه الخفيَّة، الذي يمنح كل حدث

تحوّلاً فجائياً وأخيراً يسحق مؤامرات الشيطان، فيحصل أمرٌ غير متوقع وخاتمة جديدة تُظهر مدى قدرة معرفة اللّه اللامتناهية.

يطلب المؤيّد الإلهام من اللّه كي يتمكّن من تسجيل الحقيقة كما هي حول الأحداث الكوارثية والنتائج السيئة التي انعكست على حياته. ويتمنّى أن يكون ما سجّله في مدوّناته عبرةً عن رجلٍ هدَّمه ورُمي في بحار الحيرة.

أسباب عدائية أبي كاليجار (السيرة: ٤-٥)

كان للسلطان الفتيّ والذكي جداً أبي كاليجار البويهي معلِّمٌ شحن قلبه بالعداء والعنف ضد الإسماعيليين الذين يشار إليهم بِـ«أهل البيت»[1] توفي المعلّم ولكن خلال حياته كان شديد العداء للشيعة وتجاه المؤيَّد على الخصوص، وهذه الكراهية التي نمت لدى أبي كاليجار تواصلت وتغذّت بواسطة مجموعة من أهل البلاط والعسكر التركي، الذين أوغلوا صدره ضِدَّ الإسماعيليين وجعلوه يصدّق أنهم ملحدون وهراطقة لا يقيمون الصلاة ولا يصومون رمضان. وحذّروه من أن الإسماعيليين سيشكّلون خطراً جديًّا عليه بما أنهم يدعون لحاكم مصر الفاطمي. هذه البلبلة المستمرة كما يقول المؤيَّد أججت نار الموقدة وعزّزت التعصّب وبثَّت روح الشقاق.

الفطر وخاتمة صوم رمضان (السيرة: ٥-٦)

في ختام شهر رمضان سنة ٤٢٩ هـ (٦ تموز/يوليو سنة ١٠٣٨ م)، كان المؤيَّد يحضّر إفطاراً لمجموعة من الناس في باحة منزله. وبما أن البدر

(١) أهل البيت هم أعضاء عائلة الرسول (صلعم) والشيعة بالإجمال الذين يعودون بالنسب إلى فاطمة الزهراء عليها السلام بواسطة الأئمة المتحدرين منها وهي ابنة النبي (صلعم) ومن صهره علي بن أبي طالب عليه السلام. يستعمل المؤيّد هنا هذه العبارة مظهراً الاحترام للإسماعيليين بخاصة.

لم يكن قد شوهد بعدُ اعتبر الأمر استفزازاً في كل أنحاء شيراز، بَيْدَ أن أحداً لم يتدخَّل.[٢] في اليوم التالي بدأ الإسماعيليون الاحتفال وانضم إليهم عدد من العسكر الديلمي الإسماعيلي في منزل المؤيَّد. من ناحيةٍ أخرى، واصل السُنَّة صومهم لليوم التاسع والعشرين. وبسبب الاحتقان السائد في المدينة طلب المؤيَّد من ضيوفه أن يتحلّوا بالصبر والتقوى فلا يجب أن يُمنح العدو ذريعة للقيام بأعمال شغب. وأكثر من ذلك فقد ساد الغضب بين أفراد جماعة السُنَّة بسبب إفطار الإسماعيليين المبكر. لكن عندما ظهر هلال رمضان في كبد السماء في المساء أدركوا أن خصومهم كانوا محقين وهم صاموا يوماً زيادة عن المطلوب. هذا الأمر زاد في حنقهم وعداوتهم تجاه الإسماعيليين.

المؤيَّد يقيم علاقات مع وزير أبي كاليجار (السيرة: ٦-٩)

في اليوم التالي دعي المؤيَّد للمثول أمام الوزير العادل بهرام بن مافنة.[٣] امتدح الداعية ذكاء الوزير ونزاهته ونبله. حذَّر العادل المؤيَّد وأبلغه

---

(٢) لأجل تحديد نهاية شهر رمضان يستعمل الإسماعيليون طريقة الحساب الفلكي؛ بينما السنة يفطرون لدى رؤية القمر الجديد المكتمل.

(٣) وزير أبي كاليجار من ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م، و ٤٣٣هـ/٤٢-١٠٤١م. يذكر المؤرخون الوزير العادل لأجل ذكائه ووفائه وعقلانيته. كان أيضاً معروفاً لحبّه للعلوم؛ فقد تبرّع بمكتبة شهيرة تحوي الآلاف من المصنفات والكتب ومجموعة ثمينة من المخطوطات بيد أشهر الخطاطين.

انظر ابن الجوزي: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، (حيدر آباد ٥٩-١٣٥٧هـ/ ٤٠-١٩٣٨م)، جزء ٨، ص١١١.

ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، (بيروت ٨٧-١٣٨٥هـ/ ٦٧-١٩٦٥م)، الجزء ٩/ ص ص٣٦٠، ٥٠٢.

ابن البلخي: **فارس نامه**, ed. G. *Le Strange and R.A. Nicholson* (Cambridge, 1921), pp 166, 139.

أن أبا كاليجار اعتراه الغضب لمّا شاهد الحشود السُنيّة الغاضبة في اليوم السابق والسلطان يزمع على قتل المؤيَّد مثير الشغب إذا لم يغادر البلاد. وأكثر من ذلك، فقد دعا قاضي المدينة الوزير ليشتكي باسم رؤساء الدين والجموع في المسجد.(٤) لقد حمّلوا المؤيَّد مسؤولية انتشار الهرطقة وطلبوا الإذن بتدمير منزله والإجهاز على كل حيٍّ فيه. حاول العادل إقناع القاضي بأن هذا التحرّك سيؤدي إلى انتفاضة دموية من قبل العسكر الديلمي. وبالمقابل، هدَّد القاضي باستنهاض العسكر التركي. ويأسف الوزير كل الأسف أن رجلاً حريصاً كالمؤيَّد أصبح من غير حق هدفاً لغضب السلطان؛ والآن ها هو يتمنَّى عليه بجدّية تامة وينصحه بمغادرة المدينة دون تلكؤ وسيؤمن له أي دعم مطلوب خلال رحلته حيثما يقرر الذهاب.

في مرافعته الطويلة يشرح المؤيَّد مدى تجرُّده في رسالته الدينية بالإضافة إلى تواضعه الشخصي وفَقْرِه. ثم ينتقل إلى انتقاد سياسة أبي كاليجار الخطرة، وعقلية القاضي المادية والفاسدة عندما أتى ليشتكي. بَيْدَ أنه يعلن صراحةً بأنَّه على استعداد تام للانصياع وطاعة الوزير والعمل بنصيحته. في الليلة التي أعقبت الاجتماع بالكاد فكَّر المؤيَّد بالاستراتيجية التي عليه اعتمادها. في اليوم التالي أوعز في الصباح الباكر إلى الوزير يعلمه أنه لن يسامح نفسه أبداً إذا فرّ من بلده هكذا بكل بساطة. فلا شيء يمكن أن يكون أكثر خطراً من إقدامه على هذا الفعل. وطلب من الوزير العادل أن يمنحه على الأقل بضعة أيام حتى يبيع منزله الصغير ويعدّ العدة للرحيل. وقبل أن

(٤) كان عبد الله قاضي قضاة فارس عدو المؤيَّد. يخبر ابن البلخي، القرن السادس هجري - الثاني عشر ميلادي في كتابه **فارس نامه**، ص١١٩، أن عبد الله حاول تحصين أبي كاليجار من نفوذ وتأثير داعية إسماعيلي يُدعى أبا نصر بن عمران أبي المؤيَّد. إن عائلة القاضي صاحبة النفوذ (راجع: **فارس نامه**، ص١١٧) تتحدر من سلالة قضاة نجدعبدالله هو قاضي قضاة البويهيين في فارس، كرمان، مكرات وعُمان أيام خلافة الخليفة العباسي الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م) والبويهي عضو الدولة.

يترك الوزير لم ينسَ أن يذكّره بالتناغم الموجود بينهما وتالياً مع العسكر الديلمي الجاهز دوماً لمساعدته في حال واجه أية مشكلة. إذا أدرك العساكر ما يحصل فقد يستثارون بلا ريب ويغضبون وتؤول القضية إلى وضع لا يحمد عقباه، وبذلك لا يريد المؤيَّد أن يتحمَّل مسؤولية ما سيحصل.

عرض الوزير على المؤيَّد أن يمكث في منزله وينقطع عن العالم الخارجي انقطاعاً تاماً. اعترض الداعية شارحاً للوزير أن العسكر الديلمي سيتساءلون حول غرابة هذا التصرف من قبل مرشدهم الروحي؛ وهو الذي يعاملهم معاملة الأب لأبنائه. ولكن بأية حال هو على استعداد تام لكي يتَّبع أوامر الوزير. وفي المنزل والأبواب موصدة بإِحكام أخذ يبتهل إلى اللَّه كي تنجلي فصول هذه الفضيحة وتوضع تحت نور الحقيقة.

الاحتقان يتصعَّد في شيراز (السيرة: ٩-١٢)

وكما أمِلَ المؤيَّد انتشر خبر حبسه في منزله كما النار في الهشيم وعلمت شيراز بأسرها بما يحصل. زحف العسكر الديلمي على سوق الماشية يعتريهم حنق شديد بسبب الذلِّ والإجحاف اللاحقين بهم، وهم على عكس المسيحيين واليهود يمنع عليهم ممارسة شعائرهم ومعتقداتهم الدينية. فبعثوا برسالة احتجاج إلى الوزير يعلنون فيها أنهم مصمّمون على الردِّ بقوة وبطش في حال تعرّضوا لمحاولة إذلال جديدة.

تلقَّى العادل الأوامر لتهدئة الأزمة الناشئة مع اشتداد حمَّى الاحتجاج في شيراز فبعث يطلب استدعاء القاضي وكلٍّ من يشاطره رأيه المتطرِّف مثل الوُعَّاظ والصوفيين. وفي طريقهم إلى القصر صادفوا الجند الديلمي وهم يعبرون خطوطهم فأخذ الجند باستفزازهم وشتمهم. فبالإضافة إلى الصدمة التي تركتها في نفوسهم دعوة الوزير، اعترتهم سورة من الخوف، ورفض الوزير العادل بشكل قاطع تصرُّف الجند الديالمة؛ كما اتهمهم بخلق حالة من البلبلة ما يهدِّد البلاد بحرب أهلية وشيكة وفي الوقت نفسه طمأنهم أن المؤيَّد

لن يُرسل إلى المنفى، ولكنه بحاجة إلى البقاء في المنزل لبضعة أيام حتى يستكين الوضع وتحلّ الأزمة. وأكّد لهم أن المؤيّد بأمان ولن يلحق به أدنى مكروه.

بعد بضعة أيام حصل المؤيّد على إذنٍ حكومي يمنحه الحق في عقد مجالسه الدينية كالعادة بالاستناد إلى دوره كرئيس لطائفة إسماعيلية.[٥] ولكن المؤيّد وجد أنه من دواعي الحيطة والحذر أن ينقل كتبه وملفّاته إلى مخبإٍ سري في مكان ما، وبعد ذلك ينتظر ويرى ماذا سيكون عليه مصيره. لكن فيما بعد عدل عن قراره وقرّر مغادرة شيراز والسفر إلى الأهواز، وهي مدينة تقع ضمن مملكة أبي كاليجار وهي تشكّل نقطة تجمُّع للجند الديلمي؛ حيث سينتظر حتى يمنحه اللّه نعمة ويرشده إلى السبيل.

ولدهشة المؤيّد يكتشف أن أبا كاليجار مزمع على التوجّه أيضاً إلى الأهواز. لن يسافر الآن بمفرده! وبينما هو يحضِّر رحيله بجدّية، يتلقَّى رسالة تحوي أمراً مكتوباً من الوزير يمنعه من الانضمام إلى القافلة. فأبو كاليجار مستاء جداً على ما يبدو من انضمام الداعية الإسماعيلي المثير للمشاكل إلى قافلته. فيهرع المؤيّد عجولاً إلى الوزير العادل ويشتكي من معاملة إنسان بريء ضعيف ومكروه بهذه الطريقة. ولكنه يحظى بتأنيب جديد على تصرّفاته. ويبلّغه الوزير صراحة أن أبا كليجار لا يطيق سماع اسمه ولا يحتمل حتى أن يمكث بقربه. لذلك نصح الداعية المذلول أن يلزم الصمت والهدوء ولا يأتي بحركة؛ فغادر مجلس الوزير خائفاً ومستسلماً، بينما رافق عسكر الديالمة الحاكم إلى الأهواز بعد أن سمح لهم بذلك.

الشتاء في بسا (السيرة: ١٢)

أمضى المؤيّد فصل الشتاء في بسا وهي المدينة التي تقع على مسافة

(٥) انظر تتمة (٢) حول مهام الداعية ومسؤولياته في باب قوم المؤمنين.

أربعة أيام سفر إلى الجنوب الشرقي من شيراز؛ وفيها عدد كبير من السكان الشيعة وعدد مماثل من الديالمة. هؤلاء ما لبثوا تحت قيادة وإرشاد المؤيَّد أن بدأوا في بناء «مشهد» وهو كناية عن بناء ديني يصلح لأن يكون قبراً أو مقرّاً لذخائر رجل قديس. ولكن لسببٍ نجهله لا يذكر المؤيَّد لمن خصص هذا المشهد من الأولياء والقديسين الشهداء، ولا يذكر حتى أسماء المشاركين في إنشاء هذا المبنى بحماسة شديدة. لا ريب في أنَّ هدف هذا البناء كان لاستجلاب الإسماعيليين الذين يعيشون أو يعبرون هذه المنطقة المهملة بعيداً عن حدود الإمبراطورية الفاطمية. ربما كانت فكرة المؤيَّد تهدف إلى استمالة الشيعة على وجه العموم.[٦] على كلٍّ حال تواصل بناء المشهد بوتيرة متسارعة مما حدا بسكان المدينة إلى تأمُّله بدون انقطاع والاستمتاع بهندسته الراقية. انتهى بناء المشهد مع بداية الصيف، وعرف المؤيَّد أن أبا كاليجار في طريق العودة إلى شيراز، فشعر بأنه حان الوقت مجدداً ليكون هو في مركز الأحداث، فعاد بسرعة ممتطياً ناقته.

الداعية ينشط (السيرة: ١٢-١٦)

بالعودة إلى شيراز، أخذ المؤيَّد يتصرّف بحذر واعتمد وسيلة الكمون والانتظار ليرى إلى ماذا ستؤول إليه الأحداث. ذات يوم قصد ومجموعة من الأصدقاء الديالمة إلى احتفالٍ أقيم على شرف رفيق عائد من الأهواز حيث

---

(٦) لعب الفاطميون دوراً مهماً في تاريخ الفنون الإسلامية. فقد بنوا صروحاً هندسية رائعة وأقاموا النصب والمنحوتات كما عُرف عنهم صناعة المنسوجات الفنية البالغة في روعتها. وبما أن الأئمة الخلفاء كانوا قد شرعوا الفن الديني فقد ازدهرت الفنون الهندسية في عهدهم وأجادوا في بناء الجوامع وأماكن الصلاة ودور العبادة والصروح التذكارية وذلك من أجل إعلاء قوة السلالة الفاطمية وإظهار ميزتها الروحية.

أنظر: C.f. Marianne Barrucand. 'Des constructeurs de talent', in *Trésors Fatimides du Caire*, (Paris 1998, pp 60-69).

يحتوي هذا الكتاب على مصنفات عن الفنون الفاطمية التي عرضت في باريس سنة ١٩٩٨.

التقى أحد المقرَّبين من الحاكم البويهي أبي كاليجار. وكان المؤيَّد قد أظهر نفسه على أنه مستعد لإرضاء الجميع منذ عودته من بسا. فاشتكى لصديق الحاكم من وضعه الشائك وكيف أنه يعامل بطريقة سيّئة للغاية في مملكة ديلميّة (أي شيعية أيضاً) وحيث الحاكم ديلمي هو الآخر؛ وأنه لأجل استتباب السلام والاستقرار في الإمبراطورية فمن الواجب أن ينقل مقربو الحاكم صورة الوضع إليه ويلفتوا انتباهه للوضع المأساوي الذي يعتري قضايا الدولة.

حدث كما شاء المؤيَّد ولم يمضِ وقت طويل حتى سمع الحاكم بتفاصيل الحديث الذي جرى بين المؤيَّد وبين الوسيط الذي سرعان ما نقل له الجواب. من جديد انهالت الاتهامات على الداعية الإسماعيلي وتهمته الآن أنه يحضّر لإثارة البلبلة من خلال محاولته السيطرة على صلاة وخطب الجمعة في المدينة. ولكن خيّر في حال كان على استعداد لإنكار معتقداته حينذاك سوف يتمتع بالحماية. احتوى ردّ المؤيَّد على مرافعة تؤكّد على أنه بريء من كل الافتراءات وأن مقاصده شريفة. وعلى هذا الأساس وجّه رسالة إلى أبي كاليجار يشير فيها إلى أنه ما من أمرٍ خطر في معتقداته؛ وبما أن الحاكم يدري بكل شيء بحكم موقعه، وأن أسلافه موجودة لديهم المعتقدات نفسها؛ لا بدَّ من أن الحاكم قد وقع ضحية معلومات مضلّلة. ولأنه في ريعان الشباب وكامل الصفات وذكي فيتحتم عليه والأمر كذلك أن يصبح على استعداد ليصغي إلى كلمات المؤيَّد وحججه.

تلقّى المؤيَّد بدايةً جواباً مهادناً، فباسم الوزير العادل يُمنح المسالمة ويُسمح له بأن يمارس أعماله وشؤونه الخاصة ضمن الحدود المتعارف عليها، وذلك من خلال عدم المساس بمشاعر العامّة والتسبّب بمشاكل. فرح المؤيَّد في سرّه لأنه استطاع أن يهدّئ روع الحاكم وذلك بفضل موهبته الخارقة وبلاغته النادرة. لقد ذكّر الوزير بالوضع الجيّد الذي كان يتمتّع به والده صاحب المنصب الرفيع والنفوذ خلال حكم الوزير فخر

المُلك.[7] ويستذكر المؤيَّد أيضاً أيام طفولته، عندما كان والده يقصد إلى القصر ليعبِّر عن احترامه وولائه وكان الوزير يعامله بالمثل، فكم كان الوزير يقصد إلى منزل والد المؤيَّد ليلاً، بينما كان المؤيَّد وهو لا يزال فتيًّا آنذاك يهتم بضيافة الزوَّار الآخرين وهم ينتظرون خارج الدار. ترك المؤيَّد الوزير العادل وهو في حالة من الرضى والتفاؤل الشديدين.

في الليلة عينها غادر الحاكم في رحلة صيد، وبما أن أبا كاليجار لم يلتقِ المؤيَّد، خطرت للأخير فكرة تقديم نفسه إليه، وذلك عبر مثوله جاثياً ومصليًّا أمامه، وهكذا يجمِّل صورته أمام الحاكم في نهاية المطاف. يحصل كل شيء بحسب الخطة. يفرح الحاكم البويهي ويمنح المؤيَّد إذنه الشخصي ليقف ويمتطي صهوة جواده. بعد وقتٍ وجيز أنبأه الوزير العادل أن الحاكم أُعجب به للغاية. وبعد بضعة أيام عاد أبو كاليجار من رحلته، كرّر المؤيَّد مثوله أمام الحاكم. ومنذ ذلك الحين سُمح له أن يحضر إلى مجلس البلاط. أخيراً نجحت استراتيجيته في التقرُّب من الحاكم.

ذات يوم، أمر الحاكم أن يتواجه المؤيَّد وخصومه السُّنَّة في مناظرة دينية. تمكَّن المؤيَّد من جعل المناظرة مكتوبة لكي يتحاشى خسارة موقعه الممتاز في حمأة الجدال. وموضوع المناقشة هو تأويل القرآن وهو الموضوع

---

(٧) بحسب ابن خلَكان «**وَفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**»، طبعة إحسان عبّاس، (بيروت ١٩٦٨-٧٢)، جزء ٥، ص١٢٤، كان فخر الملك أبو غالب محمد بن عبدالله أحد أقوى الوزراء البويهيين. من سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م إلى سنة ٤٠١هـ/ ١٠١١م. وكان مستشاراً أوّل للأمير البويهي أمير الأمراء بهاء الدولة الذي سكن في شيراز. أرسل سنة ٤٠١هـ إلى بغداد حيث تمَّ إعدامه بعد ست سنوات خلال فترة حكم سلطان الدولة خلف بهاء الدولة. عُرف عن فخر الملك تقواه ومحبته للفضيلة ولأعمال البرّ والإحسان، وكان يحمي ويرعى العلوم والآداب. وقد شرَّع الاحتفالات الممنوعة الخاصة بالأئمة الاثني عشر وموّل أعمال الترميم لمراقد الإمام علي (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام). كتب ابن خاطر أنه كان «ميَّالاً» للشيعة. انظر مؤلف ابن خاطر: **البداية والنهاية في التاريخ**، طبعة، (بيروت والرياض، ١٩٦٦)، جزء ١٢، ص5.f.

الأكثر حدّة وتبايناً من وجهة نظر العقيدة الإسماعيلية. فبحسب الإسماعيليين للنصوص القرآنية معنيان، المعنى الظاهر والمعنى الباطن. وحدهم الأئمة من سلالة النبي لديهم سلطة تفسير وتدريس هذه المعرفة الباطنية المستترة وراء المعنى الظاهر لفظاً في النصوص.

المناظرة (السيرة: ١٦-٤٣)

في هذا الجزء من السيرة يخصص المؤيَّد تفاصيل شتى للمناظرة بينه وبين خصومه. سنلخّص المقاطع التي لها علاقة بدراستنا. طلب أبو كاليجار من الداعية الإسماعيلي التعليق على مجموعة من الأسئلة ومنها هذه الآية من القرآن:

﴿ألم تَرَ أن الله يسجدُ له مَن في السموات ومن في الأرض والشمسُ والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثيرٌ من الناس وكثيرٌ حقَّ عليه العذاب ومن يُهِن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ (الحج: ١٧-١٨).

يطرح ههنا السؤال التالي: كيف نفسّر أن «الأسباب» مثل الحجارة والحيوان تسجد للّه الكليّ القدرة من دون معلم لا تُعطى الأفضلية على البشر الذين لا يسجدون أمام اللّه من دون علم؟

وهذا السؤال يؤدي إلى آخر: ما هو رأي المؤيَّد في شأن ظواهر القرآن؟ هل ثمة معنى لم يشر إليه اللفظ اللغوي في اللغة العربية؟ إذ كان الجواب نعم فإلى من نقصد لنستشير ونتعلّم؟ ما هي عقيدة ذلك الذي سنقصد إليه وما هي روحانيته؟ وكيف نثبت أنه هو الذي يعرف؟

يبدأ المؤيَّد ردّه بذكر قناعته الصلبة والفخور بباطن معاني القرآن. وفي بداية مرافعته يهاجم ألسن العامَّة التي تتناقل المعلومات كما تتلقنها من السلطة من دون معرفة رأي أهل الاستنباط، وهذه العودة إلى أهل الاستنباط

ذكرها اللّه في القرآن: ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم﴾ (النساء: ٨٢-٨٣).

وهو يذكر أيضاً آية أخرى مستشهداً بها ليثبت أن القرآن يفسّر بمعناه الباطن: ﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾ (آل عمران: ٦-٧).

ثم يتابع المؤيِّد الاستشهاد بالقرآن تالياً الآية تلو الأخرى ومثالاً:

﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ (يوسف: ٢٠-٢١)؛

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله﴾ (يونس: ٣٨-٣٩).

ويذكر المؤيَّد أيضاً الحديث النبوي الشريف: «أنا صاحب التنزيل وعلي صاحب التأويل».

وبحسب الداعية الإسماعيلي يُعتبر تأويل المعنى الباطن للقرآن علم العلوم: علم العاقبة وهي حقيقة تثبتها الآية التالية:

﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ (النساء: ٥٨-٥٩).

والتأويل هو غرض «آل يؤول» أي عائلة الرسول (صلعم).

وكما أن الإنسان يطلب الحماية لدى هذه العائلة في حالة الشدّة والصراع والملمات، كذلك يطلب حصانة التأويل القرآني، في حال الحيرة والإرباك والشك. لذلك يحتاج كلام الكتاب (أي القرآن) وعلاقته بالعقل (أي تحليل الإنسان) إلى التأويل.

يتابع المؤيَّد قائلاً إن أي إنسان واعٍ يعرف أن الرسول قد أعطى الدلائل التي تثبت تفوُّق اللغة العربية. والشعبَ الذي ينطق بهذه اللغة مُنح الطلاقة والبلاغة في كلامه. وكلام خلصاء هذا القوم فيه رموز وإشارات غير مفهومة من العامّة.

يقول الله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرا﴾ (الإسراء: ٨٧-٨٨).

المعنى الظاهر للقرآن هو معجزة رسول اللّه. أما تحقيق معناه الباطن وتفسيره فهو المعجزة التي حققها أهل بيت الرسول، والذي يقول إنه لشخص آخر فهو كذّاب. هذه الحقيقة قالها الرسول ومثبتة في قوله: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب اللّه وعترة أهل بيتي».

ثم يواصل: «تعلَّموا من عالم أهل بيتي أو ممن تعلَّم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار».

في نهاية هذه السلسلة من الاستشهادات يقول المؤيَّد إنه ما يزال هناك عدد من الشواهد تشعُّ كالشمس. بالعودة إلى افتتاحية أبي كاليجار التي تتصدّر المبارزة الكلامية، يوجه المؤيَّد كلامه إلى خصمه في المستقبل قائلاً إن الذي لن يرى بوضوح ويقتنع سيكون مثله مثل الذي لا يستطيع أن يميِّز بين الحجارة وبين روحه الكامنة فيه. ويتابع ساخراً من خصمه قائلاً إنه يفضِّل الحجارة على الروح بما أنّه وبحسب الآية القرآنية التي ذكرها (٢٢:١٨) حتى الحجارة تسجد للّه من دون أية تربية دينية، وأن خصمه هو الآخر سوف يسجد بعد تلقّيه تعاليم الدين، مع إهمال مسؤوليته الدينية بما أن الخصم لا يعترف بأئمة الشيعة. أما الردّ الذي جرى على لسان الخصم (السيرة: ١٧-٢٢) وهو عالم لاهوت سُنّي، فيرتبط بمناظرة المؤيَّد ردّاً على أسئلة أبي كاليجار الاستهلالية. إنه يتناول وبسرعة وبنبرة جدلية المقطع الأخير من تعليقات المؤيَّد، ويتهم الداعية أنه يزوِّر دفاعه، ويناقض نفسه، وأنه يفرّ من الأجوبة الملموسة وأنّه سطحيٌّ. وأكثر من ذلك، فهو لم يعطِ جواباً واضحاً ومتزناً على السؤال المطروح حول المعنى الباطن للقرآن. على الجواب أن يكون نعم أو لا! وبدل أن يمنح جواباً واضحاً، أعطى المؤيَّد تلميحات غامضة فحسب. بعد ذلك أخذ الخصم من موقعه يشرح القرآن

بالطريقة الصحيحة، وهو يعترف بضرورة التأويل، بَيْدَ أنه يجعل من هذه المهمة مسؤولية علماء السُّنَّة، وعلى رأسهم مؤسسو المدارس الفقهية الكبرى: أبو حنيفة والشافعي ورجال الدين الذين يخوضون مهمة التأويل استناداً إلى نهجهم. وهم يملكون أدوات العقل لمثل هذه الأمور كالقياس من أجل استجلاء كلمة اللّه والتفريق بين الصحيح والخطأ، وبين الحق والباطل. كما سوّغ لمرافعته باستشهادات من القرآن وآيات عدّة وكذلك باستشهادات من الحديث النبوي الشريف. وهو متحمّس جداً لفضح تناقضات المزاعم الداخلية التي ظهرت في مرافعة المؤيَّد.

مُنح المؤيَّد فرصةً للردّ بعد هذه المرافعة الطويلة من قِبَل خصمه. السيرة: (٢٢-٣٠)؛ تكلّم المؤيَّد مع المحافظة على نبرة الجدّ والجدال، بَيْدَ أنه لم يتورّع عن الكيل بمكيال خصمه؛ إذ استعمل وتيرة الاتهامات، السخرية، والتفنيد ليظهر فراغ موقف الخصم. وبما أنه منح خاتمة الكلام فلم يكن للخصم أيّ مجال للردّ.

في الجولة الثانية للمرافعة، كان على المؤيَّد أن يردّ على عالم لاهوت سُنّي يدعى الخراساني حول سؤال أبي كاليجار الاستهلالي. يعتمد هذا العالم على الكلام الظاهر في القرآن فحسب ولا يسمح إطلاقاً باستعمال طريقتي القياس أو التأويل لاستنباط المعنى الحقيقي للآيات في حال حصل شك أو عدم وضوح في المعاني. وهو يأخذ فقط بالأحاديث النبوية الشريفة، وبالمقارنة بما سبق يبحث هذا العالم التقليدي على شرعية لشرحه من خلال إسناد رأيه على الآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف (السيرة: ٣٠-٣٧). وبما أن المؤيَّد له الكلمة الأخيرة في عملية الردّ (السيرة: ٣٨-٤٢) فلم يجد صعوبة في المحافظة على موقفه الديني من خلال ذكر آيات وأحاديث شريفة تساند قناعاته. ومن جديد قطع الطريق على خصمه من خلال إظهار تناقضاته ومغالطاته.

وهكذا خرج المؤيَّد منتصراً من هذه المناظرة الفكرية التي تناولت المحاور الأكثر حدّة في معتقداته الدينية.

المؤيَّد يصبح معلّم أبي كاليجار (السيرة: ٤٣-٤٤)

أدّت هذه المناظرة إلى إقناع الحاكم بأحقيَّة مفاهيم المؤيَّد وأراد أن يضع روحه ومعتقداته بين يديه.[٨] أخذ الداعية الفخور يلقّن أبا كاليجار مبادئ الإسلام الإسماعيلي مرةً في الأسبوع من كل يوم جمعة مساءً. ومنح أفضل ما لديه ليروي غليل تلميذه المتعطّش إلى المعرفة، أخذت الدروس تتوالى بحسب الخطة التالية:

١ ـ مطالعة القرآن.

٢ ـ قراءة فصل من كتاب **دعائم الإسلام**.[٩]

٣ ـ تناول موضوع يطلب الحاكم من المؤيَّد إسناده.

٤ ـ تقديم الشكر لله وخطبة الجمعة باسم الإمام الفاطمي المستنصر في القاهرة.

---

(٨) هنالك عدد لا بأس به من الشخصيات المرموقة من التي اعتنقت العقيدة الإسماعيلية بعد سلسلة من المناظرات مع الدعاة، نذكر منهم أحمد بن علي حاكم الريّ من سنة ٣٠٧ إلى ٣١١هـ/ ٩١٩-٩٢٤م. وقد أقنعه أبو حاتم الرازي. وكذلك الأمر مع الأمير السّاماني نصر الثاني بن أحمد وقد عاش ما بين ٣٠١-٣٣١هـ/ ٩١٤-٩٤٣م. وقد استماله الداعية النسفي.

انظر كتاب فرهاد دفتري: *The Ismailis: Their History and Doctrines*, p.121؛ انظر أيضاً: Halm: *Empire of the Mahdi*, p.63 and;

قطب الدين: **المؤيد في الدين الشيرازي**، note.35, p.27.

(٩) **دعائم الإسلام: القانون الإسماعيلي**، من تأليف القاضي النعمان. توفي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م. طبعة أصاف. أ. أ. فايزي، القاهرة، ١٩٥١-١٩٦١.

الترجمة الإنكليزية صدرت تحت عنوان: A.A.A. Fyzee, revised by: *Isamili K. Poonawala:* *The Pillars of Islam*, (New Delhi, 2002), vol 1.

قال أبو كاليجار لوزيره العادل أنه يشكر اللّه لأنه أيقظه من غفلة حياته السطحية وجعله يدرك أن أخصام المؤيَّد هم جماعة من المتبلّدين التنابل يردّدون الكلام دون فهم.

أعداء المؤيَّد لهم اليد الطولى (السيرة: ٤٤-٥٤)

طلب الداعية الآن من الحاكم منع شرب الخمور في القصر، فأثار هذا الطلب حفيظة ندماء السلطان واستثار غضبهم. فقام أحدهم وهو أحد أنصار الدعوة السابقين بتأليب أبي كاليجار على المؤيَّد. ثم أخذ يصف الدعوة الإسماعيلية على أساس أنها هرطقة وهو الفاسد والخائن في آنٍ، كما نعت الإمام في مصر بأنه نصّاب ذو نزعة مادّية. نتيجة ذلك أخذ إيمان الحاكم البويهي يضعف شيئاً فشيئاً ويعتوره الغضب. عندما سمع المؤيَّد بهذه التطوّرات خاطب الحاكن بأن ثمة أناساً يتألبون معاً لإفساد علاقته به، وقد تُملي عليهم أنفسهم المريضة لإنجاز الأمر الذي يتوافق مع مصالحهم وهذا قد يؤدّي إلى التقليل من خط المؤيَّد عنده. ومن أجل دعم هذه الفكرة يقوم الداعية القلق برواية هذا المثل للحاكم المزاجي والمتقلّب: كان يا ما كان رجل رقيق الحال، يكسب رزقه من جمع الأحطاب في الفيافي والفلوات، يحملها إلى المدينة لكي يبيعها. في إحدى السنوات أتى الشتاء قارساً، وعندما كان الرجل المسكين يهمُّ بالخروج ليكسب رزقه ولعائلته، يتجمّد وجهه ويُقعده البرد. وبعد فترة انتظار أخذ الجوع يعضّ أولاده، فطلبوا من والدهم أن يقصد إلى أبعد نقطة في الفلاة وينتقي أكبر شجرة فيقطعها قطعاً عديدة تكفي لشراء كمية كبيرة من المؤونة تطعمهم عدة أيام.

نفَّذ الرجل مطلبهم ووجد شجرة كبيرة؛ رفع فأسه ليفرعها، فسمع صوتاً ينهيه عن عمله ويطلب منه أن يتوقف ويمتنع، وأبلغه أنه سيجد مبلغاً من المال صباح كل يوم تحت الشجرة فيأخذه وهكذا سينتهي عمله الشاق وعذابه. نفَّذ الرجل ما قيل له وتحوَّلت حياته نحو الأفضل. لكن بعد فترةٍ

قال الرجل في سرّه: لماذا عليَّ أن أقصد الشجرة كل صباح لآخذ درهمين أو ثلاثة مثل شحّاذ؟ لا بدَّ من أن يكون كنزٌ مخفيٌّ تحت الشجرة وهناك شيطان أو عفريت يتحكَّم في هذا الكنز ويحتبسه عنّي. إذا نجحت في قلع الشجرة سأحرر المال الموجود تحتها وأعود به إلى منزلي... وفي كل صباح سآخذ درهماً تِلو درهم.

وهكذا خطط لاقتلاع الشجرة، وفي الصباح قصد إلى حيث الشجرة ورفع فأسه ليقطع جذعها، لكن فجأة صدح صوت قائلاً: ويحك يا رجل لماذا تجازي شجرة نقلتك من حال العوز والفقر إلى الثراء والسعادة بقطعها؟ فقال الرجل: إليك عني ما هذا الكلام؟ بما أنه ما من طريقة سوى قطعها لاستخراج ما يوجد تحتها! فقال له الصوت: إذاً ليس هناك من سبيل آخر خذ حذرك منها! ولمّا رفع العجوز يده بالفأس ليقطع الشجرة، تيبَّست يده في الهواء وصرخ به الصوت: يا لك من جاهل! أوَ كنت قادراً على قطعها لو لم تعرف سرّها، وخاصيَّتها، لكن بعد أن عرفت عنها لا سبيل لك إليها.

وكذلك أنت أيها الملك قال المؤيَّد لأبي كاليجار، «لا سبيل لك إليَّ بعد أن عرفتني وعرفت خاصيّتي» (السيرة: ٤٥).

ويشتكي المؤيَّد في مناسبةٍ أخرى من نفوذ أعدائه وتسلُّطهم على الحاكم ويعاقبه بقوله إن الله أيقظ الحاكم من السبات وجمعه بالمؤيّد. صنع له أكثر ممّا صنعه له والده. (السيرة: ٤٦). شعر خصومه بالإهانة من موقفه المتبجّح هذا الذي بسببه مُنِعَ من مواصلة تلاوة دروسه على الحاكم. يدافع الداعية عن نفسه من خلال قصة الإسكندر وولده. وباختصار تخبر القصة كيف دفع الإسكندر بابنه ليحب أستاذه أكثر من والده، وحجّة الفتى أن الأستاذ منحه الخلاص الروحي من ملذات الأرض التي اختارها والده له.

بالإضافة إلى ذلك نظم المؤيَّد قصيدة من ١٥٣ بيتاً يذكُر فيها أبا

كاليجار ما فعله لأجله وكيف ثقّفه وأرشده إلى الخلاص الروحي.[١٠]

ثم يشتكي في القصيدة كيف أن الحاكم سحب مظلّته عنه. كما يأتي إلى ذكر الاتهامات التي جرَّها أعداؤه الذين يدَّعون أنه أهان والد أبي كاليجار وأنه دفع بأبي كاليجار إلى مراسلة الإمام الفاطمي في القاهرة. سنذكر بعض الأبيات المتعلّقة بالأحداث الواردة في السيرة.[١١]

قصيدة: شكوى المؤيّد

ما إن أرى الزمانَ لي بالمنصف	والموقف الأشرف بي لم يَعْتَف
ولم تعد لعيشتي الحلاوة	بِعَوْدِ ذاك البر والحفاوة
ولم يعد لي النظرُ الشريفُ	كما بدا والكرم المألوف...
أخادمٌ مثلي يُضاع هكذا	كيما يطول نحوه باعُ الأذى
لقد نبا بي مقعدي إرجافاً	يجحف بي طول المدى إجحافا...
إن كنت أذنَبتُ فأنت تعرف	وليس ما تعرف عنه مصرف
إن كان ذنبي ما جرى (ببسا)	أَلم أقم عذري فطبت نفسا
خلال أيام لنا بالعسكر	في المجلس الشاطىء فوق المنظر...

ويستشهد المؤيد بحكاية ومثل عن حِلْم الاسكندر وابنه، ويسأل مغفرة أبي كاليجار وعفوه:

والمثل المضروب بالإسكندر	وبابنه عَلامةٌ فادكر
إذ قلت ما جاوزت فيه واجباً	فلا تكن من واجب مغاضبا...

(١٠) قصيدة مديح من المؤيَّد إلى أبي كاليجار في أيام الفرح، موجودة في الديوان، ص٢٩٩. مترجمة وموجودة لدى قطب الدين: **المؤيَّد في الدين الشيرازي**، pp. 28f.

(١١) مترجمة مع بعض التصويبات الطفيفة من قبل قطب الدين: **المؤيّد في الدين الشيرازي** pp. 30-41، وذلك بحسب **الديوان** no.62, pp. 317-322.

والقصيدة قد نظمت على وزن الرجز وهي على شكل قصيدة مزدوجة.

وإنه إن كنت ترضى المعذرة … وتقتضي لما نقمت المغفرة

فاغفر، وإلا فاعذر المعلما … إذا رأيت عقله منثلما

وإنني كما ترى معلم … وهاكم في العقل مني لِمَم

وإن تكن إذ قلت كات مِضرا … تحمل من ذاك عليَّ إِصْرا

فعَذْلُك الشامل حسبي من حَكم … وليس إلا الرضا بما حَكم

أكان قولاً منكراً أو زوراً … أو كان حجراً ذاكم محجورا

أم كان لي غير الصلاح من غرض … أم لسوى رضاك فيه معترض

إن قلت كاتب حضرة ابن فاطم … واسلك بما فيها سبيل الهاشمي

فليس مثل المرتضى عباس[١٢] … ولا ابنه إلى ابنه يقاس

وإنّ آباءك أيضاً كاتبوا … وأظهروا الود له واقتربوا

لا سيما وربعه قد أشرقا … بخبر مني إلى مصر ارتقى

فيما له الرأي العلي وافقا … دَام نظام سعده متسقا

وهو الذي أرسلت فيه رسلاً … من بلد «الأهواز» عاماً أولا

وجئت في بابه مستأمراً … فقلت دمت ناهياً وآمرا

ووجهك الميمون ذو تهلل … ما تكتب الآن خلاف الأول

فقلت فضلاً من إله مفضل … ويُمْن جد لمليك مقبل

وقلت إن بعض هذا نكتب … بما به للود يقوى السبب

وإنني الآن على انتظار … لعودهم بمنتهى الإيثار

وبالجواب بالدعاء الصالح … وشكر مجدود من المنائح..

فإن عددت هذه الجناية … فقد بلغت في العقاب الغاية

---

(١٢) العباس هو عم النبي محمد (صلعم)، والمرتضى هو واحد من الألقاب التي أطلقت على الإمام علي (عليه السلام).

أرى نـزولاً عـوضـاً عـن ارتـقـا — لا البِشْر ذاك البِشر بي ولا اللقا
ولا الـكـلام ذلـك الـكـلام — ولا الـمـقـام ذلـك الـمـقـام
وأيـن مـا أسـلـفـتُـه مـن خِـدم — وخلتني قدمت فيه قدمي...
أصـبـح نـسـيـاً كـلـه مـنـسـيـاً — حـتـى كـأنـا مـا صـنـعـنـا شـيـا
ولـيـس ذاك بـالـذي يُـضـاع — فـمـثـلـه فـي الـسـوق لا يُـبـاع
مـصـدره عـن مـشـفـق نـصـوح — جـاد بـه وهـو شـقـيـق الـروح
لا مـنـعـة تـمـنـع حـيـن يـمـنـع — ولا غـنـى يـنـفـع يـوم يـنـفـع
فـمـا لأعـمـالـي غـدت مـخـتـلـة — مـن أجـل أن سـاءتـك مـنـهـا خـلّـة
وحـسـنـاتـي قـد عَـفَـتْ آثـارُهـا — لـخـصـلـة مـنـهـا يـرى إنـكـارهـا

في الأبيات المتبقية يذكّر الشاعر أبا كاليجار بالمعرفة والغذاء الروحي اللذين تلقّنهما من المؤيَّد. ويشرع في الكلام عن محاسنه الأدبية، الفكرية والدينية ويطلب من الحاكم أن يكون ممتناً ولا يُقدم على معاقبة المعلّم الذي أعطاه من علمه ومعرفته ولقّنه الفضائل، كما يحذِّر الحاكم من حاشيته المليئة بالحسّاد. ويردُّ أيضاً على التهم التي كالها له كبير أعدائه الذي يدّعي أن عبارات المؤيَّد السفسطائية ليست سوى كلمات مسروقة من الفلاسفة القدماء. ويختم القصيدة بقوله إن كل أبياته ليست سوى صرخة من أعماق قلبه.(١٣)

وفاة الوزير العادل (السيرة: ٥٤)

بعد وفاة الوزير العادل سنة ٤٣٣ هـ/١٠٤١-٤٢ م. يواصل المؤيَّد مخبراً أن الوزير الذي خلفه(١٤) له سمعة سيّئة وهو يقف إلى جانب خصومه. وأمام تضامن أعدائه وتآمرهم عليه، بدأ الداعية يزداد قلقاً. لكن

(١٣) قطب الدين: **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٤١.

(١٤) مُذهب الدولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفسوي. هو بحسب التأريخ والمدوّنات خليفة القاضي العادل المتوفى في سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١-١٠٤٢م.

ثقته لم تضعف، لأنه مؤمن أن عمله متجرّد وهو يتبع سبيل اللّه وآل النبي (صلعم).

الأحداث في الأهواز وتدخّل بغداد (السيرة: ٥٤-٥٧)

قرَّر المؤيَّد نقل نشاطه إلى الأهواز؛ حيث حصَّل مسجداً قديماً ومتداعياً فأخذ يعمل على ترميمه وإعادة نقوشه. كتبت أسماء الأئمة بأحرفٍ من ذهب على ألواح الساج (الدلب الهندي) في المحراب. فأصبح المسجد قبلةً للناظرين وفي اليوم الذي أذَّن الشيعة للصلاة أصيب أهل الأهواز بصدمة ولم يصدِّقوا ما سمعوه.

وبعد كمونٍ تكتيكي قرّر المؤيَّد السيطرة على صلاة الجمعة، وإلقاء الخطبة باسم الإمام الفاطمي المستنصر. كما أمر عشرين عسكرياً ديلمياً أن يؤذِّنوا للصلاة من على سقف المسجد. ثم يقوم عسكر الديالمة وأحصنتهم بالزحف نحو المدينة وإقفال شوارعها. يحصل هذا التحرُّك كل يوم جمعة من الآن فصاعداً. لم يصدِّق أحد في الأهواز كيف أن الأمور وصلت إلى هذا الحدّ.

طلب ابن المشتري قاضي الأهواز(١٥) السُّنِّي من الخليفة العباسي أن يتدخّل. وأشار إلى أنه على رسول من بغداد أن يقنع أبا كاليجار بتسليم

---

(١٥) ابن المشتري عبد الوهاب بن منصور بن أحمد الأهوازي المتوفى في سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م. هو القاضي الشافعي المشترع في منطقة الأهواز والمقاطعات من حولها. حصل على محبة الخليفة والبويهيين وشدَّة احترامهم. كان خبيراً وجامعاً للأحاديث النبويَّة الشريفة. وكان سلوكه في حياته مضرب المثَل. وراجع أيضاً:

ابن الجوزي في كتابه: **المنتظم**، جزء ٨، ص١٢٠.

الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، طبعة بيروت، ١٩٦٧ في إعادة للطبعة التي صدرت سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١، جزء ٩، ص٣٣.

المؤيَّد مكبّلاً بالسلاسل إلى الحكومة؛ وإلاّ سيهدِّد الحاكم البويهي بالحرب وتحريك جند التركمان ضِدَّ مملكته.

بعد وقتٍ وجيز بُلِّغ المؤيَّد أن رسول الخليفة ابن مُسلِمة قد وصل إلى البصرة.(١٦)

وبحسب ما يخبر في مذكرات استرجاعية نجح ابن مُسلِمة في نهاية المطاف باقتلاع جذوره من أرضه وطرده بعيداً ليصبح ضارباً في الأرض كشريد. لكن في الوقت نفسه عرف المؤيَّد في الأهواز أن حاكم البصرة أمر ابن مُسلِمة بعدم القيام بأي تصرُّف، بما أن جند الديالمة جاهزون لمهاجمته والمؤيَّد قادر على الفرار. في الواقع قام ابن مُسلِمة بتبييض صفحته أمام المؤيَّد معلناً أنه لا يبيّت له الشر داحضاً الإشاعات التي تقول إنه يضمر الأذية للمؤيَّد. بَيْدَ أن المؤيَّد يظلّ على حذره وهو مقتنع بأن ابن مُسلِمة يخطط بسرية تامة ليطلب الدعم المطلق من أبي كاليجار ليلقي القبض عليه. شدَّ ابن مُسلِمة الرحال إلى شيراز. ولكن قبل أن يصل إلى عاصمة الإمارة البويهية كان الداعية المكروه قد وصل إليها.

أفخاخ منصوبة للمؤيَّد (السيرة: ٥٧-٦٨)

في هذه الصفحات من السيرة، يصف المؤيَّد وصفاً مستفيضاً محاولات أعدائه لإسقاطه قبل وصول ابن مُسلِمة، وبصورة خاصة ما نصبه الخائن الذي ذكر آنفاً أفخاخاً له وهذا الخائن يحظى بدعم الصوفيين له، والوعّاظ

---

(١٦) علي بن الحسن أبو القاسم ابن المسلمة (٣٩٧-٤٥٠هـ/ ١٠٠٦-١٠٥٨م). مستشار ومن ثم بعد ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م وزير ورئيس الرؤساء لدى الخليفة القائم.

وكان هو من دعا القائد السلجوقي طُغرُل بك ليدخل بغداد وينتزع الحكم والسلطة العسكرية من البويهيين. (انظر المقدسي: **ابن عقيل**، ص ص٩٠-١٠٢)؛ عذّبه أرسلان البساسيري حتى الموت، بعد أن استولى البساسيري على بغداد وأعلن الثورة على الخليفة، وسيتفاوض معه المؤيَّد في فترة لاحقة من حياته (انظر الفصل السادس).

وأصحاب الحديث، وبكلمة كل مجلس فارس السُّنّي الديني.

دُعي المؤيَّد إلى مناظرة مع رجل زيديّ معروف جداً لتقواه وهو على علاقة ممتازة مع نخبة رجال الدين السُّنَّة، وذلك بحضور الحاكم أيضاً. ولأجل تقويض أعصاب المؤيَّد تمّ زرع بعض المحرّضين ولخرق القوانين التي تحكم المناظرة. وأكثر من ذلك، بما أن الزيدي هو شيعيّ أيضاً، قد يستدرج المؤيَّد ليبوح ببعض الأسرار الدينية التي يتهم أنه يخفيها عن المسلمين السُّنَّة. يعرف المؤيَّد يقيناً أن المناظرة ليست سوى اختبار عسير يترصّده، بَيْدَ أنه يختار خطة ذكية للغاية. وبسرعة قبل أن يفتتح أبو كاليجار المناظرة أخذ يتلو أمام خصمه قصة الشيعيّ الذي كان يغير على أرض الملك البيزنطي مع مجموعة من السُّنَّة. فشلت المهمة وقُبض على المجموعة المغيرة ورُميت في السجن. وكان في كل سنة في ذكرى أحد الأعياد الإسلامية يُطلق سراح بعض الأسرى.

بقي الرجل الشيعي سجيناً. وبعد مرور ثلاث سنوات، مثل السجين أمام الملك البيزنطي الذي بدوره سأل: من الرجل؟ فأجيب: شيعي (علوي)! فنظر الملك إلى الأسير وسأله:

- ما معنى قولهم شيعي؟
- أنا من أتباع علي بن أبي طالب.
- ومن هو علي بن أبي طالب؟
- أخو محمد رسول اللّه وهو وصيّه.
- ماذا حصل لعلي بعد وفاة محمد؟
- قُتِلَ.
- هل نحن من قتله؟
- كلا.
- من فعل ذلك؟

- المسلمون!
- هل لديه أبناء وسلالة؟
- أجل، وأجلُّهم الحسن والحسين ولدا ابنة رسول اللَّه عليه بركة اللَّه وسلامه.
- ماذا حصل لهما؟
- سمموا للحسن وقُتل الحسين وأُسرت عائلتهما وأسلافهما.
- هل نحن من فعل بهم هذا؟
- كلا.
- من الفاعل؟
- المسلمون.
- والحال كذلك يا رجل أن أعداءك بين المسلمين، وقتلوا أباك وجماعتك (المقصود الأئمة الشيعة)، وها أنتَ أتيت لتغير على أرض البيزنطيين وهم لم يفعلوا لك شيئاً؟ لماذا؟

وهكذا ينهي المؤيَّد كلامه؛ وكذلك أنت يا شريف (من سلالة محمد (ص)) متوجِّهاً بالكلام إلى خصمه الزيديّ. ويضيف أيضاً أن الزيديّ يجامل أعداءه الحقيقيين أصحاب الدين السُّنِّي الأورثوذكسي، الذين وبدون انقطاع يدمِّرون كرامته ويتجاهلون أسلافه. والآن هو مزمع على قتل المؤيَّد من بين كل الناس سليل العائلة عينها هذه العائلة المقدَّسة؛ وهو العلاَّمة والشهادة الواضحة على فضائل العائلة بواسطة أسلحته العلمية والفكرية.

وكلّما تقدّم المؤيَّد في كلامه علا وجه الزيديّ الاصفرار ولسانه يرتجف غير مدرك إذا كان عليه الجلوس أم الوقوف.

غضب أبو كاليجار من نوعية الموضوع وطريقة المناظرة فأمر للحال أن يُصار إلى تبديل نوعية الحديث. ومن جديد يواصل المؤيَّد بوقاحة واحتقار

استباق خصمه الزيديّ. خرج من الجدال منتصراً بعد فترة قصيرة من تبادل الدلائل حول معنى القرآن الباطني وحول الطريقة التي بواسطتها يمكن تحديد نهاية شهر صوم رمضان. فما كان من رفاق الزيديّ سوى الضحك عليه فغادر المجلس خجلاً، متعثراً بأطراف ثوبه (السيرة: ٥٧-٦٠).

في الملفات اللاحقة سنعطي لمحةً موجزة عن الأعمال الحقيرة والخيانات في حق المؤيَّد من قِبل أحد أعدائه وهو خائن مدسوس في بلاط أبي كاليجار:

- يعمد الخائن كل يوم إلى اختراع الجرائم ويتهم المؤيَّد بها علناً أمام أبي كاليجار. ويسعى لإقناع الحاكم البويهي بأن المؤيَّد يحرِّض العسكر الديلمي سرّاً لاغتيال أبي كاليجار.

- بعث الخائن بجواسيسه إلى لقاء الثلاثاء الذي يعقده عسكر الديالمة كل أسبوع في منزل المؤيَّد؛ حيث كان حديث الساعة قصة مواجهة المؤيَّد والزيديّ التقي؛ فيقوم الخائن بتزويد أبي كاليجار بمعلومات مغلوطة حول خطة لاغتيال الزيديّ تدبّر في منزل المؤيَّد.

- يتهم الخائن المؤيَّد في حضرة أبي كاليجار بأنه يخفي معتقداته الدينية الحقيقية. وهو في حقيقة الأمر يسعى للحصول على المزيد من النفوذ السياسي والقوة. يواجهه المؤيَّد ويردُّ هجومه بغضب. يستاء أبو كاليجار من تصعُّد سورات الغضب ببشاعة بين الخصمين.

- عمد الخائن إلى تشكيل وحدة من جمهور السُنَّة للتحضير لأعمال شغب خلال زيارة الحاكم للمسجد يوم الجمعة في شهر رمضان. خشي المؤيَّد من مهاجمة الحشود لمنزله.

- أشار الخائن لأبي كاليجار أن يضع المؤيَّد في الإقامة الجبرية في منزله.

وقع أبو كاليجار الآن في حيرةٍ من أمره وهو يتصرّف بدون قرار نهائي

كما أنه يناقض نفسه. فمن جهة، نراه قد وعد وعداً مبرماً بعدم أذية المؤيَّد، ومن جهة أخرى، عليه أن يتجاوب مع التهديدات ـ بالإضافة إلى هدايا نفيسة ـ تصله من خليفة بغداد. من جراء ذلك بعث برسولين إلى المؤيَّد؛ باذلاً النصيحة له بأنه بالنظر إلى عدد الأعداء المستشري الذين يتربّصون بالداعية في المدينة ينبغي عليه في خاتمة المطاف أن يغادر البلد.

بَيْدَ أنه بعد أيام وجيزة يعتذر منه، وأُبلغ المؤيَّد أن سبب القرار في نفيه هو رسالة من الخليفة يهدِّد فيها بتحريك عسكر التركمان ضد البويهيين في شيراز. وكما ورد في الرسالة فإن الخليفة يشتكي من أنه لم يسبق لداعية إسماعيلي من قبل أن نشر دعوته بمثل هذا الانفتاح كما فعل المؤيَّد. ولم يسبق أن تمّ تجاهل اسم الخليفة بهذه الصورة في خطبة الجمعة.

وفي الرسالة أيضاً اتهام للسلطة البويهية في شيراز وتكمن جريمتها في أنها خرقت العهود والمواثيق وعدم التمسُّك بـ «عهدة الإيمان» والوعد باحترام سيادة المعتقد الديني للخليفة السُّنّي.

وصل مبعوث الخليفة أخيراً إلى شيراز؛ استقبل أبو كاليجار ابن مُسلِمة مع حاشية مختارة من الأتراك ليس بينها ديلميٌّ واحد. قام ابن مُسلِمة بإرسال مبعوث إلى المؤيَّد يبلغه أنه يحيّي فيه فضائله وعلمه ويعرض عليه إنهاء ولائه لسيّده في مصر لكيما يعاود نشاطه في البلاط البويهي.

وبطبيعة الحال يرفض المؤيَّد بفخر هذا العرض، لأن ولاَءه للفاطميين مبنيٌّ على اعتقاده الديني ولا يمكن أن يقارنه بالعلاقة التي تربطه بابن مُسلِمة وبالخليفة العباسي. يغادر ابن مُسلِمة شيراز، ويعيش المؤيَّد في حالة خوف دائمة على حياته لأن الخائن والجماهير السُّنيَّة لن يتورّعوا عن مهاجمته.

حلم أحد رجال البلاط (السيرة: ٦٦-٦٧)

راود أحد رجال بلاط أبي كاليجار حلم شاهد فيه الإمام عليٍّ بن أبي طالب يظهر في مُصلّى شيراز، مهدداً بإعدام أي فردٍ يؤذي المؤيَّد. يسخط

الحاكم من هذا الحلم لأنه يعتقد أن الداعية هو مصدر هذا الحدث. مكث المؤيَّد سبعة أشهر طويلة معزولاً في منزله تحت الإقامة الجبرية يخشى على مصيره، لا يملك أية فكرة عمَّا يحصل، وكيف ستتطور الأمور خارج «سجنه».

قصيدة: حديث مع الروح

من المقدَّر أنه خلال فترة سجنه، نظم المؤيَّد قصيدةً أخرى، لا ترد على صفحات السيرة ولكن في الديوان. أساس هذه القصيدة حلم، وهي حديث يجري مع امرأة من بنات الخيال لا ريب في أنها تمثِّل روحه. والقصيدة تمثِّل خير تمثيل الصراع الداخلي الذي يعتمل في صدر المؤيَّد من خلال التعبير الأدبي: إنه صراع بين أمرين: إما حتمية البقاء في مسقط رأسه في خدمة الدعوة الفاطمية، أو اختيار دروب المنفى. سنذكر بعض أبيات هذه القصيدة.[١٧]

فقالت: أرى في كل يومين خطة — رمتك بها الأيام رمي أخي غُمْر

وأنت مقيم تحمل الضيم هكذا — وتوسع جلداً للمهانة والصغر

فقل لي: ما معنى قيامك فيهما — وقُل وَيْكَ ما معنى قعودك عن (مصر)

فقلت قيامي طاعةٌ وتباعة — لأَمرِ وَليّ الله في الخلق والأَمر

وحفظٌ لدين في عمارة داره — بُليتُ وأبْلَيْتُ الجديد من العمر

(وستر) على قوم ضعاف مَدَدْتهُ — يُوارون قبل القبرِ إنْ غِبْتُ في القبر

أقارب هلكي بالإضاعة في غد — كما اليوم هم صرعَى المجاعة والفقر

فقالت لأن تنأى وأنْتَ مُسلمٌ — فقد أمِنوا أن يصبحوا منك في خسر

أحق وأولَى أن يكون تَفَوُّقٌ — إلى الحشر ما فيه تلاقٍ إلى الحشر

---

(١٧) **الديوان**، ترجمة قطب الدين جزئياً، **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٤٣-٤٦.

في خاتمة القصيدة يمتدح المؤيَّد، الذي يسمّي نفسه ابن موسى، الإمام الخليفة الفاطمي المستنصر ويعبّر عن أمله بالحصول على ملجأ وملاذ حماية في بلاطه.

بكم يسأل الله (ابن موسى) خلاصه　　من الأسر في شر المنازل والحصر
ليدخل ظلاً في فناء وليه　　ظليلاً ويثوى آمناً في حِمَى القصر

فصلٌ (السيرة: ٦٧)

يصف المؤيَّد بالتفصيل فترةً يُتهم خلالها بأنه أخفى كتاباً فيه معلومات مفادها أن سلالة الفاطميين بالعودة إلى فاطمة والنبي هي سلالة مغلوطة.[١٨] فقد قام خصمه الزيديُّ السابق بقراءة بعض المقاطع من هذا الكتاب لأبي كاليجار، الذي أعطى الكتاب لأحد الرجال الرسميين في البلاط. ثم اتُّهم أحد الرفاق الإسماعيليين بسرقة الكتاب وإعطائه للمؤيَّد. لكن المكيدة تسقط عندما تُعرف الحقيقة ويتبيَّن أن جارية موظف البلاط هي التي قامت بإخفاء الكتاب. ومن جديد يشعر أبو كاليجار بالخجل الشديد من المؤيَّد؛ هذا، وبالرغم من أن هذا الأخير بريء تماماً فهو يشعر أن حياته مُوشكة على النهاية.

الهروب إلى الأهواز (السيرة: ٦٨-٧٣)

ومن جديد يتجه أبو كاليجار وجنده إلى الأهواز. فيشعر المؤيَّد بالمزيد من عدم الأمان في شيراز نظراً لغياب الحاكم والعسكر الديالمة؛ لذلك يطلب الإذن ليركب مع الأمير. بَيْدَ أن طلبه يقابل بالرفض؛ لذلك قرَّر السفر

(١٨) ثمة عددٌ كبير من الكتب من تأليف قضاة ورجال شرع سنّة وهدفهم الأساسي تقويض الإسماعيلية، ولإثبات أن السلالة الفاطمية لا تتحدَّر من النبي محمد (صلعم). وذلك من خلال كتابات ابن رزام في القرن الرابع للهجرة/ العاشر ميلادي. وصلت هذه الكتابات إلى ذروتها مع المنشورات التي دعمها الخليفتان القادر والقائم والتي ذكرت في الفصل الأول.

متخفياً؛ مرتدياً ثياب متسوّل. يحصل أن يلجأ في جانابا إلى المسجد هرباً من عاصفة رعدية يوم الجمعة في وقت الصلاة على وجه التحديد، فيضطر إلى إنكار هويته الحقيقية حتى أمام رجل طيب الأعراق كان يعرفه في الفترة التي بُني فيها مسجد قصر المأمون في الأهواز. يقترب منه رجل آخر وهو يشك في هذا الغريب. في النهاية يرتئي المؤيَّد أن يختصر رحلته إلى الأهواز بَيْدَ أن الخوف من الاضطهاد لا يزال ينتهبه بشكل متواصل.

يصل إلى الأهواز قبل يوم من موعد وصول أبي كاليجار الذي وصلته في تلك الأثناء معلومات أن المؤيَّد اختفى من شيراز ولم يترك وراءه أثراً. ولكن التقارير تقول بأنَّ المؤيَّد كان مندسّاً بسرية في صحبة الحاكم. أرسل أبوكاليجار جواسيسه إلى خيم العسكر الديلمي وأمر بإقامة حواجز تفتيش في المسالك الضيّقة بين شيراز والأهواز، بَيْدَ أنه لم ينجح في القبض عليه.

في صباح اليوم الذي وصل فيه أبو كاليجار إلى الأهواز، أفصح المؤيَّد عن نفسه وكشف شخصيته؛ فاحتشد حوله في الحال أعضاء الدين الإسماعيلي المحليون، كما أن قاضي القضاة ابن المشتري رحّب بدوره بقدوم المؤيَّد وهو الذي في السابق أنذر الخليفة من الخطر الإسماعيلي وطلب إرسال المبعوث ابن مُسلِمة، لقد أبدى اهتمامه بالمؤيَّد وأظهر تجاهه صداقته. لكن بعد وقتٍ وجيز علم الحاكم بوجوده في المدينة؛ وعرف أعداء المؤيَّد كيف يحوّلون هذا الوضع إلى مصلحتهم. أقنع الخائن الحاكم بأن المؤيَّد عصى أوامره بالمكوث في شيراز وها هوذا من جديد يحاول تأليب الجند الديالمة ودفعهم إلى الانتفاضة. نقل أصدقاء المؤيَّد بين حاشية الحاكم وصفاً لأبي كاليجار كيف كان يضجُّ غضباً ويتوعَّد ويتهدَّد المؤيَّد. فألحّوا عليه بأن يغادر المدينة حتى يهدأ خاطر أبي كاليجار.

اللجوء إلى أمير البدو منصور بن الحسين (السيرة: ٧٣-٧٤)

عملاً بنصيحة أصدقائه سافر المؤيَّد إلى مضارب أمير البدو المزيدي

منصور بن الحسين في منطقة الحلَة،[١٩] حيث لقي ترحيباً حميماً.

سافر مضيفه للحال إلى الأهواز ليقوم بوساطة ويصلح ذات البين مع أبي كاليجار لمصلحة المؤيَّد. بعد عودته أكّد المنصور لضيفه أنه استبان حقيقة أقوال المؤيَّد وتأكّد بنفسه أن المؤيَّد لم يبالغ عندما أطلعه على حجم المؤامرات والمكائد ضِدَّه. فعرض عليه أن يمكث في مضاربه وينتظر إلى أن يصبح الحاكم جاهزاً للسماح له بالعودة إلى الأهواز. في تلك الفترة بالذات توفي عم أبي كاليجار وخصمه اللدود أمير الأمراء جلال الدولة في بغداد في السادس من شعبان سنة ٤٣٥ هـ/العاشر من شهر آذار/مارس سنة ١٠٤٤ م.[٢٠] كان أبو كاليجار ينوي خلافة عمّه في أعلى مرتبة بين البويهيين ولأجل ذلك فإنه يحتاج إلى موافقة الخليفة. عَلِم المؤيَّد علم اليقين أن الأبواب موصدة أمامه الآن وأمام مطالبه.

مكث المؤيَّد سبعة أشهرٍ في مضارب منصور. أخذ يوماً تلْوَ يوم يشعر بضيق في صدره وفكّر بالعودة إلى الأهواز ومجابهة المصير الرهيب الذي ينتظره. لكن منصور يستلم الرسالة تلُوَ الأخرى من أبي كاليجار، يشرح له الفرص غير المتوقّعة التي فتحت له إثر وفاة عمّه في العاصمة بغداد؛ ويطلب

(١٩) هو منصور بن الحسين الأسدي، ترؤس من سنة ٤١٨-٤٥٠هـ/ ١٠٢٧-١٠٥٨م، العشيرتين الأساسيتين في قبيلة بين أسد وتمتد مناطق هذه القبيلة إلى غرب الأهواز بين دجلة وكارون. تعود العلاقة بينه وبين أبي كاليجار إلى سنة ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م عندما أزاح المنصور سلفه الموالي لعدو أبي كاليجار جلال الدولة (شقيق أبي كاليجار) أمير الأمراء في بغداد. حصل بعد ذلك منصور على حماية أبي كاليجار.

انظر: ابن الجوزي، **منتظم**، جزء ٨، ص٢٠١.

ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، جزء ٩، ص٣٦٨.

Heribert Busse, *Chalif und Grosskönig. Die Buyiden in Iraq*, (945-1055), Beirut 1969, p.101.

(٢٠) أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، مات بعمر ٥٢ سنة. تبوّأ منصب أمير الأمراء مدة ست عشرة سنة في عهدي الخليفتين القادر والقائم. =

صراحة من منصور أن يمنع المؤيَّد من العودة إلى الأهواز، لأن عودته ستسد طريق أبي كاليجار إلى بغداد إلى الأبد.

بينما كان المؤيَّد يواصل التفكير باحتمال عودته إلى الأهواز سرّاً أم علانيَّةً، علم أن قرواش من المُقَلَّد حاكم الموصل العقيلي ترك العباسيين وتحالف مع الفاطميين. ولقاء ذلك حصل من الإمام الخليفة الفاطمية المستنصر على الألقاب والهدايا.[٢١]

ونظراً لهذا الانقلاب السياسي الكبير الذي هو ربما بداية النهاية للحكم العباسي، قرَّر المؤيَّد أن يسافر إلى قرواش ليجني فوائد الوضع الجديد وليقدم دعمه إذا كان مطلوباً. وقد منحه منصور جوادَي سباق وسافر عبر حلَّة ابن مزيد[٢٢] والمراقد والمساجد المقدّسة في النجف وكربلاء، مراقد الأئمة الشيعة كالإمام عليٍّ والحسين نحو الشمال. ولدى وصوله إلى الموصل عرف أن قرواش عاد ومنح ولاءه للعباسيين؛ كما قدّم اعتذاره عن قلّة وفائه أمام الخليفة في بغداد. عند هذا الحدّ أدرك المؤيَّد أنه ما من مكان آمن له حتى يقصد إليه ويبقى فيه، وليس من مكان آخر يقصد إليه بعد الآن سوى مصر.

= انظر: ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، جزء ٩، ص٥١٦.

(٢١) سنة ٤٣٦هـ/ ٤٥-١٠٤٤م. قام أمير البدو قرواش بن المقلّد حاكم شمال ووسط بلاد ما بين النهرين بحلف مؤقت مع الخليفة الفاطمي المستنصر. سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م. بايع الخليفة الفاطمي الحاكم. (انظر الفصل الأول).

انظر: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، طبعة جمال الدين الشيَّال و م.ح.م. أحمد، (القاهرة، ١٩٦٧-١٩٧٣، الجزء الثاني، ص١٩٣.

وابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، الجزء التاسع، ص٢٢٣.

(٢٢) حِلَّة دُبيس بن مَزْيَد، مركز المنطقة التي تحكمها عشيرة بني مَزْيَد وهي فرعٌ من قبيلة أسد. كان قائدهم نور الدولة دُبيس (٤٠٨-٤٧٤هـ/ ١٠١٨-١٠٨٢م)، حليفاً لأبي كاليجار.

الأسف وخيبة الأمل (السيرة: ٧٤-٧٩)

بعد أن وصل إلى القاهرة خاب أمل المؤيَّد عندما عرف أنه ليس بقادر على التواصل مع الإمام الفاطمي ولا يستطيع العودة إلى فارس بعد الآن. لو أنه تريّث لسنة واحدة بعد في الموصل، لكان باستطاعته العودة إلى فارس، حيث تورّط أعداؤه في قضية مؤامرة ضد أبي كاليجار وتمّ إعدامهم. عند هذا الحد بعث أبو كاليجار برسالة مواساة طويلة موثّقة في (السيرة: ٧٦-٧٨) يعتذر فيها من الداعية ويؤكّد على صداقته معه. كما بعث برسول يبلغه أن عليه عقد معاهدة مع الإمام المستنصر ترسم حِلفاً بين البويهيين وبين الفاطميين بوجه الغزو السلجوقي السافر. ولكن بعد وصول الرسول بقليل يستشهد أبو كاليجار خلال معركة ضد الثوّار في كرمان. ولا يُعلم إذا كان قد مات من جراء حالة اختناق أو بسبب السُمّ.(٢٣)

يشتكي المؤيَّد من وضعه في القاهرة ويعبِّر عن خيبة أمله لأنه لم يلقَ أية مكافأة لقاء إنجازاته. كما فشلت توقُّعاته بنيل رتبة عالية في تراتبية الدعوة الفاطمية. وذلك يتركه في حال من المرارة والخيبة. ينبغي عليه عوض ذلك

---

(٢٣) توفي أبو كاليجار في الرابع من شهر جُمَادى الأولى سنة ٤٤٥ للهجرة، الواقع في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٠٤٨ ميلادية. توفي بعمر ٤٠ سنة في مدينة جناب جنوب مدينة كرمان وهو يقاتل الحاكم الذي تحالف مع القائد السلجوقي قَوُرد أحد أنسباء طُغرُل بك. بعد وفاته تحولت كرمان إلى الحكم السلجوقي. كما عيِّن ابن أبي كاليجار أبا نصر خسرو فيروز (٤٤٠-٤٤٧هـ/ ١٠٤٨-١٠٥٥م) قائداً عاماً في بغداد وهو آخر قائد بويهي يتبوّأ هذا المنصب.

انظر: ابن الجوزي: **المنتظم**، جزء ٨، ص١٣٩.

ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، جزء ٩، ص٥٤٧ f.

وانظر أيضاً: M.Th. Houtsma: 'Zur Geschichte der Selguquen von Kerman', Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, 39 (1885), pp 367-371.

و Harold Bowren, 'The Last Buwayhids', Journal of the Royal Asiatic Society, (1929), pp 234f.

التسويق لبضاعة جديدة في السوق إذا صحّ التعبير؛ ومنها مقدراته العلمية وهو يشير إلى موهبته البلاغية بما أنه يترأس ديوان الإنشاء بينما أخذ بتدوين سيرته، وهكذا صار مصير هذا الداعية كمصير سائر الناس العاديين.

الفصل الثاني

مذكرات المؤيَّد: مصدر للتاريخ

دوَّن المؤيَّد مذكراته حول دعوته في بلاط البويه في شيراز. كان قد أمضى حينها عقداً بكامله في عاصمة الفاطميين. ويمكن تحديد تاريخ وصوله إلى القاهرة على وجه التقريب سنة ٤٣٧ هـ/ ١٠٤٥ م. أو ٤٣٨ هـ/ ١٠٤٦ م. وكان قد بلغ الخمسين في ذلك الوقت.[١] ولا بدَّ من أنه كتب تقرير دعوته بعد ذلك العهد بقليل حوالى منتصف العقد الرابع من القرن الخامس. وكما تظهر الصفحات الأخيرة من هذا النص، فإنه كان لا يزال خائباً ويحلم بآمال بعيدة المنال وهو يقصد بوضوح وظيفة رئيس ديوان الإنشاء. وقد حصل على هذه الوظيفة بين سنة ٤٤٣ هـ/ ١٠٥٢ م. وسنة ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦ م. وبما أنه كان مقتنعاً بمواهبه الخارقة واستناداً إلى الخبرة التي جمعها في

---

(١) بعد تحوُّل قائد عُقيل إلى الدعوة الفاطمية (ذكر ذلك في سيرة المؤيَّد) - كان ذلك سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م - وسنة أو سنتين قبل مقابلته المستنصر في شهر شعبان من سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٨م.

راجع: Klemm, *Die Mission*, p.42.

قطب الدين، **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٥٤.

انظر أيضاً من أجل معرفة متى كتبت الأجزاء الأولى من السيرة:

م.ك. حسين في مقدمته للسيرة، ص26.f.

الدعوة، لم يكن مقتنعاً بوظيفته المكتبيَّة فهدفه الأول هو التقدُّم في تراتبية الدعوة الهرمية للوصول إلى منصب داعي الدعاة وهو أعلى منصب في السلالة الفاطمية.

لكن لماذا دوّن المؤيَّد كل الأحداث التي عاشها في فارس؟ هل كان يلاحق نية معينة آملاً تحقيق أمر ما؟ إلى من كان يكتب في حقيقة الأمر؟ هل نستطيع أن نصدّق كل ما كتبه في السيرة؟ ولكوننا مؤرّخين لدينا جملة أسباب تجعلنا نشك في الأمر؛ حيث لا يوجد أي مصدر تاريخي يخبر أن الحاكم البويهي أبو كاليجار تحوّل، إلى مناصرة الفاطميين أو أنه أرسل مبعوثين ورسائل كالتي يذكرها المؤيَّد في قصيدته الطويلة إلى أبي كاليجار (انظر الفصل السابق). لكن بدلاً من ذلك نحن نعلم علم اليقين أن معظم الحكام البويهيين كانوا عدائيين أو في أحسن الأحوال غير مكترثين تجاه الفاطميين. هل ثمة دلائل تستطيع على الأقل مساعدتنا لنوضح سبب الدوافع التي حدت بأبي كاليجار ليصغي إلى المبعوث الإسماعيلي؟ ولماذا ارتد على الداعية المتحمّس في خاتمة المطاف وطرده من مملكته؟

من ناحية أخرى، نحن لا نملك سبباً يجعلنا نشك في معلومات المؤيَّد حول تبدُّل الأحوال السياسية التي كانت سائدة آنذاك في شيراز. وكما سنشرح في هذا الفصل، نحن نستطيع أن نفهم حركة مبادلة الأحلاف في تصرفات الحاكم البويهي السياسية ونهضة وسقطة الداعية من خلال مراقبتنا عن كثب للتطورات السياسية في العالم الإسلامي المعاصر.[٢]

يمكننا أن نجد صورة مثيرة للاهتمام حول مهمة الداعية الاستفزازية في الكتاب الجغرافي والتاريخي المعنون **فارس نامه** أو كتاب فارس لمؤلفه السُنّي ابن البلخي، الذي عمل في شيراز لحساب سيدٍ سلجوقي بعد مُضي ستة

(٢) من أجل المزيد من التفاصيل، انظر: Klemm, *Die Mission*, Chapter 7.

عقود على عقب فرار المؤيَّد في أواخر سنوات الحكم البويهي. وكما كتب ابن البلخي أن أبا كاليجار قد ضُلِّل من قبل عميل إسماعيلي خطر يُدعى أبو نصر بن عمران (راجع المقدمة تجد الاسم كاملاً، علماً بأن هذه الأسماء تشكّل جزءاً من اسم المؤيَّد)، وأكثر من ذلك، فهو يذكر بأن الجند الديالمة، الذين يعتنقون جميعاً العقيدة الإسماعيلية دون استثناء، كانوا يعبدون هذا العميل عبادة رسول. لكن عبد اللّه قاضي فارس الأكبر - نذكره كونه رئيس المعارضة السُّنيّة في تقرير المؤيَّد - وهو الملتزم بالنظام الديني والسُّنَّة، قام بتحذير الحاكم ونجح في إنقاذه من براثن هذا الداعية الخطر. لقد قيّض له أن يتمكن من إقناع الحاكم أن الداعية يقدر على إثارة الشعب واستنفار عسكر الديالمة في غضون ساعة والقيام بانقلاب يطيح بالنظام، ويجبر القضاء على مؤامرة هذا الخائن والخلاص منه. كان الحاكم حتى ذلك الحين بريئاً وسذجاً فشعر بصدمة قوية.

بعد ذلك أجبر الداعية على ركوب مطية ودفع دفعاً بواسطة فرسان الجند الديالمة والعبيد الأتراك وطرد إلى الناحية الغربية من نهر الفرات. كما قام مندوب من قبل القاضي عبد اللّه بمراقبة عملية النفي. ويقول البلخي أيضاً إنه في حال تجرَّأ المؤيَّد وعاد فسوف يعلن مجرماً.(٣)

ولو أن هذه المعلومات القليلة صارمة وتتضمَّن نبرتها بعض التناقض في طيّاتها فهي تُظهر كم كانت رسالة المؤيَّد موضع قلق بسبب نفاذها. بَيْدَ أنه من الظاهر أن وصف ابن البلخي لعملية نفي المؤيَّد هو وصف مذلٌّ للغاية ويتناقض مع وصفه هو، وقد غادر أمير البدو المنصور بفخر على صهوة جواد سباق. وفي إمكاننا أيضاً أن نكون تقريباً متأكدين أن ابن البلخي يعلمنا بدقَّة متناهية عن نشاطات الداعية الإسماعيلي المريبة وذلك من خلال وجهة نظر أعداء المؤيَّد السُّنَّة. إن كلام البلخي حول تعاظم سلطة السنّة وتأثيرها

(٣) ابن البلخي: **فارس نامه**، ص١١٨-١١٩.

في المنطقة تتطابق تماماً مع العداء الذي يشتكي منه الداعية الفاطمي في مذكراته.

يقول البلخي إن أرض فارس تحتضن السُنية القوية والمتجذرة منذ أمد بعيد. ويذكر على الخصوص محمد الفزاري جدّ عدو المؤيَّد اللدود القاضي عبد اللَّه الذي ترأس جمعية تطبيق القانون الديني.[٤]

من هذا نستطيع أن نصل إلى الاستنتاج التالي وهو أن الدولة متجهة نحو الخلافة العباسية اتجاهاً كاملاً، معتبرةً أن الخلافة العباسية هي القبس الوحيد ومصدر العلم الديني والسلطة الشريعة. وأكثر من ذلك، أن السُنّية الأصيلة في البلد تملك روابط اجتماعية عديدة مع سكان البلد.

لا بدَّ من أن الأكثرية السُنّية القوية في فارس كانت السبب الذي منع أسلاف أبي كاليجار أصحاب الميل الشيعي من تدمير أو حتى مسّ هذا البناء الديني والشرعي السُنّي. لكن هذا لم يمنع الوزير فخر الملك، الذي كان يستشير والد المؤيَّد، من السماح لبعض الأفكار الدينية من غير السُنَّة بالتعبير عن رأيها ولبعض الفرق أن تتمتع بحريتها. لكن على المستوى الرسمي يقول ابن البلخي: «إن الهراطقة ليس لهم مكان في فارس».[٥]

لكن ما هو السبب وراء تعامل أبي كاليجار بانفتاح مع الفكر الإسماعيلي وتجاوبه مع دعوة المؤيَّد ليبدِّل سياسته وينتقل إلى خندق الفاطميين؟

لا بدَّ من أن سنة هذه التحوُّل هي ٤٣٠ هـ/١٠٣٩ م. بما أن المؤيَّد يذكر أن رمضان سنة ٤٢٩ هـ/حزيران/يونيو ١٠٣٨ م. هو تاريخ بدء الأحداث التي يرويها.

---

(٤) المصدر نفسه، ص١١٧. من أجل عبد اللَّه انظر فصل ٢، هامش رقم ٤.

(٥) ابن البلخي: **فارس نامه**، ص١١٧.

يبدأ بقصة العسكر الديالمة وهم يفطرون رمضان في حديقة منزله، مما أثار حفيظة السكان وغضبهم وكذلك غضب الحاكم؛ فقد اعتبروا أن إنهاء الصيام في غير أوانه هو هرطقة وتجديف. وكما سبق، فقد طلب من الداعية أن يواجه الوزير الذي حذّره بدوره.

بعد أن قضى المؤيَّد فصل الشتاء في مدينة بسا، أخذ الحاكم يستعيد هدوءَه شيئاً فشيئاً، وذلك من خلال وساطة الوزير العادل. ومن دواعي المفاجأة أن يتمكن المشاغب السابق بعد عودته بوقتٍ وجيز من كسب ودِّ أبي كاليجار.

في الواقعة ثمة دلائل على أن الأوضاع السياسية لم تكن إلى جانب المؤيَّد في تلك السنة وفي الفترة الزمنية عقيب ذلك. ولكن قبل رمضان سنة ٤٢٩ هـ، ببضعة أشهر توصل أبو كاليجار وعمّه جلال الدولة إلى معاهدة سلام، تُنهي العداء المفتوح بين مناطق نفوذهما وبين صفتهما السياسية في عاصمة الخليفة. بعد أن حاول أبو كاليجار بكل قواه ولمدة عشر سنوات، أن يصبح القائد البويهي الأعلى في بغداد، قبل أخيراً أن يبقى عمُّه جلال الدولة صاحب السلطة الوحيد في العاصمة.[٦] لكنه لم يكن على استعداد للتنازل عن أعلى المناصب في التراتبية السياسية البويهية؛ من خلال الحصول على أعلى لقب فارسي قديم وهو شاهنشاه، أي ملك الملوك.

لم يلقَ اللقب باللغة العربية «ملك الملوك» قبولاً لدى الخليفة القائم بل رفضه تماماً، وذلك بالاستناد إلى اعتراض قام به جلال الدولة الذي كانت توجّه إليه عبارات التفخيم الرسمية وهو حامل هذا اللقب في السنة ذاتها. لم يقبل أبو كاليجار هذا الإذلال وتجاهل قرار الخليفة؛ وأخذ لقب الشاهنشاه الممنوع عليه من الخليفة، وأعلن ذلك في خطبة الجمعة في مسجد عاصمته شيراز ومن سنة ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م. إلى ٤٣٣ هـ/١٠٤٢م أمر بصكّ النقود

---

(٦) ابن الجوزي: **المنتظم**، جزء ٨، ص٩٦.

وهي تحمل اسمه مشفوعاً بهذا اللقب.[٧] هذا يظهر في سياق دراستنا أن أبا كاليجار عرض استقلاله بصراحة وجهر بالحكم الذاتي بعيداً عن سلطة بغداد خلال هذه السنوات القليلة. وهذه الفترة تتوافق تماماً مع الفترة التي كان فيها المؤيّد يدرّس أبا كاليجار ويعمل مستشاراً له في الشؤون الدينية والسياسية.

ولكن هل من الممكن أن نؤسس لعلاقة بين انحياز أبي كاليجار إلى المذهب الفاطمي وبين إشاحته عن بغداد وترقية الداعية إلى مستوى مستشار لديه؟ هل ثمة أسباب دفعت بأبي كاليجار ليتقرّب من الفاطميين ومملكتهم على ضفاف النيل؟

هناك تفسير محتمل لهذا التبديل السياسي الكبير ينحصر في الوضع السياسي السائد إلى الشرق من مناطق العالم الإسلامي. هنا بدأت الأحداث المقلقة تتوالى؛ فالغزُّ وهم شعب تركماني من البدو الرحَّل قد غزوا خرسان المقاطعة الشرقية الإيرانية لجيران أبي كاليجار الأقوياء الغَزنَويّين. بعد تدميرهم الكامل لمساحات زراعية، احتلّوا مدناً مهمة ومراكز حضرية. سقطت نيسابور عاصمة خراسان بأيدي الغزاة من دون أيَّة مقاومة صيف ٤٢٩ هـ/١٠٣٨ م. واستقر بعد ذلك بوقت قصير طُغرُل بك أحد قادة عشيرة السلاجقة في قصر الحاكم الغَزنَويّ بعد سنتين في معركة دندنقان. ترك مسعود هذه الأرض الخصبة لمصيرها وانسحب إلى أراضيه في شمالي الهند.[٨]

(٧) النقود من شيراز تعود إلى سنة ٤٣٠-٤٣٣هـ/ ١٠٣٨-١٠٤٢م. ومن عُمَان ٤٣٣ و٤٣٤هـ/ ١٠٤٢-١٠٤٣م.

انظر:

A.D.H. Bivar and S.M. Stern: *The Coinage of Oman under Abu Kalījar the Buwayhid*, Numismatic Chronicle, 6th series, 18 (1958), pp 153f., 155f.

Wilferd Madelung, *The Assumption of the Title Shahanshah by the Buyids and "The Reign of the Daylam"*: (Dawlat al-Daylam),' Journal of Near Eastern Studies, 28 (1969), pp 181f.

(٨) أبو الفضل محمد بن حسين بيهقي، تاريخي بيهقي، طبعة علي أكبر فيَّاض (مشهد ١٩٧١)، ص٧٢٨-٧٣٣-٨٣٤ f. =

أصبحت الطريق مفتوحةً الآن أمام السلاجقة ومحاربيهم لغزو الغرب. وقبل هزيمة الجيش الغَزنَويّ كانت سلالة الديالمة قد استسلمت. اندفع التركمان إلى وسط إيران حيث دمّروا الأنظمة السياسية الموجودة هناك. وبعد أن احتلَّ شقيق طُغرُل بِك؛ إبراهيم إينال همذان في جنوب إيران سنة ٤٣٣ هـ/ ١٠٤١-٤٢ م. فقدت أراضي العباسيين الوسطى قدرتها على حماية نفسها؛ بَيْدَ أن المنطقة الجبلية بين إيران والعراق، أمّنت الحماية للخلافة العباسية.

لا بدَّ من أن أبا كاليجار أدرك إدراكاً بعيد النظر سنة ٤٣٢ هـ/ ١٠٤٠ م. أن الوضع أصبح خطراً للغاية؛ فبعد انتصار التركمان في مقاطعة سيستان المحاذية والواقعة إلى الجنوب الشرقي لمملكة أبي كاليجار، أصبحت فرق الفرسان التركمانية تهدد حدود مقاطعة كرمان،(٩) وهي تحت سلطة أبي كاليجار.

وبعكس الحكام والقادة في شرق ووسط إيران الذين سقطوا تحت هيمنة التركمان؛ تمكّنت الدولة الفاطمية من إنجاز سلسلة من العلاقات السياسية الخارجية الناجحة في تلك السنوات.

سقطت سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧-٣٨ م. حلب بأيدي الفاطميين وتُعدُّ هذه المدينة السورية الشمالية معقلاً حصيناً على حدود الامبراطورية البيزنطية المسيحية. وإذا ما اتجهنا جنوباً نجد أن البدو النميريين قد انضموا إلى سلطة

= Clifford E. Bosworth, *The Ghaznavids: Their Empire in Afghanistan and Eastern Iran*, 994-1040 2nd ed., Beirut, 1973, pp 251-260.

لأجل دراسة الغزو السلجوقي، انظر في:

The Cambridge History of Iran: Volume 5, *The Saljuq and the Mongol Periods*, ed. J.A. Boyle (Cambridge, 1968) Chapter 1.1: The Eastern Iranian World on the Eve of the Turkish Invasion', by C.E. Bosaworth.

(٩) **تاريخي سيستان**، طبعة مالك الشعراء باهار، طهران ١٣١٤هـ/ ١٩٣٥م، ص٣٦٥.

الخليفة الإمام المستنصر الذي استلم الخلافة حديثاً.[10]

وهكذا، في بداية ثلاثينيات ذلك القرن كانت سوريا برمّتها وصولاً إلى الفرات شرقاً تحت الهيمنة الفاطمية. كما عقدت اتفاقية سلام مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الرابع أَنْهت النزاعات في المنطقة الحدودية الشمالية.

بعد حصول هذا الانهيار السياسي التام على حدوده الشرقية والجنوبية، أخذ القلق ينتاب أبا كاليجار ويحذّر من أن هذه الانقلابات ستؤدي إلى انهيار مملكته، الأمر الذي دفعه إلى البحث عن سندٍ يؤمن له الحماية؛ فغمز باتجاه الفاطميين في غرب مملكته توسُّلاً إلى مساعدتهم. من هذا المنطلق لا يسعنا سوى القول إن صداقته مع المؤيَّد عند مُختتم شتاء ٤٣٠ هـ/١٠٣٩ م. هي صداقة أصيلة ذات مصداقية لا ريب فيها.

وكان على الداعية المؤيَّد من جهته أن يتلقّف هذه الفرصة السانحة بسبب الأوضاع السياسية السائدة آنذاك. هكذا أدرك كيف ينبغي عليه أن يجيد استعمال هذا الوقت الحرج، ويظهر هذا التحرّك جلياً ليس في مسيرته فحسب بل يؤكّده المؤرّخ ابن البلخي الذي، كما سبق أن رأينا، كان مندهشاً وجزعاً من مدى تأثير المؤيَّد على أبي كاليجار.

بعد وقتٍ وجيز، عرض المؤيَّد على الحاكم أن يبدأ بالخطوات الأولى الجدية للتقرّب من الفاطميين من خلال حلف سياسي. بَيْدَ أنَّ اللوبي السُنّي في المملكة وقف حجرة عثرة وأفشل طموح الوسيط المتحمّس.

على أي حال، نستطيع القول إنه منذ البداية فشلت خطة المؤيَّد للتقريب ما بين البويهيين وبين الفاطميين. فلما بدأ نجم المؤيَّد يبزغ بدأ اللوبي السني يحاربه وبخاصة أن السنّة فقدوا حظوتهم لدى الحاكم. وهؤلاء الخصوم يدينون بالولاء للسياسة السابقة التي تبشّر بالولاء لخليفة بغداد.

---

(١٠) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٤٧٢.

وعبر وجهة نظر المؤيَّد نستطيع الجزم بأن مجموعته تلقى مساندة من عدد كبير من السكان. ويبدو أن الصراع داخل البلاط تزامن مع بلبلة في شوارع شيراز؛ حيث عصابة السُنَّة والجند الديالمة يتواجهون علانية. بعد أن لاحظ أبو كاليجار جفاء السُنَّة ومعارضتهم القوية، فترت علاقته مع المؤيَّد.

منذ تلك الآونة أصبحت علاقة المؤيَّد بالحاكم تتأرجح بين القبول وبين الرفض. هذا يظهر أيضاً أن أبا كاليجار كان يبحث عن سياسة توافقية بين استقلالية سياسته وطلبات السُنَّة.

يعتبر المؤيَّد أن بداية أفول نجمه السياسي انطلقت مع وفاة وزير أبي كاليجار، سنة ٤٣٣ هـ/ ١٠٤١-٤٢ م. ويمتدح المؤرخون هذا الوزير الإيراني ويصفونه بالذكاء وبُعد النظر. وكمثل العديد من وزراء البويهيين فقد كان يتمذهب بالشيعية.[(١١)] ينقل لنا المؤيَّد أن الوزير وقف إلى جانب العسكر الديالمة خلال النزاعات مع اللوبي السُنّي وعصاباتهم. وفي الفترة الزمنية التي تلت هذه الأحداث عمل كوسيط بين الداعية وبين الحاكم. ومما لا ريب فيه نستطيع الجزم أنه هو الذي نصح أبا كاليجار بأن يسلك سياسة انفتاح مع مصر ويتصل بالمؤيَّد ممثل الفاطميين المحلي.

لكن بعد وفاة الوزير العادل انتهى الاتصال فخلفه سنّي متعصّب.[(١٢)]

حينذاك فضّل المؤيَّد مغادرة شيراز إلى الأهواز عاصمة خوزستان وهي كما يقول معقل للجنود الديالمة. لدى وصوله لعب كل الأوراق لينجح ومنذ حلوله في المدينة أعرب الديالمة ولاءهم للمستنصر الفاطمي صراحة من على سقف المسجد. لكن يبدو أن الداعية قد تمادى أكثر من اللزوم. فقد قام

---

(١١) انظر: فصل ٢ هامش ٣، Busse, Chalif, p.234.

(١٢) كان أبو منصور مهذب الدولة هبة اللّه بن أحمد الفسوي وزيراً لأبي كاليجار ولكن لفترة وجيزة جداً.

انظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، الجزء ٩، ص٥٠٢.

ابن المشتري،[١٣] وهو زميل لقاضي قضاة فارس، بإرسال تقارير خطيرة الشأن إلى بغداد يكشف فيها عن أعمال الداعية. أرسل الخليفة العباسي القائم ابن مُسلِمة،[١٤] الذي سيتحوّل في ما بعد إلى وزير الخليفة ويظهر كأحد كبار المتحمسين للتيار التقليدي وألدّ عدو للبويهيين في شيراز.

أما الرسالة التي بعث بها الخليفة بواسطة ابن مُسلمة فقد أوجز المؤيَّد فحواها في السيرة (ص ٦٤ف). ولا ريب في أن نشك في صحة هذا التحذير لأنه يتطابق مع ذهنية الإعلان المناوئ للفاطمية والذي نشر في عهد استقواء السنية إبَّان عهد الخليفتين: القادر والقائم. وفي هذه الإعلانات نجد بياناً بسلالة الأئمة الفاطميين وقد دُسّت فيها المغالطات مما يدعو إلى التشكك بقانونية هذه السلالة. ويبدو أنه أمر منطقي أن يطلب الخليفة العباسي عودة البويهيين الانفصاليين إلى حظيرة الإيديولوجيا السنّية بشكلٍ قاطع، بعد أن استعاد نفوذه السياسي وسلطته. قبل ذلك بقليل وخلال احتفال رسمي مهيب أعاد الخليفة نشر قانون والده القادر الذي شرح العقيدة السنّية لدى «أهل السنّة والجماعة».[١٥] وبحسب هذا القانون يعتبر أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى هراطقة وملحدين. وقد منعت الشعائر الدينية الشيعية المختلفة عن السنّية الأرثوذكسية. (راجع المقدمة).

نستطيع أن نفهم لماذا انصاع أبو كاليجار للضغوط السياسية، الداخلية

---

(١٣) انظر: فصل ٢، هامش ١٥.

(١٤) انظر: فصل ٢، هامش ١٦.

(١٥) كُتبت قبل سنوات قليلة قبل وصول الإسماعيليين إلى البلاط البويهي، من قبل القاضي الشافعي أبي الحسن الماوَردي في مؤلفه الشرعي الشهير **الأحكام السلطانية**.

كان هدف الماوردي الأساسي المدافعة عن أحقيّة الخلافة العباسية وشرعيتها وإعادة نفوذها وسلطانها وفرض احترامها، وذلك نظراً للانقسامات في المجتمع الإسلامي.

انظر: Henri Laoust, 'La Pensée et l'action politiques d'al-Mawardi (364-450/974-1058), *Revue des Etudes Islamiques*, 26 (1968), pp 11-92.

والخارجية التي مارسها عليه أنصار الخلافة السنّية. لقد فشلت مهمة الداعية الإسماعيلي بسبب عوامل إقليمية سياسية جعلت موازين القوة تتألب عليه، وأدرك أن هذا الواقع غير قابل للإصلاح وهو في منفاه في حلّة ابن مزيَد، عندما سمع بوفاة غريم أبي كاليجار جلال الدولة في شعبان ٤٣٥ هـ - آذار/ مارس ١٠٤٣ م. وبما أن أبا كاليجار كان قد استعدَّ للاستيلاء على القوى العسكرية في عاصمة الخلافة بغداد، فقد أصرّ على أن ينحاش عن تهمة التعامل مع الفاطميين وبخاصة الداعية الإسماعيلي المؤيَّد.

أصبح أبو كاليجار في خاتمة المطاف أمير الأمراء في بغداد بعد ستة أشهر من وفاة خصمه. وإبّان حكمه الذي دام مدة أربع سنوات توحّدت أراضي العراق، خوزستان، فارس، كرمان وعمان.

كذلك إنطاع القادة العرب في شمال وجنوب العراق للنفوذ البويهي السياسي؛ وانضموا إلى حلفاء البويه في غرب إيران. سنة ٤٣٧ هـ/ ١٠٤٥م. بدأت أولى طلائع الفرق السلجوقية تجتاح بلاد ما بين النهرين. استنفر أبو كاليجار جيشه بَيْدَ أنه أجبر على إلغاء الاستنفار بعد أن تفشّت عدوى قاتلة في دواب سلاح الفرسان مما أضعف قوة الخيّالة. ووجد أبو كاليجار نفسه أمام خطر داهم فقفل راجعاً إلى شيراز حيث كان أهل المدينة قد شرعوا في بناء سور واستحكامات لصدّ الجيش المهاجم.[١٦]

في ذلك الوقت وصل الداعية المنفي إلى مصر وأخذ يشقى في سبيل الحصول على المكافأة ولنيل التقدير. بعد وصوله بقليل، يدّعي المؤيَّد أن رسالة وصلته تبلغه أن أعداءه أعدموا في شيراز بسبب تآمرهم على الحاكم. بعث المؤيَّد رسالة إلى أبي كاليجار وهو الداعية الذي لا يكلّ ولا ينال الوهن من أفكاره المثالية. لا بدَّ من أن ذلك قد حصل سنة ٤٣٩ هـ/ ١٠٤٨ م.

---

(١٦) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٥٢٦، ٥٢٩؛ ابن البلخي، **فارس نامه**، ص١٣٣.

بعد لقائه الذي انتظره طويلاً مع المستنصر بوقت وجيز ـ هذا ما يذكره في جواب أبي كاليجار ـ وقبل وفاة أبي كاليجار بأقل من سنة في شهر جُمادى الأولى سنة ٤٤٠ هـ - أيلول/سبتمبر ١٠٤٨ م. يبلغ المؤيَّد محتوى هذه الرسالة حيث يذكر أبو كاليجار علاقته المتينة بالداعية ومقدار الجهد الحثيث الذي بذله في سبيل حمايته والذود عن حياته أمام عدائية المتآمرين عليه. ويذكر أيضاً حلفه السابق مع الفاطميين، ورغبته في الدخول في معاهدة سلام مع حكومة الخليفة. يرغب أبو كاليجار في إعادة إحياء هذا المشروع. طلب من المؤيَّد وضع معاهدة تجمع بين البويهيين وبين الفاطميين بعقدها مع الخليفة المستنصر. ويضيف عند هذا الحد أيضاً أن مصر مهددة هي الأخرى بخطر الاجتياح السلجوقي. وقد بالغ عندما اعتبر أن صموده أمام اجتياح السلاجقة عاد على مصر وأمنها بفائدة كبيرة. (السيرة: ٧٦-٧٨).

إذا ما نظرنا إلى الوضع السياسي السائد في تلك السنوات، نجد أن لا مجال للشك في أن أبا كاليجار قد كتب هكذا رسالة، لكن ليس لدينا مصدر آخر يعطينا ذات المعلومات حول مبادرة الحاكم البويهي الجديدة. لذلك فإننا لا نستطيع تأكيد أو نفي محتوى هذه الرسالة. نصل إلى نهاية تحليلنا التاريخي. إن حضور الداعية في السيرة بشكله المفهوم والجدّي يتحوّل إلى حضور مقلق ثم يتلاشى. ومن ناحية أخرى، تشكّل الرسالة عنصراً مهماً في تقرير المؤيَّد في منطق مرادف لنصوصه السابقة. سنواصل البحث عن هذا المنطق في تحليل النصوص الأدبية في الفصل التالي.

الفصل الثالث

شخصية الداعية

ليست مذكرات الداعية حول مهمته التبشيرية في شيراز مصدراً تاريخياً تسجيلياً ينقل الأحداث السياسية والطابع البشري السائد في تلك المرحلة فحسب؛ بل توجد معانٍ أخرى نستشفّها من مدوّنات المؤيِّد. وكما سنرى في القراءة الحديثة لهذه السيرة، يمكننا أن نعتبر أن ثمة سرد يتناول العمل الذي قام به الداعية وتأمل في روحية الأهداف والمثل والأخلاقيات المكنونة في مجمل الدعوة الإسماعيلية.

نوع السيرة

بحسب التقاليد الأدبية الفاطمية الإسماعيلية، تُعرف مذكرات المؤيَّد تحت عنوان «السيرة المؤيَّدية»، وتتناول السيرة مسار الحياة في معناها الأصلي ويمكن أن تُفهم بحسب الترجمة إلى اللغات العربية بـ«السيرة» أو «السيرة الذاتية».

إن أقدم سيرة معروفة هي سيرة الرسول محمد التي ألّفها محمد بن إسحاق، وهو مؤرخ عربي مشهور من القرن الثاني هجري/الثامن ميلادي. وقد جمع ونسّق وبوّب أحداث النبي. ولو أن ابن اسحاق كان ينوي بوضوح شديد تبيان صورة الرسول كرجل عادي وليس كقديس، مع أفراد عائلته،

صحابته، أصدقائه وأعدائه، ما لبثت هذه السيرة أن تحوّلت إلى مجموعة من المرويات والتقاليد المؤكدة لتظهر «السيرة المحمدية» بحسب أهميتها الأخلاقية والمثالية وليس فقط في تضاعيف أحداث التاريخ والأحداث البشرية الذاتية في سيرة حياة الرسول محمد.

نجد في التقليد الأدبي الإسماعيلي عدداً ليس بالقليل من المؤلفات التي تحمل عنوان السيرة. ومعظم هذه المؤلفات مندرجة في سياق أحداث سياسية متعلّقة بحياة الأئمة ورجال السياسة وروّاد الحركة الإسماعيلية من رجالات الدعوة. أما الصفة العامة لهذه المدوّنات فهي لا تحمل لوناً أدبياً معيّناً ومضامينها مختلفة أيضاً، والمؤلفون هم على الأرجح من المشاركين الفعليين في حياة الأشخاص الذين يكتبون عنهم وهم أكثر من مراقبين بل إنهم رفاق مقرّبون من الشخصيات السياسية. تعطي هذه المؤلفات شهادة حقيقية من قبل شاهد مقرّب على أحداث سياسية معروفة.

ونذكر البعض من هذه المؤلفات على سبيل المثال. سيرة جعفر الحاجب؛ وفيها أخبار رحلة أول إمام فاطمي عبد الله المهدي ـ وهو مولى جعفر ـ من سلمية إلى رقّادة (راجع المقدمة) في شمال أفريقيا.[١] وهناك سيرة أخرى مهمة عن المهدي وهي «سيرة الإمام المهدي» كتبها الداعية ابن الهيثم. يعطي المؤلف جملة تفاصيل عن الأحداث السياسية والعسكرية إبّان حكم المهدي.

ونجد في هذا المؤلف المراسلات التي حفظت في عاصمة الفاطميين الثانية «المهدية» وهي تقع اليوم في تونس.[٢]

---

(١) محمد بن محمد اليمني؛ **سيرة الحاجب جعفر بن علي**، طبعة:

W. Ivanow, in Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt, 4, Part 2 (1936), pp 107-133. English trans. W. Ivanow, in his *Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids*, pp 184-223.

(٢) بعض الأجزاء من النص أصدرها المؤلف: S.M. Stern, في كتابه **حكم المهدي بالاستناد** =

أما السيرة الأكثر شهرة فهي سيرة ابن حوشب حول حياة وإنجازات بطل الدعوة منصور اليمن؛ من تأليف ابنه جعفر وقد جمع المعلومات مشافهة بعد رواية أبيه لها.[٣]

وثمة سيرة مهمة هي الأخرى وهي سيرة **جوذر** (سيرة الخصيّ جوذر)، الذي دخل في خدمة الخليفة الإمام المهدي وهو لا يزال فتياً سنة ٢٩٧ هـ/ ٩٠٩ م وتسلّق سُلّم الوظائف الفاطمية في وقت لاحق. أما الكاتب فهو مساعد جوذهر «أبو علي المنصور الجوذري» الذي كان مثل سيده عبداً.[٤]

نجد سيراً مماثلة في الأدب الديني لدى إسماعيليي البهرة في الهند ابتداءً من القرن العاشر هـ/ السادس عشر م. تخبر هذه الأعمال عن «الدعاة المتلقّين» وهم قادة البهرة الدينيون.[٥]

وبما أنها سير ترتكز على طابع السيرة الذاتية فهي تشكّل مصادر تاريخية في التقليد الإسماعيلي. استعمل الكاتب الذي دوّن تاريخ الإسماعيليين العام، الداعية اليمني إدريس عماد الدين (توفي سنة ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٨ م) في مؤلفه الضخم «عيون الأخبار»، السير كمصدر تاريخي هام، هذا، مثلما يُستعان بالسير في عصرنا الحديث لأجل الدراسات المعاصرة.

= إلى عيون الأخبار في:

Studies, pp. 96-152.

أما ابن الهيثم وأعماله، فانظر مقدّمة:

Madelung and Walker, *The Advent of the Fatimids*, pp. 1-59.

(٣) انظر: فصل ١، هامش ١٤.

(٤) أبو علي منصور العزيزي الجوذري، **سيرة الأستاذ جوذر**، طبعة م. كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).

ترجمة فرنسية:

Marius Canard, *Vie de l'Ustadh Jawdhar* (Algiers, 1958).

(٥) انظر: كليم، *Die Mission*، ص١٧-١٠٦.

ولكن إذا ألقينا نظرة شاملة على مجموع السِير الإسماعيلية نجد أن لديها جميعها مجموعة من الخصائص المشتركة في ما بينها، وهذا ما يجب أخذه بعين الاعتبار في كل محاولة تحليلية نقدية لأية سيرة من السِيَر. كل سيرة هي في حدٍّ ذاتها موضوع يتناول شخصية دينية أو سياسية. على العموم لا تخبرنا السيرة عن كامل حياة الشخصية التي تتناولها بل تنقل إلينا حقباً من حياة هذا الشخص مثل حقبة انطلاقته السياسية؛ أو من أعماله خلال انطلاق مهامه في الدعوة. وعادة ما تبقى المعلومات عن طفولة هذا الشخص وحياته العائلية كامنة في الظلام لا نعرف عنها شيئاً. أمّا عن طبعه وخصاله فغالباً ما يجري الكلام على ذكائه ونبوغه، وإبراز فضائله، مهاراته وقدراته. فلا يجد المؤلف أهمية لشيء آخر بعيداً عن تلك الصفات المذكورة.

نستنتج من هذا الحديث أن السيرة بتضاعيفها لا تماثل الأنموذج الغربي للسير (الأوتوبيوغرافيا أو البيوغرافيا) التي نجد فيها وصفاً للطبع والشخصية وكيف يتطوّر الفرد ويتفاعل مع عالمه ومحيطه من خلال تطور علاقته الجدلية بالأشياء، الأفكار وبالأشخاص.

السيرة هي سيرة حياة بما في هذه الحياة من أفكار وأحداث لها وقع سياسي ومعنى ديني فحسب؛ فالمعلومات التي نجدها تكشف الفضائل الدينية والإيديولوجية العائدة للشخص الذي تتناوله السيرة، وبالإضافة إلى تصنيفها في خانة المشهد التاريخي، في بإمكاننا وضع السيرة في خانة المصادر التي تعكس إيديولوجية وعقائد الشخص المعني في الفترة الزمنية التي عاشها والتي شهدت تدوين وقائع هذه السيرة.

إن إظهار المثل والقيم الإسماعيلية شديد الوضوح في سيرة الداعية المؤيَّد. وعلى مثال الكتّاب الذين حذا حذوهم، فهو لا يفصح شيئاً عن حياته الخاصة وتفاصيلها، ولا يكتب عن أحداث خاصة حميمة وعائلية، بل يضع كل جهده في نقل وتصوير الاختبارات التي مرّ بها؛ إبَّان قيامه بأداء مهمته التبشيرية الخطرة لمصلحة الإمامة الفاطمية. وحين كان يكتب عن

مرحلة مغادرته لوطنه الأم وفراره باتجاه مصر، لم يذكر شيئاً عن عائلته أو أحبّائه الذين بقوا في إيران على ما يبدو، حتى أنه امتنع عن التعبير والحديث عن الألم النفسي الذي لا بدّ من أن يكون اعتراه في تلك الفترة وهو يفارق وطنه الأم. وبعكس السيرة فإن الداعية لا يمتنع عن سكب لواعج قلبه وعبراته في ديوانه تعبيراً عن حنينه الكبير لأرض الوطن؛ سنذكر مثالاً واحداً:

بَكيتُ إلى أنْ صَار يَبكي لِيَ البُكا ... فَهَلْ عَجَبٌ أنْ للبُكاءِ بكاءُ

لأحْبَابِنا إنَّا لهُمْ عَنْ قُلوبِنا ... وأَزْواجِنا في بُعْدِهِمْ بُعَدَاءُ

أَحِنُّ إلى مَائِي ومَرْعاي مِنْهُمُ ... فِما طَابَ مَرْعًى بعْدَ ذاكَ وماءُ

وَما في سُرُورٍ، مُنْذُ بَانُوا، مَسَرَّةٌ ... ومَا فِي رَخَاءٍ لَذَّةٌ وَرَخَاءُ

رَعى اللهُ مَنْ كم سَرَّ قلبِي لقاؤه ... وما سَرَّ مُذْ ذاكَ اللِّقاءِ لِقَاءُ[٦]

ويبدو جلياً في السيرة أن المؤيَّد لم ينوِ على الإطلاق الكلام على الناحية النفسية والعاطفية في حياته. أراد أن يدوّن تقريراً حول مهامه الرسمية. بما أنه، كما سنرى في الفصل المقبل، كان ينوي إظهار طاقاته ومواهبه، وتبيان ولائه واندفاعه العظيمين لرؤسائه في الدعوة، فليس من المبالغة إذن أن نقول إنه جمّل نفسه لخدمة غرضه من إظهار كل طاقاته.

كل هذا المجهود يؤكّد عليه محتوى كتيّب صغير فيه وصف لصفات الداعية والمقتضيات المهنية والأخلاقية التي يجب أن يتحلّى بها من أجل إنجاح الدعوة. وعنوان هذا الكتيّب هو: «الرسالة الموجزة الكافية في أدب الدعاة». من تأليف أحد مواطني المؤيّد ويدعى: أحمد بن إبراهيم النيسابوري وهو داعية عاش في القاهرة قبل عدة عقود من زمن المؤيَّد على

(٦) ترجمة من قطب الدين، **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٥٢ف.

عهد الإمامين العزيز والحاكم أي عند مختتم القرن الرابع وبداية القرن الخامس للهجرة.

ينتمي الكتيّب إلى الأدب الذي يتعامل مع قواعد الأخلاق والتصرف لدى مختلف المجموعات المهنية.[٧] سنلخّص بعض النقاط ذات العلاقة بأخلاقيات الدعوة وصفات الداعية (راجع الملحق ٢).

يخاطب النيسابوري الدعاة ورئيس الدعاة (الباب) على يمين الإمام والرسل (المكاسر) الذين يعملون وراء الحدود فدي مكان ما من الجزيرة. يقول النيسابوري إن كل العاملين في الدعوة مجبرون على معرفة الشروط التي تتحكم في العمل الذين يقومون به؛ فهذا العمل هو من أنبل الأعمال ويرتقي إلى أعلى مدارك التراتبية الدينية. فالله هو داعية كما ذُكر القرآن الكريم:

﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صِرَاط مستقيم﴾ (يونس: ٢٤-٢٥).

يدعونا الله باستمرار، وهذه الدعوة يواصل الأنبياء والأئمة والدعاة العمل بها دون انقطاع وذلك من خلال دعوة المؤمنين باستمرار وحثّهم على طلب المعرفة لبلوغ مدارك الدعوة (الرسالة: ١-٢).[٨]

---

(٧) النص موجود في الجزء الثاني لكتاب الأزهر، لحسن بن نوح البهاروشي وصدر في كتاب كليم *Die Mission*، ص٧٧-٢٠٦. وذلك نقلاً عن مخطوطة من الجامعة الأميركية في بيروت. يشتهر النيسابوري خصوصاً في كتابه: **استتار الإمام وتفرّق الدعاة في الجزائر لطلبه**.

يتحدث هذا الكتاب عن بدايات الدعوة الفاطمية في العراق وأحداث سلمئة، ورحلة عبد الله المهدي إلى شمال أفريقيا (انظر الفصل الأول). صدر هذا العمل في القاهرة ١٩٣٦. وترجمه إلى الإنكليزية:

W. Ivamow in *Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids*, pp. 157-183.

(٨) هنا وفي محل آخر تشير الأرقام إلى كتاب كليم حول *the Risala, Mission*، (انظر رقم ٧).

ويريد النيسابوري منح رجال الدعوة الرسميين كل المعلومات المطلوبة وذلك من خلال أبواب الأخلاق، الدين، التربية والسياسة في مجمل أعمالهم وإنجازاتهم. إنه في غالب الأحيان يستهل كلامه بالطريقة التالية:

وينبغي للداعية. . . وعلى الداعية الالتزام بثلاثة شروط: التقوى؛ السياسة؛ والعلم.

وهذه الشروط مشروحة بإسهاب في الكتيّب، وهي مهمة لكل الدعاة الرتب الهرمية الإسماعيلية.

وبما أن كتيّب النيسابوري وجد ليقرأه كل من له علاقة بالدعوة فلا بدّ من أن المؤيَّد قرأه أيضاً.[٩] وبالنظر لولائه وطموحه في عمله، في إمكاننا أن نستنتج أنه كان يسعى بحماسة إلى إنجاز هذه المثل في مهمته. ومن الملاحظ أيضاً أنه يسعى ليظهر أمام من سيقرأ السيرة، كيف أنه عمل بجهد لينفّذ مقتضيات مهمته المثالية. إن التقوى والسياسة والعلم هي دعائم بناء شخصية المؤيَّد الذاتية كما وردت في السيرة.

التقوى

بحسب النيسابوري (الرسالة: ١٩ف)، تعني كلمة تقوى المعرفة والإيمان: يجمع العلم والعمل مع الاعتقاد؛ وذلك مع ما يسمح به القرآن أو ينهيه، تقوى الله الواحد الذي لا يوصف، إنها مبادئ الداعية.

وكي يتقدم الداعية في رتب حدود الدين ينبغي عليه إظهار التقوى أو

---

(٩) يبدو أن رسالة النيسابوري هي الوحيدة التي تتناول أدب الداعية. وفصل واحد من كتاب القاضي النعمان: **كتاب الهمّة في آداب أتباع الأئمة**. طبعة. م. كامل حسين، القاهرة، (١٩٤٨). وقد أُلّف هذا الكتاب قبل عقد من الزمن سبق تدوين **الرسالة**، وفيها واجبات الداعية خلال عمله.

ونظراً للتشابه بين النصّين، نعتقد أن النيسابوري كتب العمل كتوسيع لرسالة القاضي القصيرة.

الطاعة (بهذا المعنى هنا) تجاه رؤسائه في نظام الدعوة. ويُقصد أيضاً بكلمة تقوى امتلاك جميع الفضائل والامتناع عن جميع الرذائل. لذلك ينبغي على الداعية ممارسة الرقابة الذاتية. ومن خلال مراقبته لنفسه يستطيع أن ينظّم نفسه، ويرشد أعماله ويسيطر عليها ويصبح مستعداً لمواجهة الصراع ضد النزوات والرذائل والرغبات الجسدية ليبعد عنه كل الأهواء المقيتة التي حرّمت من قبل الدين. يقول النيسابوري إن الميول والأهواء، في واحدٍ من فصول الرسالة، تودي إلى الاعتداد بالجسد أكثر مما يستحق فتضعف بذلك قوة العقل ويودي ذلك الشعور في خاتمة المطاف إلى البؤس والمادية (الرسالة: ٤٢). هذا يؤدي إلى الفساد في النظام الديني. وبما أن الداعية يقسم أن لا يغش الإمام في الأمور المالية وأنه لن يخون التعاليم الدينية، ففي حال تلاعب في قسمه وأصابه الإفساد يخسر حِلْفَه مع الإمام وتنحلّ العروة التي تربطه مع الدعوة ثمّ يخسر مركزه الذي عهد به إليه (الرسالة ٤١)[١٠].

السياسة

وكي يمارس الداعية التقوى في مسارها الصحيح، يشير النيسابوري أنه ينبغي على الداعية أن يتمتع بالرأي (أي المنطق) والعقل (أي الذكاء) في أقصى قُدراتهما (الرسالة: ٣٠). وأكثر من ذلك، ينبغي على الداعية أن يكون متملكاً لثلاثة أشكال من السياسة: سياسته الخاصة، سياسته العائلية، سياسته العامة. فبحسب النيسابوري السلطة (السياسية) هي أساس القوة (الرسالة: ٣٥).

---

(١٠) بالنسبة إلى قَسَم الموالاة. انظر: Halm, *'The Ismaili Oath of Allegiance ('ahd)'*, in Daftary, ed. *Mediaeval Isma'ili History and Thought*, pp. 91-99; and Klemm, *Mission*, pp. (200f.). فرهاد دفتري

وذلك بحسب رسالة النيسابوري.

إذا ما تملّك الداعية صفات القيادة هذه، يجب عليه أن ينسّق ويصلح في المسؤوليات التي عهدت إليه، لتكون تحت عين مراقبته ثمَّ تكون تحت رعايته الخاصة. والإمام يقدم له المساعدة من خلال معرفته وقدراته. وفي مكان آخر يطلب من الداعية أن يعالج مسائل العصيان والثورات وإذا أهمل هذه الاضطرابات وقصّر في إداء مهامه لضعفٍ ألمّ به يجب عليه أن يتحمّل مغبة تقاعسه (الرسالة: ٦٣ف). ويجب عليه أيضاً أن يدرك أن النظام الديني مبني على حفظ أسرار الدين ومنعها عن كل أولئك الذين لا علاقة لهم بها؛ وإلا تعرضت الجماعة للخراب وضياع «جزيرته» (الرسالة: ٣٣). إذا عجز الداعية عن إتمام جميع هذه المهام فينبغي عليه الاعتراف بضعفه حتى يستدعى شخص آخر ويأخذ مكانه.

ويطلب النيسابوري من الداعية أيضاً أن يرعى مصالح هؤلاء الذين يقودهم ويجب عليه أن يلقّنهم مبادئ القانون الإلهي، وينهاهم عن المنكر ويحضهم على عمل الخير والفضائل، وطوال فترة تدريب هؤلاء الأفراد عليه أن يكافئ الخيّرين ويجزي الأشرار بالعقاب المناسب. أمّا في حال تعرّض أحدهم إلى ظلامة من أي نوع ينبغي عليه عاضده وإذا اقتضى الأمر عليه أن يدافع عنه أمام الحاكم. (الرسالة: ٥٩).

وعلى الداعية أن يثقّف المؤمنين. وينبغي عليه أن يحلّ المشاكل القضائية في المجموعة ولو لم يكن الحاكم ولا القاضي فهو يحمل أعباء مهام رسمية تقرّبه أكثر فأكثر من الشعب. والذي لا يقبل بأحكامه يحيد عن المسار الصحيح للدين (الرسالة: ٦٠). ويستطيع الداعية في حال الضرورة القصوى إلقاء الحرم على العصاة، ولكن لا يسمح مهما كان الظرف أن يحتجب عن المؤمنين بحجة المرض. وعليه أن يكون حيادياً في النزاعات وتحاشي إزكاء الأحقاد. وكل ما يقوم به يجب عليه أن يدرسه بعناية حتى لا تصاب الدعوة بخسارة فادحة يصبح غير ممكن تصحيحها في ما بعد (الرسالة: ٣٢ف).

وأخلق بالدّاعية ألا يهتم بالإسماعيليين فحسب بل عليه الاهتمام بالسنّة

أيضاً، وبكل طبقات المجتمع من الطبقة الأعلى إلى الأدنى دون تفريق. عليه أن يهب نفسه لحاجات الناس الخاصة كما للحاجات السياسية. وعندما يجادل، يتكلم وحتى يحارب الآخرين عليه محاججتهم بالقرائن الصحيحة (الرسالة: ٢٢). ويقودنا هذا إلى الشرط الثالث في عمل الداعية: العلم.

العلم

إن أساس العمل التربوي والإرسالي التبشيري الناجح خارج مجتمع الداعية، هو ذلك الأساس المبني على العلم والمعرفة. ويفرّق النيسابوري بين العلم الظاهر وبين العلم الباطن والمقصود هنا الفرق بين علم العامة وبين علم الإسماعيلية وعقائدهم السرية إنه يصنّف العلم الظاهر كالتالي: (الرسالة: ١٤ف)؛ القانون ومبادئ القانون؛ الأحاديث الدينية التي تتناول الأنبياء والأئمة؛ القرآن الكريم وتفسيره؛ التبشير؛ التذكير؛ وأساطير الأنبياء قبل الإسلام، والمناظرات الجدلية واللاهوتية.

أما تصنيف العلوم الباطنية فهي كالتالي (الرسالة: ١٦ف):

أ ـ علم المحسوس، وهو العلم الذي ندركه بواسطة الحواس؛

ب ـ علم الموهوم، وهو علم المجاز والأمور المجرّدة؛

ج ـ علم المعقول، وهو علم المنطق.

ويتوافق هذا النظام العمودي مع الطريقة التفكيكية العقلية لدى المستجيب. أي المتدرّب أو المتدرّج في أصول الدعوة الدي يشرح النيسابوري كيفية تدريبه في مكان آخر من الرسالة (الرسالة: ٤٧ف) ويعتبر أن علم المحسوس يشابه إرضاع الطفل (الرسالة: ١٦) ويشتمل على المعرفة التي يتناولها أعضاء الطبقة الدنيا في الإسماعيلية مثل الناطق والوحي وإمام الزمان.[١١] ويحتوي علم المحسوس على تفسير القانون الديني أو تأويل

---

(١١) عباس الهمداني:

'Evolution of the Organisational Structure of the Fatimi Da'wah: The Yemeni and Persian

الشريعة؛ والحكمة الكامنة في تضاعيف هذه الشريعة.

أما علم الموهوم فهو يغطي المسائل التي لا يمكن فهمها إلاّ بواسطة العقلانية، كمثل الطبقات السماوية المتاخمة لله والعقلاء[١٢] وعلم الأرقام. وأخيراً نصل إلى علم المعقول وهو معرفة المعنى الحقيقي للأشياء، أصولها والنهاية التي ستؤول إليها. إنها الحقيقة المطلقة التي لا تتبدل أبداً وهذا العلم يتلاءم مع ما يحاول العلماء جلبه إلى عالم العقل (الرسالة: ١٦).

المعلوم أن الإمام هو وحده من يمتلك أشكال المعرفة بكاملها، بَيْدَ أن الداعية يعرف بعض المعلومات من كل علم أي «شيئاً من أصوله» (الرسالة: ١٨)؛ عليه أن يلمّ بهكذا معرفة حتى يصبح قادراً على الإجابة في حال طرحت عليه الأسئلة المتعلّقة بالمعتقد الديني، وينبغي عليه إدراك المعنى الظاهر للشريعة بما أن الفرض أن يكون صاحب خبرة في مسألة تفسير الشريعة. إن إلمامه بمعرفة التقليد المتعلّق بالسلطات الدينية (التي أخذ عنها علمه) يساعد الداعية على الاستشهاد بالمعلومات لدعم مواقفه. وينبغي عليه الإجابة على أسئلة حول القرآن باستعمال التفسير الظاهر كما الباطن. وعندما يعطي دروسه للمريدين يجب نبغي عليه أن يجيد إجادة تامة تقنيات استعمال الشواهد ومعرفة أساطير العهد القديم بحذافيرها لما فيها من طاقة تعليمية وزخم معرفي. كما يساعده علم الكلام لدحض مزاعم خصومهم في الدين وقهرهم في مجالس المجادلات الدينية. أما إذا أصيب الداعية بهزيمة علمية في واحدة من المجادلات فهذا سيسبب خسارة عظيمة إلى جانب شعور كبير بالإذلال (الرسالة: ٢٨ف).

كذلك يدرس الداعية العلوم الطبيعية، علم الهندسة، الرياضيات،

Contribution', *Arabian Studies*, 3 (1976), p.100.

انظر أيضاً: حميد الدين الكرماني، **راحة العقل**، طبعة محمد كامل حسين وم. مصطفى حلمي (القاهرة وليدن، ١٩٥٣)، ص٢٥٦.

(١٢) W. Madelung, 'Ismailiyya', in *EI2*, vol.4, pp. 203f; Hamdani, 'Evolution', pp 99f.

الفلسفة وعلم أصول المذاهب (الدينية) واختلافها. فهذه السعة في المعلومات والدراسة تجعل الداعية مقتدراً على العلوم يستطيع أن يفرّق بين ما هو صالح وما هو رديء ويتعلّق تعلّقاً كبيراً بما هو حقيقي وهو يفشي كل ما هو رديء ومخطئ (الرسالة: ١٨)

هدف تقرير المؤيَّد

تعطينا مذكرات المؤيَّد عن مهمته في شيراز انطباعاً أنه استطاع خلال مهمته تطبيق المواصفات المثالية المطلوبة من الداعية شكل كامل إن من حيث علمه وفكره أو من حيث تصرّفاته؛ كما رسمها النيسابوري في رسالته. إنا ما يصف نفسه به من تقوى، علم وسياسية هي المواصفات التي سعى إلى تحقيقها. في كل ما كتبه المؤيَّد نجده متحمّساً ليثبت أن مهمته في شيراز لم تكن بدافع شخصي ولا لأسباب خاصة (السيرة: ٧، ١٤، ١٥، ٦٢)، بل من أجل خدمة الإمام المستنصر، يقول عن نفسه (من خلال محادثة مع الوزير العادل)؛ إنه صرف فصول حياته برمّتها في حال من التواضع الشديد والعبادة والتقوى وهو صارع في كل الأحيان حتى تكون أعماله مثالاً للاستقامة والنزاهة والصراحة (السيرة: ٧). لا يستطيع أن يتكوّن أي شك لدى القارئ أن المؤيَّد حاد يوماً عن أهداف مهمته الدينية، وهو يقول إن همّه الوحيد ما توقف عن أن يكون محافظاً على دين الآباء، هذا الدين الذي أطلقت عليه الأحكام المخطئة في شيراز وعليه أن يعيد له وهجه وحقيقته السابقين (السيرة: ١٤ف).

في الوقت نفسه وبالزخم نفسه يُظهر المؤيَّد أنه صاحب السلطة والمسؤولية عندما يصف علاقته مع الجماعة المؤلفة برمتها من العسكر الديالمة وأبي كاليجار. أيضاً وأيضاً هو يبالغ في وصف أهمية وعظمة دوره كموحّد بين المؤمنين، لأن المؤيَّد يعمل وسطهم كأب وأخ وصديق، وحافظ لكل الأسرار وموئل للجميع في السرّاء والضرّاء (السيرة: ١٠)، كما بُنيت

مراكز جديدة للدعوة الفاطمية في «بسا» والأهواز إبّان فترة قيادته (السيرة: ١٢، ٥٥).

وكما يذكر النيسابوري (الرسالة: ٥٨) في مواصفات الداعية جعل المؤيَّد من منزله مركزاً حيوياً نابضاً بالحياة وهو نقطة استقطاب لأبناء الطائفة حيث تعقد المجالس الدينية والاحتفالات بشكل متواصل (السيرة: ٥، ١١، ٦١).

كان العسكر الديالمة يقصدون إلى منزل المؤيَّد ليشتكوا ويطلبوا النصح. فالمؤيَّد هو يد ولسان الديالمة (السيرة: ٥٨)؛ إنه يمثلهم أمام الوزير العادل كونه قائدهم ويرعى مصالحهم أيضاً (السيرة: ٨). من جهتهم أظهر الديالمة دعمهم له وتضامنهم مع قضيته في الظروف التي كان مهدداً فيها من قبل جهات رسمية (السيرة: ٩، ٦٥، ٧٣). وباستطاعة المؤيَّد استنفار هذه القوات ساعة يشاء عندما تدعو الحاجة لذلك، وهو يستعمل الديالمة كورقة ضغط فاعلة عندما يفاوض الوزير.

بالإضافة إلى كل هذه القدرات، يتمتع المؤيَّد بمعرفة واسعة وموهبة أدبية بلاغية كبيرة. نجد في تقريره شواهد تعلمنا أن مهارته في المجادلة مع أخصامه العقائديين، كانت سبيله إلى إقناع أبي كاليجار بأحقية عقيدته على العقائد الأخرى (السيرة: ١٦، ٤٣). بعد تلك المناظرة جعله أبو كاليجار معلّمه. أصبح الداعية المتفوّق معرفة قادراً على إرواء ظمأ الحاكم وذلك من خلال لقاء أسبوعي (السيرة: ٤٣): مهما كانت اللغة أو العقيدة التي كان يرغب بالسماع عنها، لم أكن أبخل عليه بها. عندما استطاع المؤيَّد حينئذٍ إقناع أبي كاليجار بحقيقة الدعوة الإسماعيلية. كانت حصة الدرس تختتم دائماً بصلاة لله وللسلطة الإسماعيلية، وبصلاة للإمام المستنصر. وهكذا يظهر وصف المؤيَّد لشخصه وسيرته مطابقاً للمثل الخاصة بالداعية على الطراز الذي حدّده النيسابوري في كتابه.

ففي الدور الذي يناط بالداعية كمعلم نجد النيسابوري يسبغ على

الداعية المعلم الصفات التالية: الطيبة، الفهم، الصبر، التعاطف، التواضع. (الرسالة: ٢٩، ٣٤)؛ إن هذه الصفات تنطبق بحذافيرها على المؤيَّد متى باشر في عملية وصف نفسه، وهو يعمل على تثقيف أبي كاليجار.

ويدع المؤيَّد قرّاءه يدركون أن محاسنه تنبع من مواهب شخصية عديدة موجودة لديه مثل فطنته الاستراتيجية وبلاغته وجزالة لسانه. وكما يظهر في طيّات تقريره، عرف تماماً كيف وأين يضع هذه المواهب وكيفية استعمالها للغرض الملائم في الموضع المناسب، وكل ذلك لأجل منفعة الإمام وخدمته. بَيْدَ أن أعداء المؤيَّد لم يكونوا في حالة سبات وكسل فقد قاموا بكل ما باستطاعتهم القيام به لعرقلة مسعاه الإيماني التقي. والمؤيَّد لا يشير إلى هؤلاء كخصوم سياسيين، بل ينعتهم بالإلحاد مثل «الخائن»؛ وهم جماعة من الحُسّاد والمتآمرين وعلى رأسهم ابن مُسلِمة المقيت رسول الخليفة العباسي. تحوّل كل هؤلاء بمُضي الوقت إلى جماعة مناهضة، تكالبوا على المؤيَّد بكل قواهم لأجل إفشال نجاحه. يصف المؤيَّد صراعه ضِدَّ هؤلاء الأشرار، كصراع بريء، لا يكلّ، صراع متجرّد، يضحّي بنفسه من أجل العدالة الإلهية؛ هذا، وبالرغم من كل صنوف الإذلال والمهانة التي تعرّض لها والأخطار المميتة التي يواجهها، يبقى وفياً وملتزماً بالقضية لأجل الإمام.

يواصل المؤيَّد إلقاء الضوء على فضائله المهنية والشخصية طوال سرده للأحداث، وهكذا يبني لنا صورة الداعية الحقيقي والفريد الذي يضحّي بحياته، بيته وعائلته؛ لأجل المهمة العظمى، والهدف الأسمى.

لم يكن الأمر خطأً منه، كما يقول، إن مهمته فشلت واضطر في النهاية عن روح أبي كاليجار وصداقته. يعلم القارئ في المقابل أن قوة الشر المتنامية والفرصة التي أتيحت فجأةً للحاكم ليصبح القائد الأعلى في بغداد أفشلتا مهمة المؤيَّد.

إنَّ أي قارئ فاطميّ متنوّر باستطاعته أن يستنتج أن المؤيَّد طبّق مثاليات الدعاة بحذافيرها وأتمّ شروطها. إن هذا الميل الأدبي في النص يلائم وضع

المؤيَّد في مصر، حيث شعر بحرج حمله على تقديم الدليل الداغم عن قدراته ومواهبه التي يتمتع بها وينبغي عليه أن يشرح أيضاً سبب فشل مهمته في مسقط رأسه.

يختتم المؤيَّد تقريره بإبلاغه عن حدث يتوِّج مهمته الفاشلة بنجاح متأخر. بعد مرور بضع سنين في مصر وصله نبأ مقتل خصومه في فارس لأنهم تآمروا على الحاكم (السيرة: ٧٥). وقد بعث أبو كاليجار برسالة خاصة إلى المؤيَّد يعتذر فيها ويطلب منه إعداد حلف بين البويهيين وبين الفاطميين في المستقبل القريب. على المستوى الأدبي لتقرير المؤيَّد، تعتبر هذه النهاية السعيدة دليلاً واضحاً على شرعية مهمته وكيف أن اللَّه شدَّ عضده في نهاية المطاف وساعده. في منطق القصة الداخلي نجد أن الأحداث قد وصلت إلى دائرة مكتملة والوعد الموجود في المقدمة قد تمَّ. هنا يعتبر المؤيَّد أن خاتمة الأحداث تحمل في طياتها معجزةً دينيةً. إن تدخّل اللَّه في سياق الأحداث يثبت صدق دعوة الإمام الشيعي الأول عليّ بن أبي طالب كما يستنتج القرّاء، كذلك أنَّ دعوة الإمام المستنصر أصبحت دعوةً حقيقيةً وصادقةً. ولم يسبق لأحد أن أثبت مدى وفائه وتجرُّده بقدر هو الداعية المؤيَّد في الدين الشيرازي.

تُظهر لنا السيرة القوانين والمُثل التي عليها تبنى الدعوة الفاطمية. ولا مجال للشك في أن الميل الأدبي لدى المؤيَّد ينعكس على أي تحليل يستند إلى السيرة على أساس أنها مصدر تاريخي. وفي غياب مصادر أخرى وانهيار الإطار التاريخي الذي يجب علينا أن نضع فيه سيرته، يجب علينا والحالة هذه أن نتعامل مع سيرة المؤيَّد بحذرٍ شديد، لأنه يبني سيرته بتوافقٍ مع المُثل العليا للدعوة.

القسم الثاني

المؤيَّد في مصر وسوريا

الفصل الرابع

المؤيَّد في البلاط الفاطمي في القاهرة

وصل المؤيَّد في الدين الشيرازي إلى القاهرة سنة ٤٣٧ هـ/ ١٠٤٥ م. أو سنة ٤٣٨ هـ/ ١٠٤٦ م. في السنة العاشرة أو الحادية عشرة من حكم الخليفة الإمام المستنصر الذي اعتلى سُدّة الولاية في شهر شعبان ٤٢٧ هـ - أيار/مايو ١٠٣٦ م. وهو بعدُ صغير ابن سبع سنين بواسطة الوزير الجليل الجرجرائي. في تلك الآونة كانت القاهرة مدينةً بعيدةً للغاية عن ذهنية المؤيَّد وخبرته اليومية ولم تكن موجودة سوى في خياله.

إن الجزء من السيرة الذي يخبرنا عن مرحلة مصر هو على شكل رسالة إلى أحد «الإخوة» لربما كان يعيش في فارس. يشكر المؤيَّد بلياقة وتهذيب هذا الصديق الحميم على رسالة تلقَّاها منه.

عقب ذلك، بحسب ما طلبه الأخ في رسالته، يأخذ المؤيَّد بسرد كل تفاصيل الأحداث التي حصلت له بُعيد وصوله إلى مصر، البلد الذي بحث فيه عن موئلٍ يتأرجح بين الأمل واليأس. كما يطلب من المرسل إليه أن يحفظ كل ما يقرأه من معلومات طي الكتمان والسرية. (السيرة: ٨٠).

يغطي هذا الجزء من سيرة المؤيَّد الأحداث التي جرت في غضون الإثنتي عشرة سنة المقبلة بين تاريخ وصوله إلى القاهرة وبين احتلال الفاطميين لحلب، وهي حلقة في جهاد الفاطميين لبناء جبهة موحدة ضِدَّ

الغزاة السلاجقة شمال سوريا والعراق، تحت عهدة المبعوث كامل الصلاحيات أي المؤيَّد. لقد كتبت هذه المعلومات من دون شك خلال إقامته في حلب بين صَفَر ٤٤٩ هـ - نيسان/أبريل ١٠٥٧ هـ. ورمضان ٤٥٠ هـ - تشرين الأول/أكتوبر ١٠٥٨ م.[(١)]

خيبة أمل وكبت

استهل المؤيَّد رسالته وهو يُعلم صديقه المجهول الهويَّة عن اقتناعه بحصوله في القاهرة على مكافأة مجزية تلائم الخدمات الفريدة التي قام بها في شيراز، ويرى أن: لا أحد غيره قام بمثل هكذا خدمة.

ولكن عكس ما كان يتوقّع، لم يستغرقه وقتٌ طويلٌ حتى يدرك: «أن الذي أصبو إليه»، أي الإمام، كان بمثابة شمس محجوبة بستارة، وكان من الصعب الوصول إليه. (السيرة: ٨٠).

حالما وصل الداعية إلى القاهرة، ارتمى وهو فرحٌ للغاية أمام القصر على الحضيض المغبر. عَقيب ذلك واجه الوزير الفلاّحي.[(٢)] يصف المؤيَّد الوزير بالرجل المميَّز والإنساني وقد رحّب به ترحيباً حارّاً ومشرِّفاً. ومنح منزلاً صغيراً غير أنه مُعدٌّ بصورةٍ ممتازة وبسخاء. (السيرة: ٨٠) لكن لم يسمح له بمقابلة الإمام بالرغم من رغبته الملحّة في ذلك.

لم يمضِ وقت طويل حتى أدرك المؤيَّد أن الرجل الذي عيَّن الوزير والممسك بزمام البلد وإدارة الدولة في كل أنحاء الإمبراطورية ليس سوى رجل يهودي يدعى أبو سعد التستري، ويخبرنا المؤيَّد أن التستري اضطرب

---

(١) *Sira*, pp 80-100; Klemm, *Die Mission*, pp. xixf.

انظر أيضاً الفصل السادس.

(٢) خلف الفلاحي الوزير نجيب الدولة علي بن أحمد الجرجرائي المتوفى سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٥م. راجع ابن الصيرفي في مؤلفه **الإشارة إلى من نال الوزارة**، طبعة عبد الله مخلص، القاهرة، ١٩٢٥، ص٣٧ف.

لمرآه؛ ثم قابل ابن النعمان وهو قاضي قضاة وداعية هو الآخر ووسيطه مع الإمام بينما كان المؤيَّد لا يزال في خدمة الدعوة.[٣]

بَيْدَ أن المؤيَّد وجد القاضي غير كُفْءٍ للمهمة ولا يملك المواصفات المطلوبة لهذا العمل. لقد أدرك أن القاهرة مثل شيراز تماماً؛ فعاصمة الإمام يسكنها أبالسة على شكل بشر؛ إذ أخذ الهمس يدور ويصل إلى أذن ابن النُعمان أن المؤيَّد يشكّل خصماً له ينازعه على منصبه وأنه بصدد التآمر على خلعه من وظيفته. وتأثر التستري أيضاً بما أوحاه أصحاب هذه الألسنة المغرضة. فبعد أن وعد المؤيَّد بمقابلة مع الإمام وحصوله على وظيفه لديه، تبدَّل رأيه فجأةً وأشاح بوجْهِهِ عنه. (السيرة: ٨-٨٣).

وهكذا وللمرة الأولى يواجه المؤيَّد قوىً تحاول تحجيم طموحه، وهذه القوى ليست سوى تلك المهيمنة في البلاط الفاطمي. أبلغ المؤيَّد التستري عن نيته في العودة إلى شيراز، وبينما هو يكلِّمه أعرب عن استيائه واعتراضه على محدودية سلطة الإمام السياسية. حنق التستري حنقاً شديداً من صراحة المؤيَّد ومنعه من مغادرة القاهرة برفض منحه الإذن بذلك. (السيرة: ٨٣).

بعد أن واجه المؤيَّد حقيقة البلاط الفاطمي السياسي وتكشفت له مساوئ النظام تبيَّن له أن مفهومه المثالي حول النظام التيوقراطي التربّيّ في عمق إمبراطورية الإمام ليس سوى وهم وهباء. تخبرنا المصادر التاريخية أنه حالما تمّ تتويج (اعتلى سُدّة الحكمِ) المستنصر الفتيّ، ساندت والدته التستري ليرأس الديوان. والتستري هذا هو تاجر يهودي باع من والده

---

(٣) كان قاسم بن عبد العزيز بن النعمان رئيساً للقضاء والدعوة من ذي القعدة ٤٢٧هـ - آب/ أغسطس ١٠٣٦م. انظر ابن حجر العسقلاني في كتابه **رفع الإصر**، وفي عمر محمد بن يوسف الكندي: **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، طبعة:

Rhuvon Guest as *The Governors and Judges of Egypt*, (Leiden and London, 1912), pp 497, 613.

جدّه كان ذائع الصيت القاضي النعمان، وانظر:

R. Gottheil, '*A Distinguished Family of Fatimid Cadis (an-Nu'man) in The Tenth Century*, *Journal of the American Oriental Society*, 27, (1906), pp 217-296.

المستنصر ذات مرة أمَة سوداء لتضمّ إلى بيت حريم والده الزاهر. عَقيب وفاة الوزير العجوز الجرجرائي سعت والدة المستنصر للحصول على نفوذ شامل من خلال التستري. وقبل وصول المؤيَّد بوقتٍ قصير، كان التستري قد عيّن الفلاحي وزيراً.

إن حقبةً من الهدوء النسبي مضت إلى غير رجعة. من الآن فصاعداً أصبح تعاقب الوزراء سريعاً يُعيَّن واحد ويُخلع ليُعيَّن غيره بدلاً منه. إن «الأحداث البشعة» التي ستترك علامة إبّان حكم المستنصر سوف تبدأ.[٤]

أحداث جديدة: السنوات ٤٣٩-٤٤٢ هـ/١٠٤٧-١٠٥١ م

في شهر جُمادَى الأولى ٤٣٩ هـ - تشرين الأول/أكتوبر ١٠٤٧ م، اغتال العسكر التركي أبا سعد التستري (السيرة: ٨٤)[٥] عرف المؤيد كيف ينبغي عليه استغلال فراغ السلطة بعد موت التستري، فطلب من الوزير الفلاحي أن يضرب له موعداً للقاء الإمام. وبفضل توصيات الوزير الصديق تمكَّن المؤيَّد أخيراً من المثول أمام المستنصر وكان له ذلك في آخر شهر شعبان ٤٣٩ هـ - ١٨ شباط/فبراير ١٠٤٨ م. يصف لقاءه الأول مع الإمام أنه كان لقاءً ساحقاً (السيرة: ٨٥ف).

> لم يكن بصري قد وقع عليه بعدُ حتى تملكتني الرعدة وانحنيت مسلِّماً وشعرت بأنني في حضرة رسول الله (صلعم) وأمير

---

(٤) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: كتاب **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، (مطبعة بولاق، ١٢٧٠هـ/ ٥٤-١٨٥٣م)، الجزء الأول، ص٣٥٥.
لأجل والدة المستنصر والتستري. انظر: المقريزي: **اتعاظ**، ج٢، ص١٤١، ١٥٢، ١٩٠ف.

(٥) المقريزي: **اتعاظ**: ج٢، ص١٩٥؛ انظر أيضاً: ابن الصيرفي: **إشارة**، ص٣٦ف؛ نصير خرو، **سفرنامه**، حرره وترجمه إلى الفرنسية: تشارلز كشيفر تحت عنوان:
Sefer Nameh: Relation du voyage de Nassiri Khosrau
(طبعة أولى: باريس، ١٨٨١؛ طبعة ثانية: أمستردام، ١٩٧٠)، ص١٥٩ف.

المؤمنين (عليّ كرّم اللّه وجهه) بركات اللّه عليهما، شعرت بأنني أواجه حضورهما. خشعت وأنا أسجد أمام السيد الذي به يليق السجود وحاولت أن أنتبه إلى كلامي ووجدت أن لساني قد عقله الخوف وربطته الرهبة ونأى عن فضيلة البلاغة. عندما رفعت رأسي بعد الانحناء وكوَّمت ثيابي لأجلس، شاهدت إصبعاً تشير إليّ بالنهوض لشخص موجود في ذلك المكان، عندها قام أمير المؤمنين ـ أطال اللّه حكمه ـ يدحجه بنظرة اشمئزاز. لم أرفع رأسي عند الإشارة ولم أعطه أيَّ اهتمام أو قيمة. مكثت في حضرة الإمام لمدة ساعة ولساني في عقاله لا أجد سبيلاً للكلام وفي كل مرة كان الحاضرون يحاولون استدراجي لكي أتكلّم؛ كان خرسي يزداد وأرسخ في تجمدي وعجزي عن الحراك أكثر فأكثر. وكان الإمام – أطال اللّه حكمه – يواصل القول: «دعوه حتى يهدأ ويعتاد». بعدها نهضت واقفاً وتناولت يده النبيلة وقبَّلتها ووضعتها على عينيَّ وصدري وودعت وذهبت.[٦]

بمساندة توصية الفلاَّحي، أصبح في إمكان المؤيَّد من الآن فصاعداً أن يزور الإمام. لكن بعد مرور شهرين تبدَّل الوضع السياسي من جديد. أصبح رئيس ديوان والدة المستنصر الجديد القاضي السُني اليازوري؛[٧] فألغى امتيازات المؤيَّد. كما صرف الوزير الفلاحي ليخلفه أبو البركات الجرجرائي،[٨] الذي كان يكنُّ العداء للمؤيَّد، الذي أجبر على المكوث دون

(٦) ترجمة من قطب الدين: **المؤيّد في الدين الشيرازي**، ص٥٨.

(٧) أبو محمد الحسين بن عبد الرحمن اليازوري، **قاضٍ فلسطيني**، المقريزي، **اتعاظ**، الجزء الثاني، ص١٩٩ف.

(٨) أبو البركات الحسين بن محمد الجرجرائي هو نسيب الوزير أبي القاسم الجرجرائي. وصف بالطاغية، أعفي من منصبه ونفي إلى تيروس Tyros (صور) في شوال ٤٤١هـ. الواقع في شهر شباط/فبراير من سنة ١٠٥٠م، بعد أن شغل منصبه لمدة ١٩ شهراً. =

حراك وشعر أنه محاط بالأعداء والأنفس الشريرة. استاء من هذا التقهقر المعنوي فطلب من جديد الإذن بمغادرة مصر. قبل طلبه هذه المرة (السيرة: ٨٦، ٨٩).

وهو يعدُّ العدَّة ليغادر القاهرة، ظهرت فرصة غير متوقَّعة جعلته يفضل البقاء في البلاد؛ فلقد قام الوزير المقيت الجرجرائي بصرف رئيس القضاة والدَّاعية ابن النعمان ونقل المنصبين إلى اليازوري.

حنق المؤيَّد لهذا العمل الذي وصفه بالفضيحة: كيف يسمح لقاضٍ سُنيٍّ بتسلُّم زمام قيادة أهم منصب مقدّس لدى الإسماعيليين وهو الدعوة؟ فبالنسبة له يعتبر هذا العمل خطيئة وضرباً من العبثية. ولكن ولو أنه كان مشككاً و لا يثق أبداً باليازوري، فقد قبل دعوة القاضي ليساعده من خلف الكواليس. طلب من المؤيَّد أن يكتب له عظات مجالس الحكمة التي على اليازوري أن يلقيها مساء كل يوم خميس أمام نخبة من الحاضرين في البلاط (السيرة: ٨٩).

وكانت المجالس (كما سنشرح بالتفصيل في الفصل الأخير) تعقد كل أسبوع، وهي عظات يشرح فيها داعي الدعاة بعناية نصوصاً وتقاليد إِسماعيلية بعد تفكير وتمحيص طويلين. فيعمد إلى اختيار نص ويشرحه استناداً إلى أحداث آنية، كمثل الاحتفالات الدينية أو أحداث سياسية مهمّة؛ وفي يوم الخميس يقرأ عظته على مسمع الحاضرين في البلاط كما يقرأها يوم الجمعة في جامع الأزهر. قبل ذلك كانت تقدم إلى الإمام حتى يوافق عليها ويسمح بتلاوتها على الجمهور. يمكننا إذاً أن نعتبر المجالس كمنبر جماهيري يعكس رأي الدولة الرسمي حول المسائل الدينية والسياسية. وطوال سنة عمد المؤيَّد

= انظر: ابن الصيرفي: في كتابه **الإشارة**، ص٣٨.

المقريزي: في كتابه: **الاتعاظ**، جزء ٢، ص١٩٧، ٢١٠.

ابن ميسّر: **أخبار مصر**، طبعة أيمن فؤاد سيّد، (القاهرة، ١٩٨١)، ص٦، ٩.

إلى نسج «القماشة» التي خيطت عليها كلمات عظات التي تلاها اليازوري في الاجتماعات الدينية، وكأنها من بنات أفكاره. أعطى المؤيَّد أفضل ما لديه لتأليف هذه العظات وبدأ التعامل مع اليازوري يتطور بسلاسة.

جعل هذا الوضع الوزير الجرجرائي يشمئز وأخذ يشك في أن المؤيَّد يعمد إلى الوصول إلى الإمام عبر اليازوري. لكن قبل أن يتخذ الوزير أي إجراء ضِدَّه، حصل انقلاب عليه وقرر اليازوري استلام زمام الوزارة بنفسه. يعترف المؤيَّد بفخر أنه اشترك في هذا الانقلاب (السيرة: ٨٩-٩١). الآن أخيراً وصل المؤيَّد إلى هدفه المنشود: من غيره هو، مؤلف عظات المجالس في إمكانه أن يصبح داعي دعاة؟ بَيْدَ أنه كان على خطأ ذريع؛ فقد قام اليازوري بتعيين ابن النُعمان البليد الخامل في المنصب الذي سبق لنا أن ذكرناه، كان قد خلع من هذا المنصب قبل سنة.

برَّر اليازوري قراره أمام المؤيَّد المذهول بسبب ضغوط سياسية ومن قبل العجائز من عائلات الإمامين السابقين الحاكم والعزيز في القصر. فبحسب ما قاله كانت تلك النسوة يضغطن لكي يبقى زمام الدعوة بيد عائلة النعمان.

لم يصدِّق المؤيَّد هذه المزاعم واعتبرها حججاً واهية. واتهم اليازوري علانيةً مدعياً أن رغبته هي في إبقائه بعيداً عن الإمام. فلا بدَّ من أن اليازوري كان يخشى أن يبلِّغ المؤيَّد الإمام ما يحصل من أمور مستهجنة في الدولة (السيرة: ٩١).

بعد حصول هذا التقهقر في وضع المؤيَّد وتردِّي مستواه بدأ وضعه النفسي والمادي يتقهقر هو الآخر، وأُجبر على أن يلحَّ بشكل متواصل على اليازوري ليحسِّن من وضعه. أدرك المؤيَّد بعد وقت قصير أن اليازوري يصرفه بلباقة مستخدماً الحيل والخطط ولن يعمد إلى البِرِّ بوعده، لذلك أخذ الاحتقان يتصعّد بين الرجلين. وفي عتاب قاسٍ أخذ المؤيَّد يهاجم اليازوري صراحةً أنه لا يقوم بما يجب عليه القيام به وما يقتضيه منصبه الرفيع. قرَّر

المؤيَّد أن يبتعد عن الوزير لفترة سبعة أشهر على الأقل (السيرة: ٩٢).

التعيين في ديوان الإنشاء

في شهر ذي القعدة ٤٤٣ هـ/١٠٥٢ م. انتصر اليازوري في حملة عسكرية ضد الثوار البدو من قبيلة بني قُرّة. فقام أصدقاء المؤيَّد بإقناعه بأن ينضمّ إلى الحشود المهنئة، وبعد ذلك بوقت وجيز عيّنه البازوري رئيساً لديوان الإنشاء حيث تكتب الرسائل الحكومية وتُحفظ في مَحفظ (الوثائق والسجلات) والمراسيم والملفات؛ ويعتبر هذا الديوان بحسب المؤرخ القلقشندي أعلى الدواوين مرتبةً في إدارة الدولة الفاطمية.[٩] وارتفع من جرَّاء ذلك راتب المؤيَّد (السيرة: ٩٢ف).

بعد تعيينه بوقتٍ قريب عادت أسهم تعيينه في رئاسة الدعوة ترتفع من جديد عندما توفي أخيراً ابن النُعمان. كان الجميع يعلمون أن فرصة المؤيَّد وساعته المجيدة قد حانت أخيراً. لكن ومن جديد لم يحصل على هذا المنصب المنتظر منذ البداية. فقد عيّن اليازوري ولده المستعد للقيام بكل ما يأمره به أبوه (السيرة: ٩٣).

وهكذا أصبح الداعية اللاجئ من الشرق، وبالرغم عنه رئيساً لديوان الإنشاء وهو الذي كان يصبو ليصبح قائداً للدعوة الفاطمية؛ بعد أن لاحق طموحه بشقاء كبير. وكما يخبرنا فقد استلم زمام هذا الديوان سنة ٤٤٣ هـ/ ١٠٥٢ م. وتمَّ الأمر بلفتة كريمة من اليازوري، وبقي في هذا المنصب حتى سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م. حين طلب منه التوجه إلى شمال سوريا ليقوم بمهمة وساطة مع الثائر التركي البساسيري؛ ممَّا جعله يبتعد أكثر فأكثر عن هدفه الأصلي.

---

(٩) أبو العباس أحمد القلقشندي: **صبح الأعشى**، طبعة القاهرة، سنة ١٣٣٢-١٣٥٧هـ/ ١٩١٤-١٩٣٨م.، جزء٣، ص٤٥٠.

لا بدَّ من أن يكون المؤيَّد وخلال مكوثه في ديوان الإنشاء عُنيَ بتدوين أحداث مهمته في فارس. لم يكُ سعيداً في تلك الفترة. إن العلامة الظاهرة في العقد الأول الذي قضاه في البلاط الفاطمي هي الاستياء وخيبة الأمل؛ فلقد سحقت مجدداً آماله في اعتلاء سُدَّة قيادة الدعوة؛ بعد أن عيَّن اليازوري ابنه، أدرك المؤيَّد استحالة تحقيق أهدافه. لقد قبل بوظيفة ديوان الإنشاء بَيْدَ أنه لم يتوقف عن إلقاء اللوم على اليازوري: «لم تَمْنَحْنِي عطيَّة بالذي أعطيتنيه؛ الذي منعته عني يساوي أثقال ما أعطيته» (السيرة: ٩٤).

في الجزء الثاني من السيرة لا يعبِّر المؤيَّد عن عدم رضاه حول وضعه فحسب، ذاكراً أفخاخ ومكائد الحُسّاد التي حالت دون تحقيق مطامحه، بل إن هذا الدَّاعية الإيراني يُعرِب أيضاً عن غضبه من الوضع السائد في البلاط الفاطمي. وهو فيما ينتقد الوضع يأخذ في الوقت نفسه موقعاً سياسياً، ولاحظ من خلال الدسائس السياسية والضغوط التي تحاصر الإمام كيف تحجَّم رأس الدولة ونزعت منه صلاحيَّاته. الواضح أنَّه ليس من مصلحة المستفيدين من هذا الوضع أن يعاضدوا المؤيَّد الذي يسعى إلى تدعيم سلطته إلى جانب الإمام؛ فمن أهداف المؤيَّد العمل على القضاء على هذا الوضع الشاذ والمقيت وتحجيم سلطة ونفوذ هؤلاء المنتفعين في السلطة.

قصيدة: الداعية يبكي قلَّة حظِّه

في غضون العشر سنين الأوائل التي قضاها المؤيَّد في القاهرة يكرِّر أكثر من مرَّةٍ استياءه وكبته عبر القصائد وفي هذه القصيدة يشكو خيانة رجال الدولة الفاطمية له.

المؤيَّد ينتحب من جرّاء نكبته:

أبَـحْـتُ حِمَـى دَمِـي فـيهـم وفـيهـم ... خَـسـرتُ شَـبـيـبَـتـي ورَبـيـعَ عُـمْـري

وفـيـهـم سِـرْتُ عَـن وَطَـنـي غـريـبـاً ... أَجُـوبُ الأرض قَـفْـراً بـعـدَ قـفـرِ

فَـلـمَّـا جِـئْـتُـهـم طَـبًّـا عَـرُوفـاً ... بَـعُـرفِ حـيـن يـأتـيـه ونَـكـرِ

قؤولاً في ولائهم فعولاً بَذُولَ النُّصح في سِرٍّ وجَهْر
«أضاعوني وأيَّ فتىً أَضاعُوا ليوم كريهة وسَدَادِ ثَغر»[١٠]
ولو لم يَبْخَس المقْدارُ حَظّي إذا ما أَنكروا حَظّي وقَدْري
بَلَى عَلموا بأنّي طوعُ دين وغيري طَوعُ جَبَّات وطِمْر
فلو شَهَرُوا حُسَاميَ شاهدوه لأوْدَاج العدَى يفْرى ويَبْري
وقُمْتُ مُطريًا في جسم دين لباسا لا يُطرّيه المُطرّي
لأكشِفَ قَحْطَ «مِصْرَ» وذاك بدع وهذا «يوسف» في أرض «مصر»[١١]

يعزو المؤيَّد فشله في مصر إلى الحسد لدى رجال الدولة وفهمهم لمسألة السلطة في البلاط الفاطمي. وهو يعيد مراراً وتكراراً أنه يأمل في أن يُظهر الإمام المستنصر اهتمامه الشخصي به وفي أن يعمل على تحسين وضعه؛ نفهم أن عملية تدوين قصة كفاحه في شيراز ووفائه الجبار للفاطميين، تهدف إلى لفت انتباه الإمام إليه. كان في نية المؤيَّد إقناع المستنصر بأنَّه الوحيد بين عدة شخصيات الذي أراد أن يُظهر للإمام أنه في حال جعله موظفاً في هذا المنصب الرفيع سيعمد حالاً وبكل ما أوتي من قوةٍ ليعيد قوة الخلافة وكرامتها إلى ما كانت عليه من قبلُ.

(١٠) نسبة إلى قصيدة من تأليف المؤيّد.

(١١) ترجمة من قطب الدين، **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٦١.

الفصل الخامس

مهمة المؤيَّد السياسية في شمال سوريا

ينتقل المؤيَّد في سيرته بشكل مفاجئ من مشاهد الصراع حول السلطة في بلاط الفاطميين في القاهرة إلى الصراع السياسي، الذي نتج عن عملية التبدل العنيفة من الحكم البويهي العسكري إلى الهيمنة السلجوقية في بلاط العباسيين في بغداد (السيرة: ٩٦-١٨٤).

بعد أن رُقّي المؤيَّد إلى رتبة مبعوث كامل الصلاحيات إلى الدولة الفاطمية في شمال سوريا، أصبح مشاركاً فاعلاً في التطورات الكبيرة التي نجمت عن التبدل السياسي في المملكة العباسية بين السنوات ٤٤٨-٤٥٠ هـ/ ١٠٥٦-١٠٥٨ م. وحول هذه الفترة المضطرمة نجد أن المؤيَّد يجمع في السيرة سلسلة من الرسائل والعقود المرتَّبة ترتيباً زمنياً؛ ولو أن ما سجَّله لا يعكس لنا مختلف العلائق السياسية وخلفياتها نجد أن شهادته، تستمد قوتها من كونها أخذت من قلب الأحداث وهي تهمّ الدارسين الذين يسعون إلى فهم آليات هذا التبدُّل السياسي المثير. وفي هذا الجزء نجد توثيقاً للنجاحات والإخفاقات التي واجهها المؤيَّد وهو يسعى إلى إرساء حلفٍ فاطميٍّ بمواجهة السلاجقة، ونجد في هذا الجزء أيضاً أسلوباً قد غاير مغايرةً الجزء السابق من مذكرات المؤيَّد؛ ولكن يتبع عين النسق كما في الجزء الأول الذي يتناول الأحداث في بلاط البويهيين قبل عشر سنوات، من خلال إلقاء الضوء على

الأحداث السياسية التي طرأت على المنطقة والتحولات على مدار القرن. هذا، بالإضافة إلى أن وجهة نظر المؤلف الفاطمية تعطي امتداداً هاماً لتدوين التاريخ الذي يتناول الحلقة العباسيّة.[١]

ومن خلال تلخيص مدوَّنات المؤيَّد المُتناهية في الدِّقة والتفاصيل، سنركِّز على المستوى التاريخي بالحصر. وكما في الفصول السابقة نريد من خلال دراسة حياة المؤيَّد إلقاء الضوء على إنجازاته من خلال دراسة ديناميكات السياسة الكبرى والصغرى.

مفاوضات المؤيَّد والبساسيري

في السنوات التي أنيطت فيها شؤون ديوان الإنشاء للمؤيَّد، أخذ القلق يساور رجال البلاط حول الهجوم التركماني والغزو الذي وصل إلى العالم الإسلامي بعمق وعنف شديدين. سنة ٤٤٦ هـ/١٠٥٤ م، قام قائد عشائر الغُزّ التركمانية طُغرُل بِك من قبيلة السلاجقة باحتلال مدينة الرَّيّ شمال إيران وكان يعدُّ العدّة لاجتياح بغداد. وكان ثمة أمور أخرى تؤرق الفاطميين وهي أخبار عن حلف عسكري بين طُغرُل بِك وبين الإمبراطور البيزنطي ضِدَّ الفاطميين (السيرة: ٩٤).

---

(١) إن التفاصيل الوفيرة حول الأحداث في شمال سوريا والعراق غداة الغزو السلجوقي موجودة في كتاب ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، وفي سبط ابن الجوزي: **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**.

إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، جزء ٧ (انظر إلى المقدّمة هامش رقم ٧). تجد فيه ملخصاً حول تقرير المؤيّد وبعض الأبيات من ديوانه. ولا يجلب معلومات أخرى من مصادرِ فاطمية. ثمة دراسة ألمانية تقوم بدراسة مقرّبة للمشروع الفاطمي في مسعاه في شمال سوريا، وذلك آخذةً بعين الاعتبار، ليس فقط المصادر التاريخية المدوّنة بل أيضاً الدراسات الأركيولوجية (علم الآثار) وعلم المسكوكات. راجع:

Stefan Heidemann, *Die Renaissance der Städte in Nordsyrien und Nordmesopotamien. Städtische Entwicklung und wirtschaftliche Bedingungen in ar-Raqqa und Harran von der Zeit der beduinischen Vorherrschaft bis zu den Seldschuken*, (Leiden, 2002).

في ظل هذه التطورات الخطرة، بعث المؤيَّد برسالة إلى وزير طُغرُل بِك «عميد الملك الكُندُري» في الرَّيّ. وفي الإمكان أن نعيد تاريخ هذه المبادرة إلى ربيع سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥ م.[٢]

لقد حاول الدّاعية إقناع الوزير الفارسي أن يغامر وينحاز إلى الفاطميين. ولمّا لم يتلقَ جواباً، بدأ المؤيَّد يعمل على خطٍ آخر من أجل مبادرةٍ ثانية وبعث برسالة إلى أبي الحارث البساسيري قائد الجيش التركي في بغداد؛ وهو على الأرجح ذو هوىً شيعي.[٣] كان عدوُّه اللدود في مجال السياسة الوزير ابن مُسلِمة، الذي ساهم قبل اثنتي عشرة سنة في تسريع عملية طرد المؤيَّد من فارس (راجع الفصل الأول).

في ذلك الزمن كان ابن مُسلِمة يواصل التآمر ضد البويهيين. وكان قبل ثلاث سنوات قد قام باستدعاء عصابات طُغرُل بِك إلى حُلَوان وهي بلدة موجودة على بوابة بلاد ما بين النهرين الطبيعية في سلسلة جبال الزغروس إلى الشمال الشرقي من بغداد. وها هو الآن يفاوض طُغرُل بِك لكي يستولي على العاصمة بغداد. وقد أثار ابن مُسلِمة الخليفة العباسي القائم والجنود الأتراك على البويهيين، فهاجموا منزل البساسيري ونهبوه وحرقوه ففرَّ هذا الأخير من بغداد إلى رحبة على ضفاف الفرات.[٤]

ولمّا لم تصل رسالة ردٌ على تلك التي أرسلها إلى البساسيري، قرَّر المؤيَّد أن يحجَّ إلى مكة. في تلك الأثناء وخلال شهر رمضان سنة ٤٤٧ هـ/ كانون الأول/ديسمبر ١٠٥٥ م. دخل طُغرُل بِك إلى بغداد حيث تلقَّى ترحيباً

---

(٢) هانز هالم: 'Der Wezir al Kundurī und die Fitna von Nīsapur', *Die Welt des Orients*, 6 (1970-71), pp. 213f.

(٣) انظر: م. كانار M. Canard: **البساسيري، أبو الحارث أرسلان المظفَّر** EI2, vol.1, pp. 1073-74.

(٤) راجع المصدر نفسه، حول هذه الأحداث والتطورات في بغداد. وحول دور ابن المُسلمة انظر: مقدسي: **ابن عقيل**، ص٩٠-١٠٢ وغلاسن: *Der Mittlere Weg*, p. 43 f.

حاراً من الخليفة. وقبل أيام من هذا الحدث، كانت خطبة الجمعة في العاصمة قد تليت باسمه. بعد بضعة أسابيع كان آخر البويهيين المالك الرحيم ابن أبي كاليجار قد جُرِّد من سلطته وبذلك انتهت حقبة سيطرة البويهيين.

إن حركة الإصلاح السُنيَّة التي أطاحت في الماضي بالمؤيَّد في فارس، حققت أهم هدف لديها وذلك من خلال طرد البويهيين الشيعة من السلطة وإعادة السُنيَّة المهيمنة بعد انقضاء مئة وعشر سنوات من السياسة الإسلامية ذات التوجه الليبرالي الواسع والتعدُّدية. سنة ٤٤٧هـ./١٠٥٥ م، لم يكن طُغرُل بِك قد اكتسب بعدُ سلطة سياسية كاملة. ولكي نقتفي أثر الذي سيحصل في السنوات الأربع التالية سوف نعود أدراجنا إلى سياق أحداث التاريخ كما دوَّنها المؤيَّد وسجلها مؤرخون آخرون.[٥]

سنجد بلا ريب أن في سياق أحداث السيرة، محاولةً ثانيةً من جانب المؤيَّد ليتصل بالبساسيري، وقد نجحت هذه المحاولة بعد ذلك؛ فقد وافق خصم السلاجقة على عرض المؤيَّد وقبل المال وإعداد الأحصنة والأسلحة المرسلة إليه من قِبَل الفاطميين. ولقاء تلك المساعدة قطع وعداً بإيقاف الزحف السلجوقي نحوالأرض التي تقع تحت سيطرة الفاطميين في كلٍّ من العراق ومصر (السيرة: ٩٦).[٦]

الرحلة إلى شمال سوريا

شعر المؤيَّد بجزعٍ كبيرٍ عندما أنبأه الوزير اليازوري أنه هو دون سواه من سيقود قافلة الأسلحة والتموين إلى البساسيري. وقد حاول أن يمتنع عن القيام بهذه الرحلة المحفوفة بالأخطار بَيْدَ أن حججه لم تلقَ الأُذن الصاغية لدى الوزير، حتى أنه احْتَجَّ وجعل الذَّريعَة سنّه المتقدِّمة فلا بدَّ من أنه كان

(٥) انظر هامش رقم ١.

(٦) انظر: المقال حول البساسيري في ما ذكر في هامش رقم ٣.

قد بلغ في ذلك الحين الثالثة والستين أو الرابعة والستين من العمر. وكانت صِحَّته في حالة القَهْقَرى على العموم. كما قام الإمام المستنصر بتوقيع رسالة احتجاجه من دون تعليق لكن المؤيَّد انطلق في رحلته الخطرة والمصيرية. عندما واجه الإمام مودِّعاً قبل الانطلاق في مهمته، أعرب له عن غصَّته القديمة وحزنه الدائم من الذلِّ والإجحاف اللاحقَيْن به خلال مدة إقامته في مصر. ابتسم له الإمام بمحبة وأخبره أنه يثق به ثقةً كبيرة وهو على يقين أن مهمته ستكلل بنجاح أكيد.

بعد هذه المواجهة غادر المؤيَّد مصر وهو في مزاج جيد يحدو به التفاؤل. (السيرة: ٩٦-١٠٠). غادر القاهرة في شهر صَفر ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م.[٧] ولسوف يبقى في شمال سوريا مدة سنتين.

كانت مهمته في شمال سوريا صعبة ومتعددة؛ كان يجب عليه أن يحصل على قَسَم البساسيري وقادة جيشه بأنه يدين بالولاء للأسرة الفاطمية. وكان يجب عليه أيضاً أن يقنع أمراء البدو في سوريا والعراق، وهم يبدِّلون أحلافهم بشكل متواصل، حتى يتم إنشاء حلف مع البساسيري والفاطميين للزحف والاستيلاء على بغداد، وكان يجب عليه أن يأخذ بزمام هذه الجيوش تحت إمرة البساسيري في مواجهة السلاجقة على الحدود بين سوريا والعراق.

خلال رحلته عبر فلسطين وسوريا أخذ المؤيَّد يحصد نجاحاً كبيراً، كما تجاهل أوامر الوزير اليازوري وأقام علاقات مع الحاكم السوري الأمير ثمال بن صالح المرداسي الذي نقض حِلْفه مع الفاطميين قبل سنوات (السيرة: ١٠٠-١٠٤).[٨]

---

(٧) قطب الدين: **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٦٥، رقم ٩٩.

(٨) ثيمال بن صالح هو الذي أطاح بالحكم الفاطمي سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٣م. انظر ابن الأديم: **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، طبعة سامي الدهان (دمشق، ١٣٧٠-١٣٨٧هـ/ ١٩٥١-١٩٦٨م)، ج١، ص٢٦٠ف.

استطاع المؤيَّد أن يضمَّ الأمير إلى حِلْفه، وفي عاصمة ثيمال حلب، تمكَّن المؤيَّد من الحصول على قَسَمه وقَسَم بعض قادة البساسيري العسكريين الذين انطلقوا لمقابلته في منتصف الطريق (السيرة: ١٠٧).

قام بعد ذلك بالاتصال بعددٍ من الحكام العرب والأكراد شرق حلب، ووصلته رسالة من حاكم ديار بكر المرواني أحمد بن مروان فيها كلام إيجابي من قبل الحاكم (السيرة: ١٠٨). لكن محاولته في استمالة ابن وثَّاب النُميري حاكم حرَّان باءت بالفشل. (السيرة: ١١٩).

انطلق الرسول الفاطمي مع أمراء حلفه الجديد وبينهم أمراء قبيلة بني كِلاَب السورية إلى رَحْبَة على ضفاف الفرات.

كان أتباع البساسيري وجنودهم بانتظار الحملة إلى الشمال الشرقي من الإمبراطورية العباسية. وكان إلى جانبهم أيضاً قادة القبائل العربية والكردية الساكنة في تلك المنطقة. بعد أن قدّم لهم المؤيَّد ألبسة مصرية فاخرة كعلامة تشريف، أقسموا يمين الولاء للإمام الفاطمي المستنصر، ثم وزَّع الداعية عليهم كميات كبيرة من الأموال عربون مكافأة على التزامهم وولائهم للقضية الفاطمية في الحملة السياسية المقبلة. ومن ثمَّ وخلال احتفال مهيب قام البساسيري وأقسم يمين الولاء للفاطميين ثم قرأ المؤيَّد نص تعيين البساسيري الرسمي (السيرة: ١٢٢-١٢٤) أمام أعضاء المجلس الجديد المؤلف من تحالف القوى المُعادية للسلاجقة. وانضم إلى هذا الحلف زعيمٌ آخر وهو المزيدي دُبَيْس بن مَزْيد من الحلَّة جنوبي بغداد. من ناحية، بقي أحد الزعماء إلى جانب السلاجقة ولو أنه كان في الماضي يتحالف مع[٩] الفاطميين وهو قُرَيش بن بَدْرَان العجوز زعيم عشيرة عُقيل من الموصل (السيرة: ١٢٤-١٣٠).

بعد أن رفض قُريش الدخول في الحلف الفاطمي هاجمه المؤيَّد

(٩) انظر المقدمة والفصل الأول.

وحلفاؤه في المعركة الوحيدة التي أحرزوا فيها انتصاراً. في شهر شوال سنة ٤٤٨ هـ/ كانون الأول/ ديسمبر ١٠٥٦ م. هزمت جيوش قُريش بن بَدران شرَّ هزيمةٍ في معركة سِنجَار غرب الموصل بالرغم من إرسال طُغرُل بِك وحدات كبيرة من السلاجقة لمؤازرته.

بعد أن انتصرت الوحدات الفاطمية على السلاجقة انضم إلى الحلف الجديد عددٌ من حكام المدن مثل حاكم مدينة الكوفة ومدينة الوَاسِط (السيرة: (١٣٥-١٣٧). وانضم قُريش المهزوم إلى الحلف في نهاية المطاف. وهكذا أخذت خطبة الجمعة تتلى باسم الإمام المستنصر في مساجد الشمال وحتى في جنوب العاصمة العباسية. وثمَّة مصدر تاريخي آخر يفيدنا أنه حتى النقود صكّت باسم المستنصر.[١٠] تُفيد نظرة المؤيَّد السياسية الضيقة أنه يجهل تماماً أن انتصاره في سِنجَار ليس سوى حلقة صغيرة ولا معنى لها في مسلسل الاحتلال السلجوقي المتواصل لشمال العراق. ومن خلال التقرير الدقيق الذي بعث به من الجبهة نرى أن القادة العرب والأكراد يجهلون تماماً مدى خطورة التهديد السلجوقي وعمق انتشاره. إن دافع هؤلاء الأمراء لم يكن سوى الدعم المصري السخي. والمؤيَّد يؤكِّد مراراً وتكراراً أن هؤلاء الأمراء أدّوا مهمتهم العسكرية بفتور واضح. وحالما أرسل طُغرُل بِك عسكره لاستعادة زمام الأمر في المنطقة سارع معظم الأمراء وانضموا إلى السلاجقة (السيرة: ١٤٠).

بعد الخيانة حاول المؤيَّد لأكثر من سنة إعادة تأسيس الحلف. ومن جديد عاود مراسلة الوزير السلجوقي الكُندُري الذي انضم إلى العدو ولكن من دون نتيجة. نجد في (السيرة: ١٤٢-١٦٩) الوثائق الكاملة للرسائل المتبادلة مع الكُندُري وأمراء القبائل.

في أواخر سنة ٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م، قرَّر المؤيَّد مغادرة مركز قيادته في

(١٠) سبط ابن الجوزي: **مرآة الزمان**، طبعة علي سيفيم، أنقرة، ١٩٦٨، ص٦.

رحبة والانسحاب إلى حلب بينما كان شقيق طُغرُل بِك إبراهيم إينال يحتلُّ الموصل. كانت العلاقة بين الداعية والبساسيري لا تزال علاقة وطيدة. وبعد مقابلة بينهما عاد المؤيَّد إلى حلب حيث وجد أن حاكم المدينة ثيمال قد فقد السيطرة على المدينة. يكتب المؤيَّد بكل فخر أن مساعيه هو جعلت من أهل المدينة الثائرين يلزمون الهدوء إثر عظةٍ في المسجد. هكذا تمكَّن من إبقاء أهل المدينة إلى جانب الفاطميين (السيرة: ١٧١-١٧٤).

مكث المؤيَّد سنة ونصف السنة في حلب. وتبيِّن الأحداث أن ذلك حصل بين شهر صَفَر ٤٤٩/ نيسان ١٠٥٧ وبين رمضان ٤٥٠ هـ/ تشرين الأولُ/ أكتوبر ١٠٥٨ م. في هذه الأثناء حكم المدينة عسكري مصري.(١١)

كتب المؤيَّد في حلب الجزء الثاني من السيرة، أي تتمة الرسالة إلى الصديق الحميم (راجع الفصل الرابع)؛ ويتناول هذا الجزء الأحداث التي حصلت منذ وصوله إلى القاهرة إلى أن سيطر الفاطميون على حلب. يُنهي المؤيَّد هذا الجزء بفقرة «تحميد» للَّه والأئمة الفاطميين. يشكِّل هذا الجزء انفصالاً واضحاً مع الجزء الثاني للسيرة وملاحظات مع مقدِّمة قصيرة وفقرة «تحميد» أخرى (السيرة: ١٧٤).

---

(١١) كما أخبرنا المؤيّد، فقد أمضى في رحبة سنة كاملة أو ربما أكثر؛ لقد وصل في شهر صَفَر ٤٤٨هـ/ أي في شهر نيسان من سنة ١٠٥٦م. أو بعد ذلك بقليل (يوم العقد مع البساسيري، **السيرة**، ١٢٤). عاد إلى القاهرة بعدما غادر إبراهيم إينال الموصل إلى همذان (المصدر نفسه، ١٧٦) حصل ذلك في شهر رمضان سنة ٤٥٠هـ/ أي تشرين الأول/ أوكتوبر سنة ١٠٥٨م (سبط ابن الجوزي، مرآة، ص٣١). في شهر ذي القعدة ٤٤٩هـ/ أي كانون الثاني/ يناير سنة ١٠٥٨؛ سلِّمت قلعة حلب الشهيرة إلى مكين الدولة ابن مُلهم القائد المصري من قبل ثيمال.

أبو يَعْلاً حمزة. ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، طبعة:

H.F. Amedroz (Leiden and Beirut, 1908), p.86.

المقريزي: **الانعاظ**، جزء ٢، ص٢٣٥.

كُتب هذا الجزء الأخير بعد سنة ٥٥٤/١٠٦٢م[١٢] ويحكي فيه عن خيانة إبراهيم إينال وهو نصف شقيق طُغرُل بِك (يقال الأخ غير الشقيق لعبارة (half brother)، وعن احتلال البساسيري لبغداد وخطبة الجمعة الفاطمية المنتصرة، ودعوة الصلاة الشيعية في العاصمة وكامل العراق.[١٣]

بدايةً يخبر المؤيَّد بسخرية كيف تعامل مع مبعوث إبراهيم إينال الذي عيَّنه طُغرُل بِك حاكماً على الموصل في تلك الأيام. أسفرت عداوة إبراهيم إينال لطُغرُل بِك عن ثورة معلنة ضِدَه. بداهة أخذ إبراهيم إينال ينسّق مع البساسيري المعادي للسلاجقة.[١٤] يكتب المؤيَّد ناقلاً أنه ادّعى بأخذ الرسول على محمل الجد؛ وجعله يعتقد أنه قبل عرْضه ليعاضد المنشق بواسطة المساعدة العسكرية المصرية ضِدَّ طُغرُل بِك. لكن بعد رحيل رسول إينال أرسل له المؤيَّد فاتورة عليها نفقات الطعام والإقامة التي استمتع بها في حلب (السيرة: ١٧٥).

حاول إبراهيم إينال مواصلة ثورته من دون مساعدة المصريين. غادر الموصل في رمضان ٤٥٠ هـ/تشرين الثاني/نوفمبر ١٠٥٨ م، ووصل إلى القاعدة العسكرية السلجوقية في همذان غرب إيران في الشهر نفسه. في هذا الموقع حاصرت جيوش طُغرُل بِك إبراهيم إينال وقُتل في شهر جُمادى الآخرة سنة ٤٥١ هـ (تموز/يوليو ١٠٥٩م).[١٥]

سمح رحيل إبراهيم إينال من جوار الموصل إلى همذان للمؤيَّد أن يبدأ

---

(١٢) في هذه السنة مات الأمير المرداسي، ثمال بن صالح، أمير حلب. يزيد المؤيّد على اسمه عبارة رحمه الله، **السيرة**، ص ١٧٤.

(١٣) **السيرة**، ص١٧٤-١٨٤.

(١٤) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، جزء ٩، ص٦٤٠؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ص٣١.

(١٥) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، جزء ٩، ص٦٣٩؛ سبط ابن الجوزي: **مرآة**، ص٣١.

برحلة الإياب إلى القاهرة. وقبل رحيله أوعز إلى البساسيري، الذي كان على استعداد ليرافقه إلى مصر، بأن يساند ابن بدران في احتلال الموصل؛ كما وعده بإرسال العتاد والمال كل سنة، بعد نزوله في صور. وبينما كان يتجه جنوباً تلقّى المؤيّد رسالة بثلاث طيّات ومختومة ومصر يبلّغ فيها أن أبا الفَرَج المغربي قد عيّن وزيراً.[١٦]

تلقّى في هذه الرسالة وفي رسالتين تاليتين الأوامر الصارمة بالعودة إلى حلب. وبما أنه كان على علم مسبق أنه مكروه بشدة في مصر، فقد قرَّر أن يواصل رحلته إلى العاصمة الفاطمية. لقد فكّر منطقياً وقال في سرّه إنَّه بالرغم من كل شيء فقد عاش مغامرةً كبيرةً وخاطر بحياته وأنجز الكثير خلال مهمته.

عندما وصل إلى أبواب القاهرة اعترى المؤيَّد شعورٌ جارفٌ بالهزيمة وليس بالانتصار، شعر بأنه مكسور وليس أنه حطم أعداءه. ومن جديد كان يجب عليه أن يمرَّ في تجربة مريرة للغاية؛ إذ شعر أنه تلقَّى عكس ما أعطى وعكس الذي تأمَّل حصوله والذي رجاه بقدر ارتفاع الثريا (مجموعة الكواكب) (السيرة: ١٧٨).[١٧]

سنرى في الفصل الأخير سلسلة هزائم المؤيَّد تنحسر وتصل أخيراً إلى نهايتها.

---

(١٦) أبو الفرج محمد بن الحسين المغربي، عيّن وزيراً في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ/ أيار (مايو) ١٠٥٨م. خلفاً لعبد الله البابولي الذي بدوره خلَف البازوري الذي قُتل قبل بضعة أشهر. وفي رمضان سنة ٤٥٢هـ - تشرين الأول/ أكتوبر ١٠٦٠م، عاد البابولي وخلَف المغربي من جديد (المقريزي: **الاتعاظ**، جزء٢، ص٢٥١، ٢٦١، ٣٢٢). أما بالنسبة إلى عشيرة المغربي فقد خرج منها العديد من رجال السياسة والأدب.

انظر: ب. مور: 'Maghribī, Banu', *EI2*, Vol.5, pp 1210-1212.

(١٧) كما ذكرت لدى قطب الدين: **المؤيّد في الدين الشيرازي**، ص٧٣.

احتلال بغداد

في صفحات السيرة الأخيرة، يُوجز المؤيَّد كيف احتل البساسيري بغداد (السيرة: ١٧٨-١٨٤).[١٨] اغتنم الجنرال التركي فرصة غياب طُغرُل بِك من المدينة مشغولاً بمحاصرة إينال في إيران. دخل واحتل المدينة ومعه مئات من جنده. يعتبر المؤيَّد أن احتلال بغداد هو عملية ناجحة لتحرير المدينة من الخليفة العباسي، وزيره ابن المُسلِمَة والسلاجقة. وها هو يتلو بفخرٍ شديدٍ إعلان سلطة الفاطميين، ثم يصوِّر بتفصيل شديد ومؤلم كيف حكم البساسيري بالموت على ابن المُسلِمة. ثم يخبر عن مصير الخليفة الذي حكم عليه بالنفي إلى مدينة الحادثة قرب الفرات، فأصبح لعبةً بأيدي الأمراء العراقيين وحجر شطرنج في المفاوضات في ما بينهم.

بعد ذلك يستطرد المؤيَّد وينقِّب باحثاً في مصير البساسيري الذي فرَّ بعد أن أعاد السلاجقة احتلال بغداد. وبينما كانت إحدى فرق طُغرُل بِك العسكرية تطارده، أصيب البساسيري بسهمٍ أطلقه عليه أحد أعدائه الشخصيين فأرداه. (السيرة: ١٧٩، ١٨٣).[١٩]

ولو أن وفاته تعلن نهاية الحكم الفاطمي لمدَّة سنة في بغداد، نجد أن السطور الأخيرة في السيرة نابضة بالاحتفالية والتفخيم لانتصارات المؤيَّد وانتصار الدعوة في مدينة العباسيين، وبعد أن يذكر الآية التالية من القرآن

---

(١٨) سبط ابن الجوزي: مرآة، ص٤٧ف-٥٢ف.
انظر أيضاً: المقدسي: **ابن عقيل**، ص١٠١ف؛

Glassen, Der Mittlere Weg, pp. 44.

إن ما سجّله المؤيّد في ما بعد حول هذه الأحداث يبدو مزيداً على ما دوّنه في الخاتمة.

(١٩) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، جزء ٩، ص ص٦٤٨-٦٥٠. سبط ابن الجوزي: **مرآة**، ص٦٦ف.
قتل البساسيري في شهر ذي الحجة سنة ٤٥١هـ-كانون الثاني/يناير، سنة ١٠٦٠م.

الكريم: ﴿ولقد كتبنا في الزَّبُور من بعد الذكر أن الأرضَ يرثُها عبادِي الصالحون﴾ (الأنبياء: ١٠٤-١٠٥).

ويُنهي المؤيَّد السيرة بسلسلة من التحميد والشكر.

دام احتلال البساسيري لبغداد سنة يعضده الفاطميون في ذلك، وكان احتلال بغداد قد بدأ من شهر ذي القعدة ٤٥٠ هـ - كانون الأول/ديسمبر ١٠٥٨ م. إلى ذي القعدة ٤٥١ هـ - كانون الأول/ديسمبر ١٠٥٩ م.[٢٠] كانت مدن جنوب العراق كالواسط والكوفة والسواد قد وقعت تحت سيطرة الفاطميين قبل ثلاث سنوات من هذه الأحداث (السيرة: ١٣٥). فلم يسيطر الفاطميون على المنطقة التي انطلقت فيها الدعوة الإسماعيلية بدايةً في القرن الثالث هجري/التاسع الميلادي فحسب؛ بل سيطروا أيضاً على عمق الإمبراطورية العباسية عدوِّهم اللدود.

يعطينا الداعية اليمني المطلق إدريس عماد الدين تفاصيل على ما رواه المؤيَّد وذلك حول مغامرة البساسيري في بغداد. ورد هذا التقرير في الجزء السابع من مؤلَّف إدريس عماد الدين الضخم «عيون الأخبار»؛ ويعزو إدريس عماد الدين سقوط بغداد وضياعها من يد الفاطميين بعد سنة إلى اختلاف الوزراء في ما بينهم وتوانيهم عن مساندة بعضهم.

ويضيف أيضاً أن الإمام المستنصر وجد أنه من المحال متابعة المهمة بعد أن أدرك أن الخلافة العباسية لم يُقضَ عليها قضاءً تامّاً وبخاصة بعد وفاة

(٢٠) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ص٣٤ف؛
ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، جزء ٠، ص٦٤٠ف؛
الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، جزء ٩، ص٣٩٩ف؛
ابن الجوزي: **المنتظم**، ص١٩١-٢١٢؛
المقدسي، **ابن عقيل**، ص٩٠ف.

البساسيري، وعودة طُغرُل بِك إلى جمع قواه وبناء سلطته وعودة الخليفة العباسي من المنفى.

بَيْدَ أن العلاَّمة اليمني يعرب عن فرحه الكبير، لأن التقليد الإسماعيلي المقدَّس والمعرفة التي تعلَّمها من أسلافه، أي من الإمام عليّ بن أبي طالب والرسول محمد قد بلغت بغداد.(٢١) لذلك يعتبر أن الحكم الفاطمي في بغداد ولو أنه بقي مدةً قصيرةً فهو يعتبر انتصاراً للدعوة الإسماعيلية لا سابق له في التاريخ.

---

(٢١) إدريس عماد الدين، **عيون الأخبار**، ج٧، طبعة أيمن فؤاد سعيد، النص، ص٧٤.

القسم الثالث

المؤيَّد في ذروة حياته المهنيَّة

الفصل السادس

المؤيَّد داعي دعاة في القاهرة

مرةً جديدةً لم يلقَ المؤيَّد اعترافاً بتجرُّدِه واستماته في العمل لمصلحة الفاطميين. غداة عودته إلى القاهرة من مهمته السياسية في سوريا لم تحظَ أعماله بالاعتراف وهو الداعية الوفي للخليفة الإمام. ولا ندري سبباً يكمن خلف معاملة الوزير أبي الفرج المغربي للمؤيَّد بقلَّة وفاء بارزة. بَيْدَ أن رفض المؤيَّد إطاعة أوامره والعودة إلى حلب يمكن أن يُفسَّر لماذا استقبل المؤيَّد ببرودة ظاهرة في البلاط الفاطمي.

وقُيِّض في نهاية المطاف لإنجازات المؤيَّد أن تلقى تأييداً وتمَّ الاعتراف بأعماله. بعد مرحلةٍ لاحقته فيها الاتهامات وتملّكه الشعور بالكبت والإذلال تبدَّلت حظوظه فجأةً وانقلب مصيره نحو الأفضل وأخذت حياته المجرى الذي كثيراً ما تمنّاه. بدأت مرحلة جديدة من حياته عَقيب مقابلة له مع الإمام المستنصر الذي أصغى بكرم كبير لطلبات المؤيَّد اليائسة وسمح له بولوج قاعة البلاط الرسمية المخصصة لاستقبال الرسميين، حيث رحَّب الإمام المستنصر بخادمه الأمين ترحيباً حازاً. كما تلا الإمام قصيدةً ألَّفها يمتدح فيها الإنجازات وذكاء المؤيَّد الفريد.[١]

(١) قطب الدين، المؤيَّد في الدين الشيرازي، ص٧٣ف؛ ترجمة القصيدة، ص٧٥. =

قصيدة المستنصر في المؤيَّد، قال فيها ما معناه أن المؤيَّد هو الحجّة التي اشتهرت بين الناس، فهو برج الحكمة والمعرفة الذي ارتقى مجده؛ وأبواب المستنصر لم تكن قطُّ موصَدة إلاّ بسبب أمرٍ مؤلم ومقلق ولم يحتجب المستنظر عن المؤيد ويمنع عنه ثقته وعطفه وقد عاد إلى الصراط المستقيم.

وأضاف أنه قَلِقَ على مشاعره إذا سمع ذلك عنه، وإعراضه عنه هو إعراض أبٍ محب. ويتابع قائلاً له: لقد ضلّ أتباعنا وفقدوا دليلهم الحقيقي أيها الرفيق في المغارب والمشارق. لذلك انشر بينهم ما تراه صائباً من معرفتنا وكن لهم الأب المهتم. ولو أنك آخر داعية في دعوتنا فقد تفوّقتَ على الدعاة السابقين، ولا نجد لك مثيلاً لا بين السابقين ولا بين الأحياء أجمعين.

إن معلوماتنا ضئيلة حول الربع الأخير من حياة المؤيَّد وإنجازاته المهنيَّة. ومصدرنا الوحيد حول تفاصيل حياته بعد عودته من مهمته في سوريا هو «عيون الأخبار» للداعية اليمني إِدريس عماد الدين (توفي سنة ٨٧٢ هـ/١٤٦٨ م.) والذي استقى مصادره من المؤلفات الإسماعيلية والمؤلفات السُّنيَّة على حدٍّ سواء. يُصنَّف إِدريس عماد الدين في الآونة الأخير كواحدٍ من أهم مؤرِّخيّ الدعوة الإسماعيلية، وكان الداعية المطلق التاسع عشر في التراتبية الإسماعيلية الطيبيَّة المستعلية في اليمن، قبل أن ينتقل إلى الهند حيث تبوَّأ مركزاً سياسياً ودينياً.[٢]

= مصدر المعلومات والأبيات على المدى البعيد: إدريس عماد الدين، **عيون الأخبار**، ج٧، ص٧٥ف.

أما الفصول التي تتحدث عن المؤيّد في الدين الشيرازي كونه داعي دعاة فهي تشمل الصفحات الممتدة من ص٧٦ إلى ٨٤.

(٢) لقد جُمعت المعلومات بشكل دقيق وقُدمت من قبل طاهِرَة قطب الدين في بحثها ص ص٧٣-٩٢. وهي أول باحثة أخذت بالمعلومات بشكل مكثف من الجزء السابع =

يخبرنا إدريس عماد الدين أنَّه حالما حصل المؤيَّد على اعتراف الإِمام (على شكل قصيدة) تحقق حلمه وعُيِّن باب الأبواب؛ وهذا المنصب هو أعلى منصب ديني إسماعيلي ويأتي مباشرة بعد الإِمام. وتناط بباب الأبواب مهمة الناطق الرسمي باسم الإمام ويلعب دور الوسيط في المسائل الدينية. وبما أنه يشغل منصب داعي دعاة، فإننا نجد هذه الصفة للمؤيَّد في المصادر غير الإسماعيلية.[٣] من الآن فصاعداً وحتى نهاية حياته بعد عشرين سنة مع انقطاعٍ بسيطٍ لفترةٍ زمنيَّةٍ قصيرةٍ، سيبقى المؤيَّد يحتلّ رئاسة الدعوة في الدولة الفاطمية كما أنه اضطلع بمهام المنسّق في المساعي الدينية والسياسية في المقاطعات التي تقع خارج مصر.

وفي فترة زمنية وجيزة بين سنة ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م، و٤٥٤ هـ/١٠٦٢ م. نُفِيَ المؤيَّد إلى القدس لأسباب مجهولة. إن الاحتمال الوحيد الموجود لدينا هو أن الوزير ابن المدبِّر اتهمه «بالتأتأة».[٤] وثمة احتمال آخر أنه في طور

= لـ عيون الأخبار حول ما ورد فيه عن المؤيّد في الدين.
أما المعلومات التاريخية في هذا الفصل فقد اقتبست بشكل واسع من أبحاث طاهرة قطب الدين.
أما ما يخص إدريس عماد الدين: انظر: والكر: **اكتشاف مملكة مسلمة** *Exploring an Islamic Empire*, p. 164 and passino.
وأيضاً انظر: هالم، **الشيعية**، Halm, *Shiism*, p.194f.
وانظر أيضاً: فرهاد دفتري: **تاريخ موجز**، *Short History*, p.5.

(٣) انظر المقدمة، هامش رقم ١٧، حول استعمال لقب «باب الأبواب» وداعية الدعاة. لقد فضلنا استعمال اللقب الثاني «داعية الدعاة» من أجل دوافع التواصل وترابط الأفكار.

(٤) قطب الدين: **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٨٥ف.
إن ذكر تأتأة المؤيد مأخوذ من قصيدة كتبها في المنفى.
ربما حصل هذا الاتهام من باب المجاز، مما يعني أن الوزير لم يكن يحب قراءة المؤيد للعظة والخطبة التعليمية في خلال عقد المجالس لأسباب شتى.

حياته المهنية، حصل معه أنه تورَّط في صراعٍ مع غريمٍ آخر ينازعه على منصبه.[5]

بعد مُضيّ سنة تمَّ استدعاء المؤيَّد من جديد إلى القاهرة من قِبَل المستنصر وأعيد إليه منصبه، وفي إحدى الرسائل التي بعثها الإمام إليه يُعبّر له فيها عن ندمه الشخصي وكيف عوقب خادمه الأمين من قِبَل الوزير.[6]

مرسوم تعيين المؤيَّد داعي دعاة

إنَّ السجل الوحيد الفريد من نوعه يُستهل كالآتي:

باسم خادم اللّه وصفيّه أمير المؤمنين الإمام المستنصر إلى الشيخ الجليل المؤيَّد في الدين. بتاريخ الأول من ذي الحجة ٤٥٠ هـ/أي التاسع من شباط/فبراير ١٠٥٩ م.، والسجل محفوظ في المجلّد السابع من «عيون الأخبار» لمؤلفها عماد الدين.[7]

كما نجد في المرسوم بعض الأحداث التاريخية المثيرة للاهتمام تؤكّد ما ذكره المؤيَّد في السيرة. وفيها أيضاً كلام على أسلاف المؤيَّد ويقول «إنها عائلة من الدعاة الأتقياء، وقد انقادت لهم الدعوة ونجحوا فيها خدمةً للأئمة المحجوبين،[8] أجداد أمير المؤمنين في الوقت الذي لم تُرفع فيه بعدُ راية لنصرتهم، وقد أخذ أجداد المؤيَّد على عاتقهم مهمة إرساء قواعد الدين في

---

(٥) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٨٦، يذكر ابن الصيرفي أن الوزير أرسل المؤيّد مع خصوم سياسيين آخرين إلى سوريا.

(٦) إن الرسالة التي تستدعي المؤيَّد من المنفى وتعيده إلى منصب داعي دعاة محفوظة في مكتبة الدعوة الطيبية. قامت طِاهرة قطب الدين بترجمة المخطوط ونشره في كتاب **المؤيد في الدين الشيرازي**، الملحق D، ص ٣٦٥-٣٦٩.

(٧) في الطبعة الحديثة لكتاب إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، الجزء السابع، نشره أيمن فؤاد سيد، المستند موجود ص ٧٧-٧٩.

قطب الدين: **المؤيد في الدين الشيرازي**، الملحق E، ص٣٥٥-٣٦٣.

(٨) كان هؤلاء أسلاف أول إمام فاطمي عبد اللّه (عُبيد اللّه المهدي وخلفائه في شمال =

حين كان العالم يلفُّه الظلم والديجور». ويتابع مديحه للمؤيَّد لأنه «تابع في خطاهم ومشى في مسلكهم وأصبح أكثرهم تجليًاً في الأعمال والإنجازات، هو الذي ارتقى أعلى درجات المجد في كل المناسبات وأعطى مثالاً للطاعة والنبل».

ثم يعلن بإطناب خدمات المؤيَّد التي قام بها بوفاءٍ شديدٍ وبمهارةٍ بالغةٍ لأجل الفاطميين:

لقد رفعتَ عالياً راية أمير المؤمنين في فارس، كرمان والخوزستان بطريقة جعلت العوالم تقف وتأخذ علماً، وكل لسان وفم تلهج بتقريرك وعملك المرعب لدرجة قوَّته الجبّارة، ثم ما لبثت الأوضاع أن تبدَّلت فجأةً ونزعت من موطنك فقطعتَ صدر الأرض مهاجراً إلى باب أمير المؤمنين وأمضيتَ السنوات في ظلام ليل التجربة. ثم أرسلتَ إلى التركمان، وأحرقتَ نفسك بلظى نارهم، وتجشمت المخاطر وكابدت أعماق بحورهم، والتيَّار يرميك تحت سلطتهم. لقد حافظتَ خلال رحلتك على المؤن والعتاد الذي عُهد به إليك...

ثم يممتَ شطر حلب، حيث أزلتَ البلبلة وقوَّمت الاعوجاج وسيطرتَ على الثورة الساحقة وحشد المنشقّين...

دخل جيش أمير المؤمنين المدينة بأمانٍ وسلام والشعب يرحّب به... لقد بدا ولاء الناس ظاهراً بصدق كبير بفضل حكمة سياستك لليلة النار...[9]

= أفريقيا ومصر، الذين عاشوا بسرية وكتمان تأمّيْن لشخصيتهم في سلميّة، المدينة السورية الشمالية (انظر المقدمة).

(٩) ترجمة من قطب الدين، **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٣٥٥ مع بعض التصحيحات الطفيفة. أما النص الأصلي فموجود في كتاب إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، ج٧، ص٨٠ف.

لقد حظي المؤيَّد في السجل بمديحٍ كبير كما لو أنه مؤهَّل للإمساك بزمام مهة داعي الدعاة، وذلك بسبب مؤهلاته الفريدة وموهبته في الخطابة وقدرته على الانتقال السريع من علمٍ إلى آخر. ثم يتابع قوله: إذن تولَّ ما أمر أمير المؤمنين أن تتولّى عليه مع الإصرار الذي تملكه، شخص مثلك إصراره قوي، عماده أسس قوية ضاربة في الإدراك الحسي الداخلي. امنح الجزء الأفضل من الوفاء الذي في قلبك لأجل إصلاح ما أفسد في الدولة. وامنح أيضاً أغزر جزءٍ من أفكارك لأجل شفاء المكان السقيم من جسم الدولة.(١٠)

ثمة معلومات قيّمة نستشفُّها من مرسوم التعيين؛ إذ نقع على نقاط مهمة تصل إلى النواحي الأخلاقية والمهام الرسمية التي يتوجب على داعية الدعاة الالتزام بها:

- توجيه الحكمة الدينية في مسار ما أنزل من وصايا وممنوعات.

- استبعاد الذين يهملون قوانين الدين من سجل الذين لبُّوا نداء الدعوة، وقطع دابرهم من مجالس الدعوة.

- تشجيع المؤمنين على التجمع والتحلّي بروح الجماعة خلال الاحتفالات الدينية؛ وإنجاز مهامهم الدينية والقيام بواجباتهم الدينية كالحج إلى مكة والمدينة.

- تنظيم الدعاة في المقاطعات بطريقة يتمُّ من خلالها المحافظة على التراتبية الهرمية في نظامها المعهود وإحياء عملية تبادل المعرفة وتلقينها.

- منح المناطق المعزولة والبعيدة عن الدين انتباهاً خاصاً؛ وهكذا تنمو وهي تتغذّى «من مياه قيادتك المحقّة»... ومن جهدك وإقدامك.

(١٠) قطب الدين: **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٣٥٧؛ إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، ج٧، ص٨١.

- منح قيمة الضرائب وعدم الاستسلام لمغريات الغش في هذا المجال.

- الولاء لمجلس الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي، وإرسال التقارير إليه والقبول بنصحه وتنفيذ أوامره.[١١]

مكانة داعي الدعاة

يقع منصب داعي الدعاة في التراتبية الهرمية مباشرةً تحت إمرة الوزير والقاضي الأعلى أي قاضي القضاة. ومركزه هو دار العلم وهو المعهد الذي أسسه الإمام الفاطمي الحاكم سنة ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٥ م. ودُعي بدايةً دار الحكمة. وفي زمن المؤيَّد تحوَّل هذا المعهد إلى وزارة للتثقيف الديني ولتنظيم شؤون الدعوة. وهو يقع في حرم القصر الملكي[١٢] وكانت تُناط بداعي الدعاة مهام عدة في هذا المضمار.[١٣] فهو الذي يعلِّم المبتدئين

(١١) قطب الدين، **المؤيّد في الدين الشيرازي**، ص٣٧٥ف، إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، جزء ٧، ص ٨١ف.

(١٢) هالم: **قَسَم الموالاة الإسماعيلي**، ص١٠٩.
قطب الدين: **المؤيّد في الدين الشيرازي**، ص٧٨، هامش رقم ١٢٧.
من أجل دار العلم، انظر: بول والكر في كتابه:

'Fatimids Institutions of Learning, *Journal of the American Research Center in Egypt*, 34 (1997), pp. 179-200.

وانظر أيضاً: هاينز هالم في كتابه:

The Fatimids and their Traditions of Learning, (London, 1997), pp. 71-78.

أمّا المصدر الأكثر أهمية بالعربية فهو من كتاب المقريزي: **الخطط**، الجزء الأول، ص٤٥٨-٤٦٠.

(١٣) من أجل المزيد من التفاصيل حول هذه المواضيع انظر تتمة رقم ٢ التي تشتمل على وظائف الداعية، بحسب الرسالة الموجزة التي دوّنها الداعية أحمد بن إبراهيم النيسابوري.
انظر أيضاً:

Klemm, *Die Mission*, pp. 200-204.

الذين ينهون دراستهم بقَسَم الولاء أو ما يعرف بالعهد أو الميثاق. وكان في عداد المتدربين نساء إلى جانب الرجال في حال نجحوا في أول مرحلة من مراحل تثقيفهم يواصلون التدريب في مراحل عدة. وفي المرحلة (المؤلفة من الذكور فقط)[١٤] يستطيع أن يترقّى الفرد من رتبة مستجيب إلى رتبة مأذون أي مساعد الداعية. ثم يتحوّل إلى مكسِّر ليصل إلى رتبة الداعية الكاملة، الذي يحق له أن يعلِّم وينشر الدعوة.

وكان يجب على داعي الدعاة أيضاً أن يقوم بتعيين أفرادٍ ينتقيهم من نخبة الدارسين لتُناط بهم مهام خاصة ومسؤوليات كبيرة، كمثل قيادة الجزر السريَّة أو العلانية خارج حدود الدولة الفاطمية.

ومن مهام داعي الدعاة أيضاً استقبال الأشخاص من هذه المقاطعات البعيدة، وتدريبهم وتلقينهم معرفةً خاصةً ومنحهم الخبرات وإعطاؤهم الإرشادات والتوجيهات المناسبة.

أمَّا المهمة الأكثر علانية وشمولية لداعي الدعاة فهي التي تضطلع بتدوين وتلاوة المواضيع في مجالس الحكمة. وتلاوة الخطب في المساجد والبلاط الملكي كل أسبوع.

نعرف أنه خلال فترة حكم المستنصر (٤٢٧-٤٨٧ هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤ م) كانت المجالس تعقد كل يوم خميس في القصر ويوم الجمعة بعد الصلاة للعامة في جوامع العاصمة.[١٥] قال المؤرخ الفاطمي المُسَبَّحي أنه كان يتم عقد المجالس لعددٍ من الطبقات المختلفة من الناس. وكان الرجال يُفصلون عن النساء:

كان الداعية يقيم جلسات مطوَّلة في البلاد حيث يعيد قراءة ما قرأه

---

(١٤) إن الاستثناء الوحيد لاختيار امرأة في موقع الداعية في الدعوة الفاطمية هو ملكة اليمن الصليحية: الملكة السيّدة حرّة، المذكورة في هذا الفصل.

(١٥) هالم: **قَسَم الموالاة الإسماعيلي**، ص١٠٨.

سابقاً على المتدرِّبين ويجمع الضرائب التي نصّ عليها الدين. ثم يعقد الداعية جلسة أخرى للمتدرّبين وأخرى لأهل البلاط والرسميين من ذوي المناصب العليا؛ هذا، بالإضافة إلى كل من له علاقة بالقصر كالخدم أو الذين يشغلون وظائف أخرى. ثم كان هنالك جلسات للأشخاص البسطاء والغرباء عن المدينة، وجلسة أخرى للنساء في جامع القاهرة الأزهر، وجلسة لنبيلات القصر.(١٦)

من الواضح أن هذه المجالس الفكرية حملت نكهةً مختلفة تحت سيطرة الحكم الفاطمي؛ فالعامة والبسطاء من الناس يتلقُّون معلومات حول ظاهر الدين مستقاة من كتب القاضي النعمان الشرعية. بينما نخبة المتدرِّبين يتلقُّون معرفة الباطن المستقاة من اللاهوت الإسماعيلي وفلسفته، أو ما حفظه الداعية في عقله وقلبه.

يقول المُسَبِّحي أيضاً حول طريقة عمل المجالس والمحاضرات التي كانت تلقى فيها:

يدوِّن الداعية محاضرته في المنزل ثم يرسلها إلى المسؤول عن خدمة الدولة. وكان يستعمل كتباً يستقي منها معلوماته بعد أن تنال هذه الكتب موافقة الخليفة.(١٧)

كان داعي الدعاة مؤلف هذه المجالس، حتى حين كانت تُقرأ الخطب من قبل شخصٍ ما، كما حصل عندما كان المؤيَّد يكتب سرّاً خطب السُّنّي اليازوري الذي ترأس الدعوة لسنتين في العقد الرابع من القرن الخامس الهجري أو الحادي عشر ميلادي. بعد التدوين يُرسل نص الخطبة إلى الخليفة الذي ينبغي عليه أن يوقع على نص الخطبة كموافقة من أجل تلاوتها.

(١٦) مذكور لدى المقريزي: **الخطط**، جزء ١، ص٣٩١. أما الترجمة والتعليقات، انظر: هالم، **قَسَم الموالاة الإسماعيلي**، ص١٠٢ف.

(١٧) هالم: **قَسَم الموالاة الإسماعيلي**، ص١٠٣ (يتبع المقريزي، **الخطط**، ج١، ص٣٩١).

وكان الداعية ومعه اثنان من معاونيه في المساجد يقرأون الخطبة؛ وذلك باسم الإِمام أمام حشدٍ من جماعات مختلفة من الناس والمؤمنين.

وبفضل التدوين والتوقيع من قِبَل الخليفة والتلاوة أمام الناس حُفِظت مجموعات من هذه المحاضرات؛ هذا، بالإضافة إلى مجالس المؤيَّد، لدينا مجالس القاضي النعمان المعروفة تحت اسم تأويل الدعائم، والمجالس المستنصرية لمؤلفها أبي القاسم عبد الحاكم بن وَهْب المليجي الذي ترأس الدعوة زمناً معيَّناً خلال فترة حكم الإمام المستنصر المديدة.

المجالس المؤيَّديَّة

هي مجموعة المجالس الأكثر شمولاً ووضوحاً التي وصلت إلى أيدينا؛ مجموعة المجالس المؤيَّدية للمؤيَّد في الدين الشيرازي. وتحتوي على ثمانمئة عظة تنقسم إلى ثمانية أجزاء كل جزء يحتوي على مئة خطبة. ولكن وللأسف لم ينشر منها سوى ثلاثمئة خطبة.[(١٨)]

قام المؤلِّف اليمني حاتم بن إبراهيم الحامدي (توفي سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦٢ م) بتدوين ملخصٍ لهذه الخطب في مؤلفه «جامع الحقائق» الواقع في جزأين.[(١٩)]

بما أنه لا تُوجد دراسة تحليلية للمجالس المؤيَّدية حتى يومنا هذا، من الواضح أن ثمة أسباباً عديدة تجعلنا نعتقد أن إنجاز المؤيَّد هو إنجاز عظيم الأهمية؛ فالخطب تعكس مثل مرآة ثراء وتعددية الدين واللاهوت بحسب الطريقة الفاطمية في زمن المؤيَّد. وهي تمنح رؤية عميقة داخلية ومفصّلة للفكر الإسماعيلي الباطني، ولتأويل آيات القرآن والحديث النبوي الشريف.

---

(١٨) المجالس المنشورة في طبقتين هي في جزء ١، وجزء ٣ لمصطفى غالب (بيروت ١٩٧٤-١٩٨٤) وجزء ١ و٢ حاتم حميد الدين في طبعة (أوكسفورد وبومباي ١٣٩٥-١٤٠٧هـ/ ١٩٧٥-١٩٨٦م).

(١٩) حاتم بن إبراهيم الحامدي، **جامع الحقائق**، طبعة عبد القادر عبد الناصر، القاهرة، ١٩٧٥.

وبما أن الخطب تتوجه إلى المؤمنين فإن القصد منها هو جعل المؤمن في حالة من الوعي تخوّله إدراك كنه العقيدة الإسلامية الإسماعيلية، وإدراك تاريخ هذه الرسالة المقدّسة ونهيويّتها (إيسكاثولوجيا) وفيها أيضاً تأويل للأعياد المقدّسة مثل يوم عاشوراء يوم ذكرى الإمام الشيعي حسين بن علي (عليهما السلام) في كربلاء. والشعائر الجماعية مثل الحج وصوم رمضان. وفيها أيضاً شرح مفصّل للمواثيق اللاهوتية التي اعتمدها المؤيَّد في مواقف دينية، مثل العلاقة بين العقل وبين الشريعة. وبما أن المؤيَّد كان ضليعاً بالدين والفلسفة والجدل اللاحق بهما، فقد عكست هذه المجالس قرائن جلية عن الحياة الفكرية في العالم الإسلامي في القرن الخامس هجري أو الحادي عشر ميلادي.

من أهم ما نجده في هذه المجالس مقتطفات من رسائل المؤيَّد إلى المفكِّر الإِنساني والوجودي فيلسوف المعرَّة الأعمى، أبي العلاء المعرِّي، حول نباتيَّته، وقد حصلت المناظرة بينهما عندما كان المؤيَّد في حلب خلال حملة البساسيري.[٢٠]

وكما ذكر ناشر المراسلات إحسان عباس، فإن الرسائل تُظهر صلب النزاع السياسي القوي؛ بما أن الناسك السوري صاحب الشعبية والاستقطاب الكبيرين أبا العلاء المعرِّي كان مناهضاً للفاطميين الذين كانوا في تلك الحقبة يسيطرون على شمال سوريا وعلى وجه التحديد على مدينة معرَّة النعمان مدينة أبي العلاء.[٢١]

---

(٢٠) **المجالس** رقم ٦١٣-٦١٨ طبعة ملخصة في كتاب حاتم بن إبراهيم الحامدي: **جامع الحقائق**، جزء ٢، ص ص٢٢٧-٢٤١، والمراسلة الكاملة نشرها إحسان عبّاس في **رسائل أبي العلاء المعري**، الجزء الأول، (بيروت والقاهرة ١٩٨١)، ص ص٨٣-١٤٠. الترجمة الإنكليزية لدى:

D.S. Margoliouth, Abu'l - Ala- al-Ma'rri's Correspondence on Vegetarianism', *Journal of the Royal Asiatic Society*, 1902, pp. 289-332.

وفي المجالس أيضاً، مختارات من ردود المؤيَّد على «كتاب الزمرُّد» للفيلسوف الليبرالي أو الهَرْطُوقِيّ كما يعتبره المسلمون؛ ابن الراوَندي الذي عاش قبل قرنٍ من زمن المؤيَّد وبقي تأثيره واضحاً.[٢٢]

وفي المجالس أيضاً ردود على خصوم المؤيَّد الفكريين والدينيين أي الغُلاة،[٢٣] أهل الرأي كالمعتزلة والفلاسفة وأعضاء الطوائف الإسلامية الأخرى وأبناء الطوائف الأخرى غير الإسلامية.

المؤيَّد كمعلّم لناصر خُسَرو

كتب الداعية ناصر خُسروْ وهو شاعر وفيلسوف إيراني، قصيدة يمتدح فيها مزايا المؤيَّد كمعلّم؛ سافر خسروْ (٣٩٤-٤٦٥ هـ/ ١٠٠٤-١٠٧٢ م.) إلى مصر ينشد المعرفة بعد أن مرّ باختبارٍ روحيّ تركه في حالة من الحيرة الشديدة؛ ولا بدَّ من أنه حطَّ رحاله في العاصمة القاهرة في عين السنة التي وصل المؤيَّد فيها إلى مصر (٤٣٩ هـ/١٠٤٧ م). أقام ناصر في القاهرة مدة ثلاث سنوات وتلقّن مبادئ الدعوة على يد المؤيَّد الذي سهر على تعليمه وتدريبه وقد تعهّده شخصياً (قبل أن يُعيّن داعي دعاة سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٩ م). سنذكر ههنا مقاطع من قصيدة خسرو الطويلة التي تصوّر زيارته إلى مصر بما أنها صورة حقيقية (ولو أن فيها صوراً مجازية واستعارات) حول جهد المؤيّد الخلاّق.[٢٤]

يفتتح قصيدته بالبيت التالي: «أيها العالِم الذي جاب أخطار الدنيا». وتتحدث أولاً عن اختبار ناصر في عالم البحث الروحي الذي حدا به ليغادر

---

(٢١) إحسان عبّاس، **رسائل**، ص ص٨٥-٨٧.

(٢٢) **المجالس** رقم ٥١٧-٥٢١. الحامدي: **جامع الحقائق**، جزء ٢، رقم ٨٤-٨٨.

(٢٣) مثلاً الدروز الذين يقدّسون الإمام الفاطمي الحاكم.

(٢٤) ترجمة و. إيڤانوف: **مسائل في قصة ناصر خسرو**، (بومباي، ١٩٥٦)، ص٢١-٤٠ مع بعض التعديلات لدى هنسبرغر في كتابه **ناصر خسرو**، ص٥٥-٦٩.

موطنه ويعزم على القيام برحلة إلى الغرب.

ثم نهضت من مكاني وبدأت رحلتي
تركت منزلي من دون ندم، خلّفت ورائي حديقتي وكل ما اعتدت على رؤيته
لقد أخذت معرفةً من الفارسي، العربي، الهندي، التركي من أهل السند، بيزنطيا، ومن يهودي، من كل إنسان؛
من الفيلسوف، من ألمانيّ (أتباع المانوية) من الصابئي (أتباع المجوس الصابئة في حرّان)، من الملحد
استعملت بحسب ما يهمني مع الكثير من الإصرار
غالباً ما نمتُ الليل برمّته على صخور قاسية
ولا سقف فوق رأسي سوى السحاب.
الآن أجذّفُ، أسبحُ مثل سمكة في البحر،
الآن أحلّق عالياً في السماء فوق أعلى من الجوزاء.
الآن عبرتُ بلداناً حيث الماء جليد كصفحة من الرخام
والآن عبرت بلداناً أرضها حارّة كأتّون
في البحر، في البرّ حيث لا طرق ولا مسالك،
عبر التلال وصحراء رملية عبر الجداول والأهوار
والآن أعبر وحبل الجمل على كتفي مثل جمّال حقيقي
وأنا أحمل متاعي على كتفي حملاً ثقيلاً.
هكذا همتُ من مدينة إلى أخرى، وأنا أتعلّم،
رحلتُ أبحث عن الحقيقة من ذلك البحر إلى تينك الأرض.(*)

(*) هذه ترجمة للقصيدة عن الإنكليزية، وبالإنكليزية تُرجمت عن اللغة الفارسية.

يقدم خسرو في القصيدة لوحةً جميلةً حول وصوله إلى القاهرة، هذا المكان الذي يعتبره بمثابة منزله الروحي، ويشاطره هذا الشعور عدد كبير من الإسماعيليين في تلك السنوات.

لا بُدَّ من أن يكون المؤيَّد قد شعر هو الآخر بمثل هذه الأحاسيس والانفعالات عندما وصل كلاجئٍ من موطنه إلى المدينة التي أودع فيها كل هذه الوعود بغدٍ أفضل:

وبعدها أتى ذلك النهار عندما وصلت إلى باب المدينة
التي
أضواء السماء عبيدها، وكل ممالك الأرض تخضع لها.
حضرتُ إلى المدينة التي تشبه حديقةً مليئة بالفاكهة والورود
داخل جدرانها المزيَّنة وباحاتها المزدانة بالأشجار،
وحقولها التي تشبه قطعاً من النسيج الثمين،
ونبعتها ذات الماء الحلو كالعسل
تشبه الكوثر[٢٥]
المدينة التي منازلها فضائل
الحديقة التي تجسد صنوبراتها العقل،
المدينة التي يتشح فيها المتنورون بالديباج (الذي لم يحكه رجل أو امرأة)
إنها المدينة التي قال لي فيها عقلي عندما وصلتها:
هنا عليك أن تبحث عن الذي تحتاج إليه،
لا تعبر قربه بعجلة.

---

(٢٥) ينبوع الجنة.

أمَّا اللقاء مع معلِّمه الروحي المستقبلي فهو يصفه بصورٍ مجازية تتناول المؤيَّد:

وذهبتُ إلى حارس الباب وقلتُ له عن مبتغاي.
فقال: «كفَّ عن القلق، فالجوهرة موجودة في المنجم.
تحت أفكار هذا العالَم نجد محيطاً من الحقائق
فيه لآلئ ثمينة كما الماء الزُلال.
إنها سِدرة المُنتهَى، فوق النجوم الملتمعة.
لا بل إنَّها الجنة عينها، وكلُّها جميلات تأسرن القلوب
وأنا أسمع ذلك ظننتُ أنه رضوان(٢٦) بذاته.

تتواصل القصيدة بحوارٍ بين الرجلين الإيرانيين، الأول هو الباحث عن الحكمة أما الثاني فهو شافي الأنفس:

لطالما صعقتني كلماته الحكيمة وعلياؤه الرائع
ثم قلتُ له: روحي ضعيفة ومتعبة.
لا تنظر إلى جسدي القوي ووجنتيَّ الزهريتين،
فأنا لا أتجرَّع دواءً قبل أن أختبره
عندما أشعر بالألم، لا أعود أفكر وأصغي إلى ما
هو غير قانوني.
قال هو: لا تقلق، أنا هنا لأشفيك.
اخبرني عن كل شيء، صِفْ لي الألم.
فبدأت أسأله عن الأشياء التي كانت في البداية
والأشياء التي في النهاية.

---

(٢٦) الملاك حارس بوابة الجنة.

وعن نظام العالم الذي هو أساس الأشياء كما هي الآن؛
وما هي البذرة وكيف تتشكّل الأجناس.
سألت عن كلّي القوة، المكتوب والمصير؛
وكليهما لا ينفصلان عن بعضهما بتاتاً.
ولكن كيف لأحدهما أن يسبق الآخر؟
سألته عن عمل الليل والنهار ـ كيف أن
الشحاذ يصبح غنياً، وكيف قضاء الظلمة؟
سألت عن الأنبياء (وتناقض رسالاتهم).
وسبب منع شرب الدماء وتجرُّع النبيذ.
ثم تحرَّيت عن تأسيس الشريعة.
ولماذا نصلّي خمس مرَّات
وسألت عن الصوم الذي أمر به الرسول
خلال الشهر التاسع من السنة. . .

تتواصل أسئلة خسرو؛ ثم يصف طريقة الشّفاء بما فيها تلقُّنه التعاليم الباطنية على يد معلّمه المؤيَّد:

عندما ذكرتُ كل هذه الأسئلة، رفع الحكيم يده؛
ولامسَ بها صدره.
بوركت هذه اليد وهذا الصدر مئة مرة!
قال: سأمنحك الدواء المجرّب والمختبر،
لكن عليَّ أن أضع ختماً على فمك
ثم بعث هذا الدليل الحكيم بطلب شاهدين شرعيَّيْن
العالم والإنسان (الكون الأكبر والكون الأصغر)

وكل ما يمكن أكله وشربه.
عبَّرتُ عن قبولي ثم قام واختتم على الدواء،
أعطاني جرعةً حتى أتناولها كمزيجٍ مغذٍ.
اختفى عذابي، وتحرَّر لساني
تحوَّل وجهي المصفرّ إلى قرمزي من الفرح
رفعني من التراب إلى السماء كزمرُّدة.
كنتُ تراباً واستحلت عنبراً ثميناً.

يتكلم خسرو الآن عن احتفال العهد. ثم يتعمَّق في شعره حول تحوُّله الروحي مستعملاً محسناته البديعية التي يحبها عن تحوّله إلى زمرُّدة.

هو الذي أمسكني بيدي وقادني نحو يد الرسول لأتلوَ العهد
تحت الشجرة المسحورة عينها، المحمَّلة بالظل والثمر.
هل سمعتَ يوماً أن البحر يأتي من النار،
أم أن الثعلب يصبح أسداً؟
للشمس طاقة تحويل الحجر إلى زمرُّدة
وما من قوىً في العناصر تستطيع تحويلها من جديد
إلى ما كانت عليه -
أنا الآن مثل هذه الزمرُّدة وهو مثل الشمس
الذي بنوره يضاء هذا العالم المظلم.
لا أستطيع من حسدي أن أقول لكم اسمه في هذه القصيدة.
ما أستطيع أن أقوله لكم هو أن أفلاطون كان ليصبح بالكاد
واحداً من تلاميذه.
إنه معلّم وشافي الأنفس، ومؤيّد

للدين، بواسطة اللّه.[٢٧]
بالكاد نستطيع أن نتخيَّل أحداً يعادله
في الحكمة والمعرفة.
لتزدهر المدينة الذي هو بذاته يقف حارساً لبابها!
ولتصل السفينة بأمان التي هو قبطانها!
أنت يا من شعرك العقلاني هو أساس الحكمة!
أنت يا من تحت وصايتك يتحول العلم إلى فرق عسكرية
مرصوصة!
أنت يا من عظمة باب معرفتك قد نصبت معسكرها!
أطلب أن أبعث لك تحيات عبدٍ مطيع
تحيات دائمة ولامعة كجوهرةٍ مشعَّةٍ مثل قمر...

وبعد مقطع طويل من المدائح، يصل ناصر إلى مديح معلّمه الديني الذي لن ينساه؛ في الجزء الأخير من القصيدة:

تحية إعلاء إلى الذي حرَّرني
معلّمي، شافي روحي، الحكمة والمجد المتجسدان.
أنت يا وجه الحكمة، جسدك الفضيلة وقلبك الحكمة.
أنت يا معلّم البشرية وفخرها!
هذا الذي وقفت في الماضي أمامه في معطفي القطني
هذا الرجل صاحب الوجه الشاحب.
لم تلثم شفتاي سوى يديه

(٢٧) ينسب الشاعر استعماله لقب المؤيِّد (بكسر الياء) إلى شرف انتسابه إلى معلّمه المؤيَّد (بفتح الياء) في الدين.

والحجر الأسود وقبر الرسول
لمدة سنوات بقيتُ خاشعاً لصورة الرسول المباركة.[٢٨]
لستّ سنوات مكثتُ أنتظر كخادم على باب الكعبة.
أينما حللت لبقية حياتي، سأستعمل قلمي والحبر والورق
لأعبّر عن امتناني لك.
طالما ستبقى أشجار السرو تترنَّح في الريح،
سندعو لعبادة حضور الإِمام كما الحديقة تزنِّرها أشجَار السرو![٢٩]

عاد ناصر خسرو إلى بلخ (قرب مزار الشريف الحالية) سنة ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢ م حيث بدأ عمله كداعية، ولا ريب أنه كان حجَّة الرسالة الإسماعيلية في منطقة خراسان برمّتها كما يقول هو بنفسه. وتوسّع قُطر نشاطه إلى المقاطعات الموجودة على شاطئ بحر قزوين. وعندما افتضح أمره من قِبَل سُنّة بلخ، أصبحت حياته مهدَّدة بعد أن اتُّهم بالهرطقة، فذهب يبحث عن ملجإٍ في وادي يوماغان في منطقة بَدَخشان الجبلية (وهي مقاطعة تقع إلى الشمال الشرقي من أفغانستان) وسط جبال البامير حيث عمل وعاش تحت رعاية أمير إسماعيلي مستقلٍ يدعى أبو المعالي علي بن الأسد، إلى يوم مماته.

بقي طوال هذه المدة على اتصال مع مركز الدعوة الإسماعيلية في القاهرة في عهد رئاسة المؤيَّد للدعوة. جاوز تبشير خسرو نهر آمو داريا إلى شمال بَدَخشان (في طاجكستان في الوقت الحاضر) وما وراء النهر.

(٢٨) هذا يعود بالذكر إلى الإمام المستنصر.
(٢٩) هنسبرغر: **ناصر خسرو**، ص٦٠-٦٩؛ انظر أيضاً إلى تحليلها للوصف والمحسنات البديعية في أقسام القصيدة، ص٦٩-٧١.

ونجد حتى يومنا هذا بعض الجماعات الإسماعيلية الصغيرة في منطقة تبشير خسرو، حيث يطلق عليه محلياً لقب شاه سعيد أو «بير ناصر خسراو»، كما وجدنا مؤلفاته الشعرية والفلسفية والدينية محفوظة هناك وكلها مكتوبة باللغة الفارسية وفيها أفكار وتلميحات عن المؤيَّد وتعاليمه.[٣٠]

دور المؤيَّد في دعوة الإسماعيليين الطيبيين

ثمَّة تأثيرٌ كبير من تعاليم المؤيَّد؛ نجد آثاره في جماعة الإسماعيلية الطيبيَّة في اليمن وغوجارات (غرب الهند) وقد بقيت مستمرة حتى يومنا هذا. حصل ذلك بسبب نقلٍ منتظم لتعاليم الدعوة وأدبياتها إلى اليمن خلال الفترة التي كان فيها المؤيَّد داعي دعاة.

سنة ٤٥٤ هـ/ ١٠٦٢ م. أرسل علي الصُلَيْحي، مؤسس السلالة الصُلَيْحيَّة في اليمن، بعثة برئاسة قاضي القضاة لَمَك بن مالك الحمَّادي، إلى القاهرة.

أمضى المؤيَّد خمس سنوات وهو يلقِّن القاضي لَمَك العقيدة الإسماعيلية في دار العلم. وقام الداعية بجمع عددٍ لا بأس به من المخطوطات التي تحتوي على أدبيات الدعوة الإسماعيلية حتى يتمَّ إرسالها إلى اليمن. لدى عودة لَمَك إلى اليمن تبوَّأ منصب الداعية في تلك المنطقة من العالم. وبواسطة المخطوطات التي جلبها معه من القاهرة، ترأس المؤسسة التي سهرت على استمرار التراث الإسماعيلي الذي حوفظ عليه بتقوىً بالغة في مكتبات الطيِّبيين في اليمن والهند إلى يومنا هذا.[٣١]

خلال مدة إقامته في مصر، تلقى لَمَك ومجموعته التعليمات التي تقضي بتأسيس قاعدة للدعوة الإسماعيلية تتمركز على الشاطئ الغربي للهند.

---

(٣٠) فرهاد دفتري، **تاريخ موجز**، ص١٠٣ف.

(٣١) حسين الهمداني: **الصليحيُون**، القاهرة، ١٩٥٥، ص٢٦١-٢٦٥ الذي يذكر الأعمال =

وبعد عودة البعثة إلى اليمن، أرسل ثلاثة دعاة من أعضاء البعثة إلى غوجارات، إلى حيث سبقهم دعاة آخرون، كانوا قد بدأوا نشاطهم وأسسوا جماعات صغيرة من المؤمنين.

إبَّانُ حكم محمود الغزنوي السُنّي الصارم، تعرّض إسماعيليو الهند للاضطهاد ولكن لم يُقطع دابرهم بشكل كامل.

وعلى هذه الأرض التي كانت في الأصل متهيّئةً لتلقي الدعوة، بدأ رسل لَمَك التبشير وأحرز نجاحاً باهراً في استمالة التجار المحليين، أي هنود البهرة. ومنذ ذلك الحين وهذه الجزيرة الإيمانية الجديدة تحتفظ بروابط متينة مع الدولة الصُلَيْحِيَّة، التي واظبت على إدارة شؤون الهند الدينية وتواصلت معها تحت عناية الإمام المستنصر في القاهرة.[٣٢]

إن العلاقات بين الفاطميين والدولة الصُلَيْحِيَّة موثّقة بصورةٍ كثيفة في عدد من الرسائل مبعوثةً من ديوان الإنشاء في القاهرة إلى الحكام في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية. في رسالتين تعودان إلى سنة ٤٦١ هـ/١٠٦٩ م. يُذكر المؤيَّد ملقباً بعصمة المؤمنين وصفيِّ أمير المؤمنين ووليّه.[٣٣]

إن أوامر الدين والصداقة الحميمة بين مصر واليمن وتالياً مع البرّ الهندي تفتح مجالاً جديداً للتقليد الفكري الإسماعيلي والذي كان مثمراً بشكلٍ كافٍ ليبقى على قيد الحياة في فترة الفوضى والانحدار اللذين أصابا الإمبراطورية الفاطمية.

= التي جلبها المؤيّد معه إلى اليمن بواسطة القاضي لَمَك. انظر: بونا والا، *Bibliography*، ص١٣٣-١٨٤.

(٣٢) الهمداني: **الصُلَيحيون**، ص٢٢٤-٢٢٧.

(٣٣) المستنصر بالله: **السجلات المستنصرية**، رقم ٥٥ و٦١، ص١٨٠ف، ٢٠٠ف؛ حسين الهمداني: رسائل المستنصر بالله في:
Bulletin of the School of Oriental Studies, 7(1993-35), pp 307-324.

بينما شهدت مصر انحداراً بطيئاً، وصلت دولة الصُلَيْحِيين إلى أعلى مرتبة في ميدان الفكر والثقافة الدينية خلال فترة حكم الملكة أروى بنت أحمد الملقَّبة بالملكة السَّيدة حرَّة. وكانت أروى أول امرأة تبلغ مرتبة حُجَّة في تراتبية الدعوة الإسماعيلية سنة ٤٧٧ هـ/ ١٠٨٤ م.(٣٤)

حصل ذلك بعد مُضيّ سبع سنوات على وفاة المؤيَّد. عَقيب ذلك وبسبب التحولات العنيفة والتدهور في مصر، فضَّلت الملكة أروى أن تقطع علاقاتها مع الدولة الفاطمية.

سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠م. بعد أن اغتيل حفيد المستنصر «الآمر» في القاهرة، رفضت الملكة أروى الاعتراف بخليفته؛ ابن عمه الحافظ، وادَّعت أن القيادة الروحية والدينية هي من حق الطيِّب؛ ابن «الآمر» والطيِّب ما يزال في سن الطفولة. بعد أن اختفى الطيِّب خلال القلاقل التي أعقبت وفاة والده، بقيت أروى تناصر حقَّه في الإمامة. وأعطت مهام القيادة الروحية لداعية مطلق بانتظار ظهور الطيِّب في المستقبل.

عندما أَفَلَت سلالة الصُلَيْحيين، تناوب على منصب الداعية المطلق كل من بقي على قيد الحياة من جماعة الطيِّبيين في حَرَاز ونجران. سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م. انتقل المنصب إلى جماعة غوجارات. بعد وفاة الداعية المطلق السادس والعشرين سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٨٩م. انقسمت جماعة الطيبيين الدَعَوِيّين ومركزهم الهند والسليمانيين في اليمن.

بعد هذا الانقسام، بقي التكريم للمؤيَّد كونه صلة الوصل والمحفِّز لهذه التقاليد الدينية الصلبة المتواصلة من مصر الفاطمية إلى طيِّبيي اليمن والهند.

(٣٤) فرهاد دفتري: سيدة حرّة: **ملكة اليمن الإسماعيلية الصُلَيحيّة** في:
Gavin R.G. Hambly, ed, *Women in the Medieval Islamic World* (New York, 1998), pp. 117-130.

حول سلالة الصُليحيين، راجع: فرهاد دفتري: **تاريخ موجز**، ص١٠٤-١٠٦.

وحتى يومنا هذا بعد مرور أكثر من ألف سنة ما تزال جماعة الطيِّبيين تعتبر المؤيَّد سلفاً روحياً بامتياز.(٣٥)

وفاة المؤيَّد

يمكننا أن نعتبر المؤيَّد صفوة التقليد الفاطمي الفكري؛ ففي خلال العقد الأخير من حياته، تعرضت الدولة الفاطمية لسلسلة من الاهتزازات السياسية والاقتصادية تركت بصماتها على حركة تقدم الدولة مما أدى إلى حالةٍ من عدم الأمان الداخلي وبالتالي انهارت كل حركات التقدم والإنتاج الفكري.

خلال السنوات ٤٤٠هـ/ ١٠٥٠م و٤٥٠هـ/ ١٠٦٠م، نشبت صراعات عرقية بين فرق الجيش الفاطمي، ونجد في هذه الفرق تنوعاً إثنياً كبيراً؛ فهنالك البربر والديالمة والأتراك والأفارقة.

اضطر المستنصر بعد ثورة الفرق التركية إلى استدعاء «بدر الجمالي» وهو قائد أرمني يعمل تحت إِمرة الفاطميين في سوريا، لكي يبسط سلطة الدولة ويعيد الأمن والقانون إلى نصابهما. حالما وصل مع جيشه إلى القاهرة سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٧٤م. سحق الثورة بسرعة فائقة. ثم بعد ذلك تسنَّى لبدر الجمالي أن يحتكر قيادة كل إدارات الدولة الفاطمية وأخذ بيده مهام المناصب القانونية، الدينية، والمدنية. تمتعت القاهرة آخر عشر سنوات من حكم المستنصر الذي دام ستين سنة، بهدوء وازدهار وذلك حتى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، بسبب سلطة بدر وجبروته.(٣٦)

لكن، على ما يبدو، تسبب القمع العسكري الذي مارسه بدر الجمالي وسلطته المطلقة بإيقاف حركة التقدم والخلق في الثقافة الدينية والأدبية

(٣٥) ملخص حول الإسماعيليين الطيبين؛ في هالم: **الشيعية**، ص١٩٣-٢٠٥.

(٣٦) بخصوص الأزمات السياسية والاقتصادية في مصر والحكم العسكري لبدر الجمالي، انظر: دفتري: **تاريخ موجز**، ص١٠٥ف.

الفاطمية. وقبل وفاة المؤيَّد بشهرين مُنح بدر الجمالي لقب «هادي دعاة المؤمنين».[37] مما يشير بوضوح أن منظمة الدعوة أصبحت الآن خاضعة للعسكر. وهكذا كان المؤيَّد آخر أعظم علماء الدعوة الدينية الفاطمية في دولة الفاطميين.

توفي الداعية الأعظم المؤيَّد في الدين الشيرازي في واحد من الأيام العشرة الأوائل من شهر شوال سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م. وهو في عامه الثالث والثمانين أو الرابع والثمانين.[38]

وكونه داعي دعاة فقد ووريَ الثرى في مكان إقامته وعمله أي دار العلم في القاهرة. كما قام الإمام المستنصر بنفسه بتَرَؤس مراسم جنازة الداعية الأمين الذي خدم الدعوة مدة خمسين سنة من حكم المستنصر.[39]

---

(٣٧) المقريزي: **اتعاظ**، جزء ٢، ص٣١٩؛ قطب الدين، **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٩١.

(٣٨) قطب الدين: **المؤيد في الدين الشيرازي**، ص٩١، بحسب **عيون الأخبار**، لِـ إدريس عماد الدين، ص٧.

(٣٩) المصدر نفسه، حول دفن المؤيّد في دار العلم؛ انظر أيضاً المقريزي: **الخطط**، ج١، ص٤٦٠.

الخاتمة

لهذه الدراسة هدفان. يتجه الهدف الأول إلى إعطاء نظرة معمَّقة عن حياة وإنجازات هذا العلاَّمة الفاطمي اللامع، الداعية والسياسي من خلال تقديم أعماله، بالإضافة إلى عمل دؤوب وهو جمع المعلومات حوله والتي نجدها هنا وهناك في ملفات ووثائق وأعمال تأريخية حديثة. ونرمي على الخصوص إلى دراسة أعمال حسين الحمداني حول الدعوة الفاطمية، وهو الذي يعتبر أن سيرة المؤيَّد في الدين، هي مصدر غني بالمعلومات الشخصية عن المؤيَّد وعن تاريخ الدعوة الفاطمية وكيفية تنظيمها ومسارات عملها وأهدافها.

وبما أن هذه السيرة الذاتية تغطي جزءاً مهماً من حياة المؤيَّد في الدين المهنية والتي تمتد من عشرينيات إلى خمسينيات القرن الخامس الهجري، فكان من الجائز لنا استعمال مشاهدات وتقارير المؤيَّد كدليل شخصي لنا نستند إليه في التجوال عبر الحِقب المهمة من حياته الخاصة وحياته المهنية وإنجازاته. ونأخذ مثلاً على الخوص الجزء الأول من السيرة، الذي يتعامل مع نجاح المؤلف وصعوده في السُدَّة الفاطمية وأُفول نجمه في بلاط الأمير البويهي أبي كاليجار في شيراز، وقد أثبتت هذه المعلومات صحتها ليس فقط من باب كونها سرداً شخصياً لداعية ملتزم وطموح بل لكونها أيضاً مصدراً

لمعلومات مهمَّة عن أحداث سياسية حصلت في القرن الخامس الهجري، أي القرن الحادي عشر الميلادي.

إن تقرير المؤيَّد حول مهمته في البلاط البويهي، يلعب دور الرائي الذي يعرض أحوال فترة زمنية وديناميكاتها السياسية المرتبطة بحياة إنسان ومصيره الشخصي. من هذا المنطلق، في إمكاننا بالاستنتاج أن نقرأ هذه السيرة كعملٍ تاريخي يلقي الضوء على العلاقات المتبادلة بين الفاطميين، العباسيين، والبويهيين عشية بدأت الكماشة السلجوقية تشدُّ وثاقها بسرعة فائقة وبداية اجتياحها مناطق نفوذ الدولة البويهية والعباسية، انطلاقاً من وسط آسيا إلى وسط إيران والعراق.

أمَّا الهدف الثاني من كتابنا فهو يقتضي إجراء عملية بحث وتقييم لما تتضمَّنه سيرة المؤيَّد من معلومات تاريخية حول مهمته في مجال الدعوة. هل أخبرنا هذا الداعية الفاطمي الحقيقة الخالصة ولا شيء غير الحقيقة؟ أم أنه كان يتحرك تحدو به أسبابٌ خاصة، ليعطي أوصافاً حول الأحداث التاريخية في شيراز أو منحىً خاصاً أو توجهاً يجعل القارئ في يومنا الحاضر يرى التاريخ في ذلك الزمن بشكل معيَّن أو بقيمة خاصة؟

في سبيل الحصول على تشخيصٍ حقيقي من خلال طرح هذه الأسئلة ومحاولة الإجابة عليها، ظهرت معطيات معقَّدة مختصة بهذه الأحداث ومتعلقة بهذه المعطيات، سنحاول في هذه الخاتمة أن نعطي تلخيصاً للنتائج التي توصلنا إليها.

أولاً، نرى أن الجزء الثاني من السيرة، الذي ينقل إلينا خيبة أمل المؤيَّد بُعَيْدَ وصوله إلى بلاط الخليفة الإمام المستنصر، يعطينا دليلاً حول النوايا التي كانت لديه في ملجئه عندما كان يدوِّن حيثيات مهمته الفاشلة في شيراز ومطامحه الحقيقية حيالها. ففي كل الأحوال كان لدى المؤيَّد أسبابٌ وجيهة وموجبة في آن جعلته يفصح عن مهمته ويضعها تحت أنوار مؤاتية، بما أن بعض الرسميين الأنانيين في البلاط الفاطمي، أرادوا منع سلسلة

تدرُّجه في الدعوة الفاطمية وإيقاف نشاطه الديني ـ السياسي في القاهرة؛ وهو خادم الإمام الوفي الأمين. ومن خلال تدوين مذكرات مهمته في شيراز في هذه المرحلة البائسة من إقامته في القاهرة، أراد المؤيَّد أن يظهر للإمام مدى وفائه ويقنعه بصلابة ولائه له وللعقيدة الفاطمية، ومدى إنكاره لذاته لأجل عزَّة القضية ورفعتها.

أراد بذلك أن يبلِّغه شخصياً عن نجاحه الذي لم يكن له نظيرٌ في وقتٍ سابق، في بلاط البويهيين في فارس؛ ثم روى المخاطر والمتاعب التي واجهها من أجل تحقيق مطامحه.

ثانياً، هذا الافتراض يمكن أن ندعمه من خلال المكتشفات التي فتحت بُعداً جديداً في تقرير المؤيَّد؛ فإذا قمنا بمقارنة بين تقريره مع «الرسالة الموجزة الكافية في آداب الدعاة»، التي يصف فيها زميله ومواطنه أحمد بن إبراهيم النيسابوري (من نيسابور) القواعد الأخلاقية والمهام التي ينبغي على الداعية الفاطمي أن يضطلع بها؛ ويبدو أن المؤيَّد قد التزم بها وهو يصف سلوكه الشخصي؛ فقد تقيَّد بهذه القيم والمثل الإسماعيلية؛ المطلوبة في الدعوة. نستطيع في الواقع أن نقرأ مذكرات المؤيَّد حول مهمته على أساس أنها تطبيق لنظريات النيسابوري وتعليماته في الإطار التاريخي الذي عاش فيه المؤيَّد وناضل في البلاط البويهي إبَّانُ حكم الأمير أبي كاليجار. وبقولٍ آخر، يحمل الجزء الأول من السيرة معانيَ مبطَّنةً يهدف المؤيَّد من خلالها أن يبرهن على القدرات الهائلة، التي يتمتع بها والتزامه الغيري المجرّد كليّاً من الأنانية وعمله المثالي من خلاله إحساسه بالواجب خلال إتمامه لمهامه الخطرة في إيران؛ فالفشل الذي لحق بهذه المهمة لم يكُ من خطإِ الدَّاعية المتحمّس كما هو ظاهر في التقرير، بل إنَّ كل ما حصل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعارضة الدينية والسياسية والحرب التي شنَّها السُنَّة الذين نقلوا نشاطهم إلى شيراز وبغداد عاصمة العباسيين.

ثالثاً، إن تشخيصاً كهذا للكوامن الباطنة في نصِّ الأفكار والقوانين

التي تبنى عليها الدعوة الفاطمية، لا يُسيءُ إلى قيمة سيرة المؤيَّد بأي شكل ولا يُنقص من قدرة هذه السيرة على أن تكون مصدراً للتاريخ حول الجزء من حياته الذي قضاه في شيراز. وحالما نقوم بإحاطة الأحداث التي هبَّت في تلك المنطقة والأحداث العالمية ذات الطابع السياسي والديني، نصل إلى نتيجة أن ما نقله إلينا المؤيَّد في الدين قابلٌ للتصديق في كل حيثياته وأن نصَّه منطقي ومتكامل إلى حدٍّ بعيد.

كما نعلم أيضاً أن العلاقة بين أبي كاليجار وبين الخليفة العباسي انقطعت بعد أن عقد الخليفة معاهدة صلح بينه وبين أمير الأمراء البويهي جلال الدولة في بغداد. فمن ناحية، كان أبو كاليجار على استعدادٍ ليتنازل عن مطالبته بقيادة العاصمة العباسية قيادةً عسكرية؛ ومن ناحية أخرى، رفض الاعتراف بخصمه القديم جلال الدولة وهو يتبوَّأ هذا المنصب الذي يتوارثه الأمراء البويهيون. لقد صُكَّت العملة في تلك الحقبة حاملة اسم أبي كاليجار مقروناً بلقب شاهنشاه أي ملك الملوك، الأمر الذي يُذكي المطالبة التقليدية بالاستقلال لدى البويهيين. في الوقت عينه، كان ميزان القوى شرق الإمبراطورية يتأرجح بشكل خطر بسبب غزوات السلاجقة. وكان الغَزنَويُّون قد فقدوا خُورَسان، أما الديالمة الكاكهويين فكانوا يقاتلون لأجل بقائهم السياسي؛ فيما كان قلب الإمبراطورية العباسية مهدَّداً من قِبَل التركمان.

في أواخر سنة ٤٣٠هـ/ ١٠٤٠م، تمكن المؤيَّد من استمالة أبي كاليجار إلى القضية الإسماعيلية وتأمين اصطفافه إلى جانب فاطميي مصر.

وفي ظل عزلة حاكم فارس البويهي والتهديد السياسي الذي يحاصره من كل جهة، نفهم أنه أظهر تفهماً جدياً ونيةً قويةً لإقامة حلف مع الحكم الفاطمي القائم في الغرب. وهكذا نجد أنه ما من سبب يدفعنا إلى الشك في أن المؤيَّد قد أخذ على عاتقه إتمام مهمة سياسية في بلاط البويهيين. وحالما أصبح معلم الأمير في الشؤون الدينية، بدأ يمارس دور الوسيط السياسي. وقام عندها بإطلاق الخطوة الأولى في رحلة التقريب بين أبي كاليجار وبين

الفاطميين وذلك من خلال رسالة رسمية من قِبَل الأمير البويهي إلى البلاط الفاطمي.

بَيْدَ أن السيرة تُظهر أيضاً أن القضية ما لبثت أن انتهت. ويخبرنا المؤيَّد كيف أن السُنَّة عارضوا بشدَّة الحلف الناشئ مع الفاطميين من قِبَل الأمير الثائر. فقام أتباع الخليفة العباسي من بين أصحاب المراتب العليا وذوي النُّفوذ بتجييش العسكر التركي ومِلْءِ صدور المواطنين بالشَّحْنَاءِ لكي يحتجوا استنكاراً لهذا الحلف الفاضح - بالنسبة لهم - ولكي يتألَّبوا على الخصوص على المؤيَّد في الدين ومناصريه أي العساكر الديالمة. وفي هذا المضمار أيضاً في إمكاننا أن ننظر إلى تقرير المؤيَّد على أساس أنه يحمل مصداقية كبرى، نظراً لأنه في ذلك العصر الذي شهد إعادة بناء القوى السُّنيَّة، كانت تلك القوى قادرة على منع أي حاكم بويهي (بعد عضد الدولة) عن التفلُّت والتحرُّر من القيود والإيديولوجيات السياسية والدينية الحاضرة آنذاك والتوجه إلى الفاطميين في القاهرة (هؤلاء الهراطقة على حدّ زعم أهل السُنَّة). من أجل ذلك جنّد في شيراز كما في بغداد كل من في إمكانه أن يضغط على الأمير أبي كاليجار المنشق سياسياً؛ والمستقل برأيه.

بعد أن نكون قد قارنّا المعلومات لدى المؤرخين العرب والفرس بما كتبه المؤيَّد نستطيع أن نصل إلى الاستنتاج التالي: إن الداعية وهو المتحمِّس أشدّ الحماسة استطاع أن يستغلَّ الصراع السياسي الذي واجهه أبو كاليجار. وإذا أردنا الحكم على دعوة المؤيَّد في فارس من خلال نظرة المؤرخ نستطيع أن نحكم بأنها كانت بمواجهة ديناميكات إقليمية أدت بدايةً إلى نجاح منقطع النظير، ومن ثم فشلت المهمة فشلاً ذريعاً.

لكن متى كنّا في حالةٍ من غموض نتيجة عدم وجود المعلومات التاريخية - بعيداً عن معلومات الداعية المثالية والشخصية في سيرته - تصبح سيرة المؤيَّد التاريخية تائهة في حال من انعدام اليقين. وهذه الحال من عدم اليقين تلحق بالنهاية السعيدة التي يدَّعيها المؤيَّد في خاتمة سيرته؛ وهذا الأمر

لعب دوراً سلبياً في مصلحة المؤيَّد الشخصية. وكما يقول في الجزء الأخير من القسم الأول للسيرة، إن خصومه السابقين في شيراز أعدموا بعد أن تآمروا على الحاكم، فأصبح أبو كاليجار حرّاً ليعيد تنفيذ خطته القديمة وهي عقد حلف بويهي - فاطمي كما يفيدنا المؤيَّد. عَقيب تلك الأحداث اتصل الأمير البويهي بأستاذه السابق في القاهرة يعتذر منه على ما سبَّبه له من إذلال ومهانة ويطالبه بإعادة ربط ما انفك وإقامة معاهدة صداقة بين الطرفين.

تفيدنا المعلومات التاريخية المستقاة من تلك السنوات عن نجاح الحملات التركمانية العسكرية، وكيف أن فرسانهم تمكَّنوا من خرق عمق الأراضي العباسية وهدَّدوا الخلافة تحت زعامة عشيرة السلاجقة. بعد وفاة جلال الدولة، تبوَّأ أبو كاليجار منصب أمير الأمراء في العاصمة بغداد، ومرةً أخرى ارتبط بعلاقات مودَّة مع الخليفة العباسي، ولكن كان تهديد التركمان لجنوب إيران سبباً دعا أبا كاليجار إلى الانسحاب من بغداد ويعود إلى أدراجه إلى قصره الملكي في مسقط رأسه شيراز؛ حيث وقَّع معاهدة سلام مع الغزاة سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م.

هل نستطيع أن نصدِّق المؤيَّد ونصدِّق ما رواه حول إرسال أبي كاليجار الرسالة التي تكلَّمنا عنها في مثل هذه الأوضاع؟ لا نستطيع أن نجيب على هذا السؤال. لكن إذا تناولنا الأمر من زاويةٍ أدبية، نستطيع أن نلاحظ ما ذكره الداعية حول نهاية خصومه وقد وصف ذلك بلغة المنتصر المهلل بعد أن لحق الذلُّ بهؤلاء الأعداء وكيف وصلته رسالة الأمير من شيراز؛ وبذلك تنتهي حلقات القصة التي بدأت أحداثها في مقدمة سيرته. هكذا يكون قد أعلن للقارئ أن نهاية قصته الدرامية أخذت طابع المفاجأة، وبالتالي ظهرت نعمة اللّه ورحمته الخافية على العباد في ظلِّ معرفة دينية لا نظير لها. هذا يعني بعبارةٍ أخرى، أنه وبسبب تدخُّل ربّاني في مسار الأحداث، سيقوم اللّه عزّ وجلّ ويؤكّد على الدعوة الفاطمية، وبشكلٍ خاص يوافق على دعوة خادم

اللّه الأمين المؤيَّد في الدين الشيرازي الذي نذر نفسه أكثر من أيِّ إنسان آخر تقريره وهو يتوخَّى من عمله هذا أن ينال في ما يناله تلك الترقية الموعودة منذ زمنٍ بعيدٍ فيحظى بأعلى مرتبة من مرتبات الدعوة، لذلك اختار «حقيقةً تاريخيةً كبرى» تندرج في إطار أدبي يحثُّ كوادر البلاط الفاطمي غير المصدقين وحتى المستنصر على تصديقه والإقرار بإنجازاته العظيمة والاعتراف بقدراته الخارقة. هنا نقع على الخط الذي يقسم بين الإيديولوجية الدينية وبين الحقائق الدنيوية، وقد أصبح مبهماً غير محدد التقاسيم، وينتهي أيضاً بحثنا عن دور الداعية الفاطمي المؤيَّد في الدين؛ في مجال التاريخ، في الجزء الأول من حياته المهنية.

في القسم الثاني من السيرة المؤيَّدية التي تبدأ على شكل رسالة إلى صديقٍ حميم، نرى المؤيَّد الآن وقد أصبح موظفاً في مرتبة عالية جداً في الدولة الفاطمية، بَيْدَ أنه يصف لنا البطء الشديد والأوهام التي عاناها في مرحلة انتظار تعيينه حتى قُبِلَ من كبار موظفي الدولة وتمَّ الاعتراف به. نراه بعد ذلك يستعمل نقداً شجاعاً وحقيقياً ليصف لنا الوضع السياسي السائد في البلاط الفاطمي والصعوبة الواضحة لدى الخليفة الإمام الشاب ليتعامل مع هذا الوضع الشائك.

لكن بالرغم من الهزائم ومشاعر الكبت والإحباط تمكَّن المؤيَّد شيئاً فشيئاً من التقرُّب من الإمام. وفي فترةٍ من فترات حياته المهنية أصبح الكاتب السرِّي لخطب رئيس الدعاة ورئيس وزراء البلاط الفاطمي. لكنه لم يكن ممتنَّاً امتناناً كاملاً، فهو لم يفلح بعدُ في الوصول إلى مركز قيادة الدعوة كما كان يصبو منذ البداية.

إذا قرأ المؤرخ هذه المعلومات، لن يجد سبباً يدعوه للشك حول صحة هذه المعلومات «الداخلية»، التي يفصح عنها المؤيَّد لقرَّائه. ولو أن هذا التقرير قد يظهر بصورة التقرير الشخصي جداً، فهو يعوِّض عن الفراغ الذي تركه المؤرخون من خلال إعطاء معلومات جافّة وشكلية؛ إذ إنَّ

معلومات المؤيَّد تحمل معاني عديدة وفيها تفاصيل إنسانية حول الزمان والمكان.

تواصل السيرة عَقيب ذلك سرداً بشكل موجز حيثيات تقرير حول مهمة المؤيَّد في شمال سوريا والعراق، حيث كان ينبغي عليه أن يبني حلفاً بين الحكام المحليين بمواجهة السلاجقة؛ وذلك من خلال ثورة القائدة البساسيري التي أعطت أملاً كبيراً في تشكيل حركة مناهضة. يحتاج هذا الجزء من السيرة إلى إعادة دراسةٍ وتحليل ليُصار إلى موضعته في مكانه المناسب بين المزيد من حشد المعلومات التأريخية؛ ولو أنه يقودنا زمنيّاً إلى مراحل مهمة من حياة المؤيَّد المهنية، يبقى هذا الجزء خلاصةً لمفاوضات سياسية ومجموعة توثيقية لرسائل تمَّ تبادلها بين المؤيَّد المبعوث الكامل الصلاحيات وبين الحكام في مقاطعات شمالي سوريا والعراق المعرَّضين طوال الوقت لضغطٍ شديدٍ وتهديد الاجتياح التركماني؛ وبالتالي لتأسيس السيادة السياسية السلجوقية في العالم الإسلامي السُّنّي.

إنها وثائق بالغة الأهمية ولا ريب، تلقي الضوء على السياسة الفاطمية في المقاطعات وفي سياستها الخارجية على حدٍّ سواء. وهذه المعلومات أيضاً كفيلة بأن تمنحنا نظرة داخلية معمَّقة إلى السياسة البرغمائية القصيرة النظر التي أنتجها قادة القبائل المحلية في عصر شهد تبدلات جذرية عظيمة داخل وعلى تخوم أراضي الخلافة العباسية.

في خاتمة المؤيَّد لسيرته، ؛ نقرأ عن نهاية مهمته الخاصة في سوريا والعراق، وكيف يحتفل بانتصار الثائر البساسيري الذي، ولمدة سنة، احتلَّ بغداد وأرسل الخليفة العباسي إلى المنفى وأقام الخطبة لصالح المستنصر في عاصمة العباسيين وفي المقاطعات المحيطة بها.

يشكِّل هذا الحدث من وجهة نظر المؤرخ، مرحلةً قصيرةً تعمُّها الفوضى في بداية حقبة السلاجقة وهي حقبة مضطربة على المستويين العسكري والاجتماعي على حدٍّ سواء. لكن بالنسبة للداعية المؤيَّد الذي

تغمره حماسة منقطعة النظير، فإنَّ هذا الحدث يشكِّل انتصاراً مهنياً كبيراً له ونجاحاً مهماً على المستوى الشخصي، بما أن عدوَّه اللدود الوزير العباسي ابن المُسلِمة، الذي كان شخصياً وراء عملية طرده من فارس قد أُذِلَّ إذلالاً شديداً وأُعدم خلال هجمة البساسيري العنيفة.

أخيراً، وبالعودة إلى القاهرة، حصل المؤيَّد على المنصب بشكل مفاجئ؛ هذا المنصب الذي ما انفكَّ يصبو إليه من حين وصوله إلى عاصمة الأئمة الفاطميين سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، بحيث أصبح داعي الدعاة لدى المستنصر وحافظ على منصبه إلى حين وفاته سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م. هكذا أصبح في إمكان المؤيَّد في الدين الشيرازي أن يضع خاتمةً لحياته الغاصَّة بالأحداث، وهي حياة زاخرة بالتحولات والمغامرات وذلك في سنِّ الثالثة والثمانين أو أربعة وثمانين، حيث كان يحظى باحترامٍ كبيرٍ ومهابةٍ شديدةٍ ثمينة قمينةٍ بشيخٍ جليلٍ ومهاب الجانب في القاهرة.

أرجو أن يساعد هذا الكتاب الضئيل في فهم وتقدير علاَّمة ورجل دين وأدب وسياسة من عظماء الحقبة الفاطمية.

الملاحق

الملحق ١

أعمال المؤيَّد في الدين الشيرازي

في هذا الملحق لائحة بأعمال المؤيَّد في الدين المعروفة والتي حوفظ عليها في أماكن عدة، بما في ذلك مكتبة مؤسسة الدراسات الإسماعيلية في لندن. انظر إلى البيبليوغرافيا لمزيدٍ من المعلومات حول الطبعات والترجمات والدراسات حول نصوص معيَّنة. يمكن أيضاً أن نجد عناوين إضافية حول البيبليوغرافيا والمخطوطات في هذه المصادر أدناه:

قطب الدين، بضعة طاهرة: «المؤيَّد في الدين الشيرازي مؤسس تقليد جديد في شعر الدعوة الفاطمية». محاضرة دكتوراه، جامعة هارفرد، ١٩٩٩، ص٣٤١-٣٤٩ (بيبليوغرافيا كاملة حول أعمال المؤيَّد الأكثر شمولية من إعداد قطب الدين).

بوناوالا، إسماعيل؛ «بيوببيبليوغرافيا الأدب الإسماعيلي»، ماليبو كاليفورنيا، ١٩٧٧، ص١٠٣-١٠٩.

غاسيك، آدم، «كاتالوغ المخطوطات العربية في مكتبة معهد الدراسات الإسماعيلية»، لندن، ١٩٨٤، ج١.

كورتيز، ديليا، «المخطوطات الإسماعيلية والعربية الأخرى: كاتالوغ مفصّل بالمخطوطات في معهد الدراسات الإسماعيلية»، لندن، ٢٠٠٠.

كورتيز، ديليا، المخطوطات العربية الإسماعيلية: «مجموعة الزاهد علي

في مكتبة معهد الدراسات الإسماعيلية»، لندن، ٢٠٠٣.

محاضرات

المجالس المؤيدية

مجموعة من ٨٠٠ محاضرة (المجالس) في ثمانية أجزاء كُلُّ مئة محاضرة في جزءٍ تتناول مختلف المواضيع وعلى الخصوص حول التأويل الإسماعيلي، الأخلاق، اللاهوت، الفلسفة والنهيويَّة بما في ذلك التفسيرات الباطنية للقرآن والحديث.

ألقى المؤيَّد هذه المحاضرات في مجالس الحكمة في القاهرة.

المسألة والجواب

المسائل السبعون في التأويل

سبعون سؤالاً وجواباً تتعامل مع التفسير المجازي للقرآن والحديث ومجموعة من المواضيع.

مسائل سأل عنها الأمير أبو حامد بن المظفر بن علي للمؤيَّد

ثلاثة أسئلة وثلاثة أجوبة عن التوحيد؛ العقل والروح بعد الموت، تُنسب للمؤيَّد.

دراسات قصيرة عن الحقائق

شرح المَعَاد

الابتداء والانتهاء

رسالة قصيرة تتعامل مع المسائل النهيويَّة، كمثل قدوم القائم، الروح، الثواب والعقاب، الملائكة وعودة الروح إلى مكانها الأصلي.

السيرة

السيرة المؤيَّدية

مذكرات حول إنجازات المؤيَّد واختباراته في خدمة الخليفة

الإمام الفاطمي المستنصر، وتشتمل على جزءَيْن وخاتمة كما وصفناها في هذا العمل.

الجزء الأول: المؤيَّد كداعية في شيراز، نجاحه المؤقت في إقناع الحاكم البويهي أبي كاليجار بالدعوة الفاطمية، رحلته الأخيرة إلى مصر (كتبها بين ٤٤٣هـ-٤٤٨هـ/ ١٠٥٢م-١٠٥٦م).

الجزء الثاني: المؤيَّد في بلاط الفاطميين في القاهرة (٤٣٧هـ/ ٤٣٨هـ-٤٤٨هـ أي ١٠٤٥م-١٠٥٦م. مهمته كمبعوثٍ فاطمي إلى شمال سوريا ليوحِّد بين شيوخ القبائل البدوية وبين الثائر التركي البساسيري بمواجهة السلاجقة (٤٤٨-٤٥٠هـ/ ١٠٥٦-١٠٥٨م) (كتبها ما بين ٤٤٩ و٤٥٠هـ/ ١٠٥٧-١٠٥٨م).

الخاتمة: احتلال البساسيري لبغداد وإقامة خطبة الجمعة باسم الفاطميين في بغداد عاصمة العباسيين (٤٥٠-٤٥١هـ/ ١٠٥٨-١٠٦٠م) كتبها عَقيب ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م.

الشعر

الديوان

مجموعةٌ من ٦٢ قصيدةً طويلةً أو قصيرةً، تعبِّر عن كلِّ التعاليم الإِسماعيلية عبر جميع أنواع القصائد من وصفٍ ومديحٍ ومناجاةٍ ووصفٍ للذات.

صلوات

الأدعية المؤيديّة

مجموعة من الصلوات متنوعة في الطول والقصر يتوجه بها إلى اللّه في أيام الأعياد الدينية وأدعية مرتبطة بالحقائق من وضع المؤيَّد.

المقامات الإِثنا عشر ليوم عرفة وهو دعاء البلاغ لسيدنا المؤيَّد في الدين الشيرازي.

مجموعة من الأدعية لربما هي جزء من الأدعية المؤيديَّة المذكورة آنفاً.

مناجاة لسيدنا المؤيَّد

مجموعة أخرى، لربما تكون جزءاً من الأدعية المؤيديَّة.

المُسبَّحات السبع

سبع صلوات لسبعة أيامٍ من الأسبوع.

مناظرة

رسائل أبي العلاء المعرِّي

مناظرة المؤيَّد عن النباتية مع الفيلسوف والشاعر السوري الزاهد أبي العلاء المعرِّي. وأيضاً في المجالس المؤيَّدية جزء ٥ المجالس ١٣ ـ ١٨.

ترجمة

بونيادي تأويل

ترجمة المؤيَّد الفارسية لكتاب القاضي النعمان «أساس التأويل» وفيه الشرح الإِسماعيلي لقصص الأنبياء المذكورة في القرآن.

مؤلفات منسوبة للمؤيَّد عن طريق الخطأ

نهج العبادة

يُنسب خطأً للمؤيَّد

نهج الهداية للمهتدين

ينسب خطأً للمؤيَّد ولكن فيه العديد من الاستشهادات مأخوذة من المجالس.

الملحق ٢

التراتبية الهرمية والتربية للدعوة الفاطمية

الرسالة الموجزة الكافية في «آداب الدعاة»: جزء ملخّص من رسالة أحمد بن إبراهيم النيسابوري

تعتبر رسالة النيسابوري من أندر وأهم المصادر الإسماعيلية التي تتعامل مع أخلاقيات وتنظيم الدعوة الفاطمية.[١] ثمة فصل واحد في «كتاب الهمّة في آداب أتباع الأئمة»، ألّفه القاضي النعمان الذي توفي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م. قبل عقود من ظهور كتاب «الرسالة» الذي يتعامل مع متطلبات أهداف ومسؤوليات الدّاعية الإسماعيلي. وبسبب التشابه بين محتوى الكتابين والألفاظ المشتركة، نشعر أن النيسابوري الذي ألّف كتابه عند نهاية القرن الرابع هجري أي العاشر الميلادي، قد بنى على القاضي النعمان في فصله القصير.[٢]

---

(١) للمزيد من المعلومات عن النيسابوري وعمله المهم، راجع الفصل الرابع وهامش رقم ٦ في الأسفل. راجع أيضاً: هالم:

The Fatimids and their Traditions of Learning, Chapter 5, 'The Organization of the da'wa', pp 56-70.

وانظر أيضاً: دفتري: **تاريخ موجز**، ص٩١-٩٣.

(٢) كتاب **الهمّة في آداب أتباع الأئمة**، طبعة كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٨.

لقد كان المؤلّف داعيةً هو الآخر إبَّانُ حكم الخليفة الإمام الفاطمي العزيز والخليفة الحاكم،[٣] وهو يتوجه إلى الرسل الإسماعيليين العاملين خارج حدود الإمبراطورية الفاطمية. وهكذا نجد أن محتوى الكتاب هو أدب متخصص للمحترفين في الدعوة الفاطمية من بين الرسل أو أهل الحكم. وكما سبق لنا أن ذكرنا في الفصل الرابع نعتبر أن ثمة احتمالاً كبيراً في أن يكون المؤيَّد قد عرف بعمل مواطنه الفارسي الذي سبقه في الدعوة والقادم من مدينة قديمة وشهيرة هي مدينة نيسابور في شمال شرق إيران.

بالإضافة إلى مسائل مطلوبة ومهارات خاصة يجب أن يتحلّى بها الدَّاعية الفاطمية وخلقية خاصة، هناك شرح للتراتبيَّة الهرمية في الدعوة، وفيها ما يدعى بالحدود المهنية كما يصفها النيسابوري؛ فهذه المناصب تشتمل على تراتبية أرضية وسمارية بحسب اللاهوت الفاطمي وفلسفتهم المنطلقة من مفاهيم الأفلاطونية الحديثة. يصل شرح هذه المفاهيم إلى ذروته في كتاب «راحة العقل» للاهوتي والفيلسوف العظيم حميد الدين الكرماني توفي سنة ٤١١هـ/ ١٠٢٠م، وهو الذي شغل منصب رئيس دعاة إبَّانُ فترة حكم الإمام الحاكم. عمل هذا العلاَّمة الكبير القادم من كرمان قرب مقاطعة المؤيَّد جنوب شرق إيران عندما قدم إلى عاصمة الفاطميين على وضع نظرية فلسفية قائمة على خلاص الروح البشرية من خلال المعرفة الروحية.[٤] في

أما الترجمة الإنكليزية الملخصة فهي:

J. Muscati and A.M., Moulvi.

مختارات من القاضي النعمان، كاراتشي، ١٩٥٠.

انظر أيضاً: فصل ٣، هامش رقم ٩.

(٣) انظر فصل ٣، وبونا والا، **بيبليوغرافي**، ص 21f.

(٤) دفتري: **تاريخ موجز**، ص٨٩؛ ولمزيد من التفاصيل انظر دراسة:

Paul. E. Walker, *Hamīd al-Dīn al-Kirmanī: Ismaʿīlī Thought in The Age of Al-Hakim*, (London, 1999).

نظام الكرماني تتطابق الدعوة على الأرض مع النظام الكوني. في شرح النيسابوري نجد أهميةً كبرى في إقدامه على إلقاء الضوء على داخل نظام الدعوة وهكيليتها؛ ولو أن شرحه بسيط وعملي مقارنة بفلسفة الكرماني المثالية؛ فقد أصبح مؤلفه هذا واقعاً حقيقياً في تاريخ الفاطميين.

ممَّا لا شك فيه أن ما وضعه النيسابوري بين أيدينا يعكس واقع الدعوة التراتبية في عصره وعصر المؤيَّد.

في الصفحات المقبلة لخَّصتُ وترجمتُ[٥] بعض المقاطع العائدة للتراتبيَّة الهرميَّة في الدعوة؛ وما هو متعلِّق بالمواهب والمقدّرات والوظائف المُناطة بالدَّاعية والمطلوب منه تنفيذها من خلال علاقاته بالجماعة؛ وأيضاً متى كان عليه أن يختار ويعلِّم ويثقف منضوين جدداً إلى الدعوة من الذين يوضعون تحت مسؤوليته المباشرة. وغالباً ما تبدأ الجمل بالعبارات التالية: وينبغي للدَّاعية أن. . . وثمة آيات قرآنية تبرِّر وترافق هذه التعليمات.

جماعة المؤمنين: القوم

تشكِّل الجماعة الأساس الذي عليه تُبنى التراتبيَّة الهرميَّة للدعوة كما يقول النيسابوري، أما مركز اللقاء لهذه الجماعة فهو منزل الدَّاعية الذي يفتح بابه أمام كل مؤمن بمن في ذلك النساء والأطفال دون استثناء (٥٥).[٦]

---

(٥) إنني لا أترجم حرفياً، حتى ولو كان في نيّتي أن استعمل مصطلحات النيسابوري بشكل كامل.

(٦) الأرقام بين الهلالين تعود إلى المخطوط في الطبعة التي نشرتها بنفسي وتعثر عليها في كتابي *Die Mission*. أما **الرسالة** فقد حققها الداعية اليمني حاتم بن إبراهيم الحامدي (توفي سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) في كتابه **تحفة القلوب**. وكما كتب الحامدي فقد أزال المقدمة الطويلة. وفي المقدمة المختصرة التي أضافها الداعية الهندي حسن بن نوح البهروجي، تمت إضافتها إلى الجزء الثاني من الأنطولوجيا الأدبية التي تؤرخ للدعوة الإسماعيلية في **كتاب الأزهار**. هذه الرسالة تحمل عنوان: الرسالة الموجزة الكافية في شروط الدعوة الهادية. (انظر: كليم: *Die Mission*، ص٦٥ف، ٢٠٥). =

يحضر المؤمنون ليشاركوا الدَّاعية في تلاوة القرآن والصلاة (٥٨). وفي المجالس يقوم الدَّاعية بتثقيف مريديه.[٧] ويجب أن يكون جوُّ المجلس هادئاً. يحذِّر النيسابوري الدعاة من المزاح والفكاهة في تلك المجالس، ويحظر عدم التزام الجدية والتمارض والكلام غير المستحب (٥٨). على الدَّاعية أن يتأكد من سير الأمور على أسس التضامن والصداقة والاهتمام المتبادلين بين أفراد الجماعة. أما إذا قام أحدهم وتسبب بنشر العداوة والبغضاء بين الإخوة في الإيمان على الدَّاعية حينئذٍ أن ينهيه عن ذلك وله الحق حتى بطرده من المجالس وفصله عن الدعوة (٦٥). يحثُّ الدَّاعية المؤمنين على الطاعة والوفاء للإمام على أن يكنُّوا له المحبة ولا يتورَّعوا عن تقديم كل ما هو نفيس له ويمنحوه ممتلكاتهم وأرواحهم (٦٦).

ينبغي على الدَّاعية أن يهتم بحاجات المؤمنين؛ وإذا دعت الحاجة ينبغي عليه أن يلعب دور الوسيط بينهم وبين الدولة (٥٩). والدَّاعية له السلطة المطلقة في الجماعة فلا السلطان ولا القاضي لهما أية سلطة قانونية على الجماعة. أما المؤمن الذي لا يطيع حكم الدَّاعية فيعتبر شاذّاً عن الدرب القويم (٦٠).

= سنة ١٩٨٧، أعطتني وداد القاضي (من جامعة شيكاغو) بكل مودَّة الميكروفيلم الذي سجِّل عليه مخطوط الجزء الثاني من كتاب البهروجي كتاب الأزهار، وهو من مجموعة الجامعة الأميركية في بيروت. تحت الرقم (MS292. 822. B141. KA) ثم سلِّمت الميكروفيلم إلى مجموعة جامعة توبنغن في ألمانيا.

وثمة ملخص لِ رسالة النيسابوري حققه فلاديمير إيڤانوف في مقالته حول الدعاية الفاطمية (١٩٣٩).

استعمل إيڤانوف ترجمة إنكليزية للنص، وقد نشر بأعدادٍ قليلة جداً في برهانبور الهند، سنة ١٩٢٠. وكان لديه نص بالعربية. في التلخيص لا نجد مقطعاً حول الإدارة حول قَسَم الموالاة الإسماعيلي وإذا قارنا المحتوى بالنصّ العربي وبنصّي أنا، نجد العديد من الفروق.

(٧) حول **المجالس**، انظر: الفصل السادس.

ومتى قام بعملٍ سيّئ يترتب على الدَّاعية أن يعاقبه أما إذا رفض المؤمن طاعة الدَّاعية يفصله هذا الأخير عن الجماعة.

وعلى الدَّاعية أن يتيقّن من طاعة المؤمنين ومحبتهم ووفائهم للإمام؛ إذا أعلن الإمام الجهاد على أفراد الجماعة أن يتبعوه ويسلّموه أموالهم كما يودعوا أرواحهم بين يديه فنجاتهم في طاعته. وينبغي على الدَّاعية أن يشرح للمؤمنين أن الإمام لا يدين لأحد لا بل هو الذي يوزع كل شيء من أعراض الدنيا ومن العلم وهذا يعتبر هدية من طيبة خاطره ومن رحمته (٦٦). والدَّاعية أيضاً يعلّم المؤمنين حتى لا يتحولوا إلى حملٍ ثقيل على الإمام، بل عليهم أن يعبّروا عن اهتمامهم بطرقٍ ملائمة من خلال وسيط ينقل إلى الإمام مشاكلهم في الأوقات المحددة فقط. ولا ينبغي عليهم طلب المزيد من المال وإذا لم يحن الوقت المناسب لإشباع رغباتهم فعليهم أن لا يتشككوا ويحزنوا (٦٦).

وينبغي على الدَّاعية أن يستحصل من المؤمنين على موافقتهم على أفعال الإمام وذلك من خلال «التسليم لأفعال الإمام ـ عليه السلام ـ ولأوامره ونواهيه وأحكامه»؛ فالإمام هو حكيم الزمان وكل ما يفعله يفعله من باب الحكمة (٦٦، ٦٨). ومن ناحيتهم، يقوم المؤمنون بمنع كل من يخفق في إرضاء الإمام أو يعارضه في الدين والسياسة. وفي حال لم ينجحوا ينبغي عليهم إعلام الإمام حتى لا تتعقد الأمور وتفلت عن زمامها (٦٨).

في سياق المجالس المنعقدة، يحضُّ الإمام المؤمنين ليقبلوا بوضعهم كما هو بالإضافة إلى الشعور بالامتنان، كما يخبرهم عن المحن التي قد تصيبهم في المستقبل. وإذا كان الزمن الحاضر زمن فتنة وخِصام وشدائد ينبغي على الدَّاعية أن يهدّئ من روع المؤمنين ويعدهم بالفرح والثواب. إذا أوْهَى العذاب والفقر عزيمة أحد المؤمنين يجب على الدَّاعية أن يصغي إليه ويعرف مشكلته ويسانده ويأسف لأجله؛ ويعده بالمساعدة والتعويض قدر الإمكان. إذا كان الدَّاعية عاجزاً عن مساعدته، ينبغي عليه أن يعتذر ويشرح

سبب عجزه ولو أن الوقت الحاضر هو زمن شدَّة فلا ريب أن زمن الفرح مقبلٌ لا محالة هكذا يتقوَّى المؤمن في القلب والروح، فليس من عمل الدَّاعية أن يزيد على حزن المؤمن حزناً وذلك من خلال عدم منحه الاهتمام اللازم أو التكلم معه بقساوة أو يطرده زاجراً ناهراً (٦٠).

يُعلِّل سبب الانصياع للإمام من خلال ما كتبه العلاَّمة الفاطمي القاضي الشرعي النعمان (توفي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م) وذلك بالعودة إلى التقليد الذي يجد جذوره في ما قاله الإمام الشيعي جعفر الصادق (توفي سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م.): «كونوا لنا دعاة صامتين».[٨] يكرِّر النيسابوري الحديث نفسه ولكن في مناسبةٍ أخرى إذ سُئِل: «كيف إذن يا ابن رسول اللَّه... سندعو إليك ونحن صامتون؟ فأجاب: افعلوا بالطاعة... ما أمرناكم به... ودعوا ما نهوناكم عنه» (١٢). وهكذا على المؤمنين أن يدعوا من خلال أعمالهم وليس من خلال ألسنتهم لأجل الإمام، كما يقول القاضي النعمان.[٩]

اختيار النخبة

يطلب النيسابوري من الدَّاعية أن يراقب بحذر كل عضو من الجماعة وأن يصغي إلى كلامه ويقرر من منهم يصلح للدين (٣٦). أي من يتقدَّم بجدية نحو اقتبال تعاليم الدين وهو على استعداد ليتلقَّن المعرفة الدينية العليا. وعلى الدَّاعية والحال كذلك أن يختار بحذرٍ ولكي يتأكد من المرشح العتيد يجب عليه أن يتحرَّى عنه بدقة.

يشبه تحديد النيسابوري تحديد القاضي النعمان الذي يورد في كتاب الهمّة أنه يجب على الدَّاعية فوق كل شيء أن يتأكد من كل عضو من أعضاء

---

(٨) **كتاب الهمّة**، ص١٣٦. حول دور جعفر الصادق في طائفة الإثني عشرية. (حيث يعتبر الإمام السادس) والإسماعيلية الشيعية (حيث يعتبر الإمام الخامس)، راجع هالم: **الشيعية**، ص٢٩-٣١، ١٦٢ والفهرست.

(٩) **كتاب الهمّة**، ص١٣٦.

جماعته ويعرفه معرفة دقيقة. كما يجب عليه أن يعرف بالضبط ما الذي يمكن توقُّعه من كل فردٍ وإلى أي مدىً يمكن الاتكال على كل واحد من أعضاء الجماعة.

وبحسب القاضي النعمان تعتبر هذه المعرفة الأفضل بين المعارف والمهام التي ينبغي على الدَّاعية أن يجيدها في باب السياسات والرياضات.(١٠)

ومن الأهمية بمكان إذا كانت جماعة الدَّاعية في الجزر الفاطمية خارج حدود النفوذ الفاطمي، أن يقوم هذه الأخير باختيار النخب بحذرٍ شديد وبأعلى درجة من الاجتهاد (٥٢).

أمَّا اختيار المرشح فيتمُّ لكفايته وليس للعناية الشخصية التي يتمتع بها. ولا يُسمح أن يتمَّ التعيين أو الرفض بالاستناد إلى المحبة أو الكراهية للشخص (٥٣)؛ ولا يُسمح أن تمرَّر الدعوة إلى شخص أدَّى خدمةً ما، أو لأجل مكسب شخصي أو مكسب مادي أو لمآرب شخصية، أم لأن الشخص قبل الدعوة بسبب خنوع معيَّن أو عن تواضع أو خوف؛ هذه الدوافع تسيء إلى الدين والعدالة والنزاهة والصراحة تجاه اللّه ورسوله. وهذه الأسباب هي التي تصيب الجماعات الدينية عادةً بالخيبة والفشل (٥٢).

في حال أظهر المرشح طموحاً نجيباً وتجهيزاً كبيراً لقبول التأويل وهو يتمتع بالذكاء والعقلانية والاحترام الذاتي، كما أنه يعيش بحسب قوانين الشريعة، عند هذا الحدّ على الدَّاعية أن يشير إليه بالبنان ليصبح متدرِّباً (٥٠). إن الأفراد الذين يتمُّ اختيارهم من الجماعة لأجل مصلحة الدعوة هم من الأطهار في الجسد والروح والدين. ويجب على كل واحدٍ منهم أن

---

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

يكون مستقيماً بعيداً عن التطرُّف والعار. هذا دليل واضح على طبعه المتزن... وفضائل أخرى عديدة يملكها (٤٣).

وينبغي على المرشح أيضاً أن يظهر نيَّته الحسنة وحماسته (٣٦): «أمَّا إذا كنت داعية من الذين يعانون اضطراباً في شخصيتهم وتلميذك يعاني وزر نواقصك... فلا أحد غيرك يتحمل المسؤولية فكان الوزن عليكم». هذا ما يحذّر منه النيسابوري بشكل مباشر (٤٥).

العهد

يُعدُّ مؤلَّف النيسابوري مصدراً نادراً يعطي معلومات حقيقية حول العهد أو الميثاق؛ وهو القَسَم السرِّي للانخراط في الدعوة الفاطمية. يبدأ المنتسب في التدرّب وهي المرحلة الرمزية الأولى وبداية تدرُّجه في معرفة المعلومات والعقائد التأويلية للإيمان الإسماعيلي.

قام المؤلفون المعادون للفاطميين بتلفيق الأخبار حول القَسَم الإسماعيلي.[١١] نورد مثلاً على ذلك من «كتاب البلاغ الأكبر»، الذي وُزِّع بشكل واسع في الأوساط السُّنيَّة في القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي. يتكلَّم الكتاب على تسع مراحل، يتبعها المتدرب وتنتهي في الإعلان عن عدم وجود اللّه ويغرق المتدرب في الإلحاد. لقد فضح هذا الكتاب ساموئيل م. ستيرن وهاينز هالم في الآونة الأخيرة واعتبراه كتاباً يندرج في عداد كتب التزوير.[١٢] وثمة قسم مزوَّر تكلَّم عليه الشريف الدمشقي المعادي للفاطميين؛ وهو أخو محسن محمد بن علي في مؤلفه المكتوب بعد سنة ٣٧٢هـ/٩٨٣م. وهو يدَّعي أنه من سلالة محمد بن إسماعيل الإمام

---

(١١) انظر هالم: **القسم الإسماعيلي (العهد)**، ترجمة عزيزة آزودي لدى دفتري في:
Mediaeval Ismaʿīlī History and Thought, p. 91.

(١٢) S.M. Stern, 'The Book of the Highest Intiation and other Anti Imsa'ili Travesties', in: Stern, *Studies*, pp. 56-83.

الإسماعيلي.[١٣] استعمل هذا المؤلف المفقود الآن كمصدر للتاريخ الفاطمي من قِبَل مؤرخي المماليك نذكر منهم النويري، وابن الدواداري والمقريزي.[١٤]

بخلاف مؤلف النيسابوري، هناك مصدر آخر وحيد حول المعلومات الحقيقية عن العهد الفاطمي؛ وهو «كتاب المعلِّم والغلام» المنسوب لجعفر بن منصور اليمن ابن الدَّاعية العراقي وفاتح اليمن ابن حوشب.[١٥]

في بداية القَسَم يذكر النيسابوري أن ينبغي على الدَّاعية أولاً أن يكسر إيمان المتدرِّب السابق: «ويكسر عنده اعتقاده» فلا يبقي لديه أية حجة:[١٦]

> حالما يكون قد كسر إيمانه السابق ويودّ أن يمنحه العهد، تقول السُّنَّة (التقليد) أن يحصل ذلك بعد أن يكون المتمرِّن قد صام لمدة ثلاثة أيام؛ إذ ينبغي عليه هو والدَّاعية أن يكونا نقيين؛ وينبغي عليهما أن يصليا ركعتين لإتمام تطهيرهما. ثمَّ بعد ذلك يبدأ الدَّاعية بالبسملة والحمدلة يعظِّم اللَّه ورسوله والأئمة الأطهار، ثم يقدم له عهد اللَّه وملائكته ورسله وأوصيائه والأئمة عليهم السلام ومبايعة إمام زمنه كما هو مذكور في «كتاب العهد». ويحضّه الدَّاعية على الإيمان باللَّه وملائكته وأئمته الأطهار ووصيِّه أو ممثِّل الرسول محمد (صلعم) أي علي بن أبي طالب (عليه السلام) أول إمام شيعي، إلى بلوغ الإمام

---

(١٣) راجع مقدمة هذا الكتاب.

(١٤) هالم: **عهد الموالاة الإسماعيلي** (عهد)، ص ٨٤-٩٧، بما في ذلك الترجمة.

(١٥) المصدر نفسه، ص ص٩٢ف، ٩٤-٩٧، هذا النص المهم نُشر في الآونة الأخيرة بواسطة جايمس، و. موريس في:
The Master and the Disciple: *An Early Islamic Spiritual Dialogue*, (London, 2001).

(١٦) هالم: **عهد الموالاة الإسماعيلي** (عهد)، ص٩٣. أما النص الأصلي انظر:
Klemm, *Mission*, Folia 45u.-47, pp 231-233

الحاضر، كما يدعوه إلى نهل العلم الظاهر والباطن؛ ومساندة الإمام وعدم خيانته وعدم فضح أسرار الدين إلى الأشخاص غير المناسبين أو الذين لم يأخذوا بعدُ العهد. وينبغي عليه أن يصادق أصدقاء الإمام ويكون عدو أعدائه؛ وينقض الحلف مع أعدائه ويكون صادقاً مع اللّٰه ومع رفاقه؛ ومتى نقض قسَمَه أصبح في عداد الملحدين والخونة. بعد ذلك يجعل الدَّاعية المتمرِّن يقسم العهد لإِمام زمانه وله وحده دون أن يدعو الدَّاعية لنفسه بحرف واحد.

بعد أن يأخذ المتمرِّن العهد ويقدم شكره واحترامه يبدأ بتلقُّن المعرفة كما يتلقى الطفل الغذاء، ثم يلقَّن المبادئ والأصول مبدأ إثر مبدأ، لكن في بداية التلقين لا يجب أن يتحمَّل أكثر من طاقته حتى لا تختلط عليه الأمور، كما الطفل الذي يفسد إذا أعطي طعاماً بوفرة في بداية حياته. لذلك يغذِّيه الدَّاعية بعلمٍ مستساغٍ باستطاعته استيعابه، فيعلِّمه بدايةً أصول التوحيد، الإيمانَ وطاعة اللّٰه ورسوله (صلعم) والإمام كما قال اللّٰه في كتابه الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأوْلي الأمر منكم﴾ (النساء: ٥٩).

المستجيب

في معجم الألفاظ المستعمل في الدعوة الفاطمية يطلق على المتدرِّج الجديد لقب المستجيب، وهذا يعني الذي يلبّي الدعوة عندما ينادونه كما ورد في القرآن الكريم (٢: ١٨٦): ﴿أجيب دعوة الدَّاعي إذا دعاني فليستجيبوا لي﴾.

يُثَّفق الدَّاعية المتدربين في فرق منفصلة في منزله، وعملية التدريب مؤلفة هي الأخرى من عدة مراحل. كل مرحلة هي درس بحدّ ذاته. بعد أن

يلقّن الدَّاعية المستجيب معرفة اللّه الواحد، ومعارف الأنبياء والأئمة، يدرس أنواع المنازل ودرجاتها في تراتبية الدعوة المقدسة. عَقيب ذلك يتعلَّم عن الآفاق السماوية والأنفس (٤٧).

وينبغي على الدَّاعية أن لا يكون مجحفاً بل يمنح تلميذه ما يستحقه من علم (٤٨)، وينبغي عليه في الوقت نفسه أن لا يثقل عقله بمعلومات زائدة وإلاَّ يتشتت عقله وتعمّه الفوضى. من واجب الدَّاعية أن يعطي الإجابة عن كل سؤال من باب العقل والفهم بحسب درجة إدراك صاحب السؤال. أما إذا أجاب الدَّاعية تلميذه بما لا يتوافق مع فهمه ودرجته فلن يقتنع ولن تكون الإجابة سوى مضيعة للوقت. أما إذا كانت الإجابة تفوق وعي وإفهام المريدين فلن يطيقوا حملها فتفسد عقولهم. يعرف الدَّاعية الذكي مقدار معرفة المستجيب من خلال سؤاله وسيعلم بلا ريب ما إذا كان السؤال صادراً منه أو من شخصٍ آخر. ولا يجب عليه أن يجيب على كل سؤال (٤٨). إذا اقتبس المستجيب السؤال من كتابٍ أو من أي شخصٍ آخر على الدَّاعية أن يتأكَّد من الأصل كي يجيب. ثم يجيبه بحسب ما يحتاج وما يستحق. أمّا إذا لم يكن هناك من أصل ينبغي على الدَّاعية أن يخفض من مستوى الإجابة وبذلك يعرف ما إذا كانت نية السائل الاستزادة من المعرفة. وبما أنه لا يسمح للداعية أن يخيّب ظنّ التلميذ يجب عليه أن يضمن له إجابات تتناسب مع ما يستحقه السائل.

وينبغي على الدَّاعية أن يخصص وقتاً للمؤمنين البالغين، يستطيعون خلال هذا الوقت أن يستفيدوا من الدَّاعية ويطرحوا عليه أسئلة تلائم مستواهم دون عامّة المستجيبين (٤٩).

مساعد الدَّاعية (المأذون)

لا يذكر النيسابوري قَسَماً آخر يقوم به المستجيب خلال تقدُّمه في التدرُّب. لكن متى وصل المستجيب إلى مرحلة تخوّله لأن يلعب دوراً في

الدعوة في المرتبة التي تدعى (حدّ الإذن) يطلق عليه حينئذٍ لقب المأذون (٢٢).

بدايةً يبقى المأذون إلى جانب معلّمه ويعطي دروساً للمستجيبين تحت وصاية الدَّاعية (٥١) ثم يحضر المجالس الخاصة بالمأذونين (٥٠). ومن بين المأذونين يختار الدَّاعية بحذرٍ الطلاب الواعدين. وبعد الاختيار يصبح عدد المختارين قليلاً. تقام بعد كلّ مرحلة تدريب امتحانات تثبت مقدار كل مرشح ومدى استحقاقه لمرتبة أعلى (٥٠). ويملك أعضاء الجماعة الحق في الشكوى على المرشح في أي وقت كان.

ينبغي على الدَّاعية الجديد أن يحصل على رضى الجميع (٥١). لكن النيسابوري لا يوضح لنا إذا كان يعني موافقة كل الجماعة أم جماعة من الأعضاء. في جميع الأحوال إن اعتراض مؤمنَيْن كافٍ لمنع المرشح من تَبَوُّءِ مركزه في الدعوة (٥٢).

في النهاية وفي درجة معينة يترك المأذون حلقة معلّمه؛ بَيْدَ أنه يواصل عمله تحت وصاية معلّمه. إذا تمكّن من إبراز قدراته يترقى درجةً درجة حتى يصبح صالحاً ليتسلّم «ناحيةً» أو «جزيرةً» في الدعوة (٥١). لكنه الآن يتمتع بفريقه الخاص من الدعاة ويدرِّب المستجيبين والمأذونين. لكن في هذه المرحلة أيضاً تستمر عملية مراقبته واختياره. بعدما يثبت جدارته ويصبح كاملاً في كل الظروف، يعيِّنه قائد «الجزيرة» «خليفته» و«العوض منه» أي يمثِّله وينوب عنه (٥١).

في النهاية يصبح حجَّة الإمام، وحجَّة الإمام يعيش ويعمل بعيداً عن أرض الإمامة في جزرٍ خارجية كما فعل المؤيَّد في إيران. وبعد ذلك يصبح نائب داعي الدعاة المباشر (الباب) في القاهرة الذي يتلقَّى منه تعليماته.[(١٧)]

الدَّاعية المكسِّر

المكسِّر هو الذي يستجلب الناس في مناقشات دينية ليكسر عقائدهم

السابقة وقناعاتهم الدينية. وبحسب النيسابوري، يرتبط عمل التكسير بحدٍّ من حدود التراتبيَّة الهرميَّة في الدعوة (٧١).[١٨]

ولو أنه لا يذكر بشكلٍ واضح مهام وأهداف هذا الحدّ، فهو يكتب شارحاً أن الدَّاعية يرسل دعاةً يجيدون لغة سكان الجزر التي يقصدون إليها (٣٨).

وفي مكانٍ آخر من مؤلَّفه يفصِّل النيسابوري بشكل وافٍ متطلبات العمل فيقول: ينبغي على كل داعية أن يسافر ويتفقّد الجزر حتى يكون على بيِّنةٍ من طبيعة السكان وأي نوع من المعرفة يطلبونه. فيختار شخصاً من بين أتباعه ليناظر هؤلاء القوم ويكسِّرهم (٣٦).

إن مهارة المكسِّرين بحسب النيسابوري مهمة على الخصوص خلال المناقشات الدينية التي يبدأونها. ويُعمد إلى شرح مفصَّل حول أنواع المعلومات والتقنيات النافعة للداعية كالجدليات والمحسنات البديعية. بواسطة مهاراته يكسِّر الدَّاعية أعداءه مفنِّداً وهازماً دلائلهم بالحجج (١٥).[١٩]

---

(١٧) ع. همداني: «تطوُّر الهيكليّة وتنظيم الدعوة الفاطمية المساهمة اليمنية والفارسية»، **دراسات عربية**، جزء ٣، (١٩٧٦)، ص١٠١ف. أما بالنسبة لتطور المصطلحات والحجّة راجع:
W. Madelung: *'Das Imamat in der Frühen Ismailitischen Lehre'*, pp 61f.

(١٨) دفتري، **تاريخ موجز**، ص٩٨.

(١٩) انظر الفصل الرابع فوق، وهالم:
The Fatimids and their Traditions of Learning, pp 65f.

المصادر والمراجع

المصادر الأولية

بيهقي، أبو الفضل محمد بن الحسين، **تاريخ بيهقي**، تحرير علي أكبر فيَّاض، مشهد، ١٩٧١.

الحامدي، حاتم بن إبراهيم، **جامع الحقائق**، تحرير م، عبد القادر القادر العبد الناصر، القاهرة، ١٩٧٥.

حدود العالم، جغرافية فارسية، ٣٧٢هـ/ ٩٣٢م. ترجمة وشرح فلاديمير مينورسكي مع مقدمة ف. ف. بارلتولد، لندن، ١٩٣٧.

ابن العديم، كمال الدين، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، تحرير سامي الدهان، دمشق، ١٣٧٠-٨٧/ ١٩٥١-٦٨.

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، **الكامل في التاريخ**، بيروت، ١٣٨٥-٨٧/ ١٩٦٥-٦٧.

ابن البلخي، **فارس نامه**، تحرير ج. لوسترانج G. Le Strange، ر.أ. نيكولسون R.A. Nicolson، كامبردج، ١٩٢١.

ابن الدواداري، أبو بكر بن عبد اللّه، **كنز الدُرر وجامع الغرر**، جزء ٦، **الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية**، تحرير صلاح الدين المنجّد، القاهرة، ١٩٦١/ ١٣٨٠.

ابن حجر العسقلاني، **رفع الإِصَر**، لدى أبي عمر بن محمد بن يوسف الكندي، **كتاب الولاة وكتاب القضاة**. حكام وقضاة مصر مع تتمة من الإِصَر لابن حجر، تحرير Rhuvon Guest، لايدن ولندن، ١٩١٢.

ابن الهيثم، أبو عبد اللّٰه جعفر، **كتاب المناظرات**، ترجمة وتحرير مادلونغ ووالكر W. Madelung & P.E. Wlaker في كتاب: *The Advent of the Fatimids: A Contemporary Shi'i Witness*. London 2000.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، حيدر آباد، ١٣٥٧-٥٩/ ١٩٣٨-٤٠.

ابن كثير، أبو الفداء عبد اللّٰه، **البداية والنهاية في التاريخ**، بيروت والرياض، ١٩٦٦.

ابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفايات الأعيان**، تحرير إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨-٧٢.

ابن مُيَسَّر، تاج الدين محمد بن علي، **أخبار مصر**، تحرير أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٨١!.

ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة، **ذيل تاريخ دمشق**، تحرير هـ.ت. أمدروز، H.T. Amedroz، لايدن وبيروت، ١٩٠٨.

ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن مُنجب، **الإشارة إلى من نال الوزارة**، تحرير عبد اللّٰه مخلص، القاهرة، ١٩٢٥.

إدريس عماد الدين بن الحسن، **عيون الأخبار وفنون الآثار**، جزء ٧، تحرير مع ملخص إنكليزي حول الفاطميين وخلفائهم في اليمن، تأليف: أ. فؤاد سيّد، بمساعدة ب. إي. والكر وم.أ. پومرانتز. لندن، ٢٠٠٢.

جعفر بن المنصور اليمن. **كتاب العالم والغلام**، تحرير وترجمة جايمس موريس James E. Moris، لندن، ٢٠٠١.

الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، **سيرة الأستاذ جوذر**، تحرير م.

كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، ١٣٧٤-١٩٥٤، ترجمة فرنسية من قبل ماريوس كنار تحت عنوان: *Vie de l'Ustadh Jaudhar*، الجزائر ١٩٥٨.

الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، بيروت، ١٩٦٧، (طبعة جديدة للطبعة القديمة التي صدرت سنة ١٩٣١م/١٣٤٩هـ).

الكرماني، حميد الدين، **مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر اللّه، في طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها**، تحرير محمد كامل حسين، القاهرة، ١٩٦٢، ص٥٥-٦٢.

ـــ **راحة العقل**، تحرير محمد كمال حسين ومصطفى حلمي، القاهرة وليدن، ١٩٥٣.

المعري، أبو العلاء، **رسائل أبي العلاء المعري**، تحرير إحسان عباس، جزء I، بيروت والقاهرة، ١٩٨٢.

المجدوع، إسماعيل بن عبد الرسول، **فهرسة الكتب والرسائل**، تحرير علينقي مُنزَوي، طهران، ١٩٦٦.

المقريزي، تقي الدين، أحمد بن علي، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحرير جمال الدين الشيّال وم. ح. م. أحمد، القاهرة، ١٩٦٧-٧٣.

ـــ **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مطبعة بولاق ١٢٧٠/ ١٨٥٣-٥٤.

المؤيَّد في الدين الشيرازي، أبو نصر هبة الله، **ديوان المؤيَّد في الدين داعي الدعاة**، تحرير محمد كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٩.

ـــ **المجالس المؤيَّديَّة**، جزء I، وجزء II، تحقيق مصطفى غالب، بيروت، ١٩٧٤-٨٤؛ جزء I وII، تحرير حاتم حميد الدين، أوكسفورد وبومباي، ١٣٩٥-١٤٠٧/ ١٩٧٥-١٩٨٦.

ـــ **سيرة المؤيد في الدين الشيرازي**، أبو نصر هبة اللّه داعي الدعاة،

تحرير محمد كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٩.

المستنصر بالله، أبو تميم معدّ، السجلات المستنصرية، تحرير ع. ماجد، القاهرة، ١٩٥٤.

ناصر خسرو، **سفرنامه**، تحرير م. غني زاده، برلين، ١٩٢٢؛ ترجمة إنكليزية ل.و.م. ثاكستون. جنيور: Nāṣer-e Khosraw's, *Book of Travels (Safarnama)*, Albany, NY, 1986؛ ترجمة فرنسية، شارلز شيفير: *Relation du voyage de Nassiri Khosrau*, Paris, 1881.

أعيد طبعه في أمستردام سنة ١٩٧٠.

النيسابوري، أحمد بن إبراهيم، **الرسالة الموجزة الكافية في آداب الدعاة**، تحرير ف. كليم V. Klemm، *Die Mission*، ص٢٠٥-٢٧٧.

القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد، **دعائم الإسلام**، تحرير أساف أ.أ. فيزي A.A.A. Fyzee، القاهرة، ٦١-١٩٥١.

ترجمة إنكليزية لـ Fyzee، مراجعة إسماعيلي ك. بوناوالا *Ismail K. Poonawala* تحت عنوان: **أعمدة الإسلام** *The Pillars of Islam*، نيودلهي، ٢٠٠٢، جزء I.

ـــ **كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة**، تحرير كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٨. ترجمة إنكليزية مختصرة لِـ ج. موسكاتي Moscati وأ.م. مولفي: *Selections from Qazi Noeaman's Kitab ul-Himma,* or *Code of Conduct for the Followers of the Imam*. طبعة كراتشي، ١٩٥٠.

القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القاهرة، ١٣٣٢-١٣٥٧/ ١٩١٤-١٩٣٨.

سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، تحرير علي سيفيم Ali Sevim، أنقرة، ١٩٦٨، (سنوات ٤٤٨-١٠٥٦/ ٤٨٠-١٠٨٦).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرُسُل والملوك**، تحرير:
M.J. de Goeje et al. Leiden, 1879-1901.

ترجمة إنكليزية قام بها عدة علماء. تحت عنوان: *The History of al-Ṭabarī*, Albany, NY, 1985-99.

تاريخ سيستان، تحرير مالك الشعراء بَهار، طهران، ١٣١٤/١٩٣٥.

اليماني، محمد بن محمد، **سيرة الحاجب جعفر بن علي**، تحرير و. إيـڤـانـوف W. Ivanov، فـي طـبـعـة: *Bulletin of the Faculty* of Arts, University of Egypt, 4, Part 2 (1936), pp.107-133؛

ترجمة إنكليزية، و. إيڤانوف W. Ivanov في كتابه:

Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, pp.184-223.

المصادر الثانوية

Barrucand, Marianne. 'Des constructeurs de talent', in *Trésors fatimides du Caire*. Paris, 1998, pp.60-69.

Bivar, A.D.H. and S.M. Stern. The Coinage of Oman under Abū Kālījār the Buwayhid, *'Numismatic Chronicle'*, 6th series, 18 (1958), pp.147-156.

Bosworth, Clifford Edmond. *The Ghaznavids: Their Empire in Afghanistan and Eastern Iran 994-1040. 2nd ed., Beirut, 1973.*

— 'Military Organisation under the Buyids of Persia and Iraq', *Oriens, 18-19* (1965-66), pp.143-167.

Bowen, Harold. 'The Last Buwayhids', *Journal of the Royal Asiatic Society* (1929), pp.225-245.

— 'Abū Kālīdjār', *EI2*, vol.1, pp.131-132.

Bruijn, J.T.P. de. 'al-Kirmānī, Ḥamīd al-Dīn', EI_2 vol.5, pp.166-167.

Būrgel, Christoph J. *Die Hofkorrespondenz 'Aḍud ad-Daulas und ihr Verhältnis zu anderen historischen Quellen der frühen Būyiden*. Wiesbaden, 1965.

Busse, Heribert. *Chalif und Grosskönig. Die Būyiden im Iraq* (945-1055). Beirut, 1969.

Cahen, Claude. 'Buwayhids or Buyids', EI_2, vol.1, pp.1350-1357.

The Cambridge History of Iran: volume 5, *The Saljuq and the Mongol Periods,*

ed. J.A. Boyle. Cambridge, 1968.

Canard, Marius. 'al-Basāsīrī, Abū'l-Ḥārith Arslān al-Muẓaffar', *EI2*, vol.1, pp.1073-1074.

Cortese, Delia. *Ismaili and Other Arabic Manuscripts: A Descriptive Catalogue of Manuscripts in the Library of the Institute of Ismaili Studies*. London, 2000.

— *Arabic Ismaili Manuscripts: The Zāhid 'Alī Collection in the Library of The Institute of Ismaili Studies*. London, 2003.

Daftary, Farhad, *The Ismā'īlīs: Their History and Doctrines*. Cambridge, 1990.

— ed. *Mediaeval Isma'ili History and Thought*. Cambridge, 1996.

— *A Short History of the Ismailis: Traditions of a Muslim Community*. Edinburgh, 1998.

— 'Sayyida Ḥurra: The Ismā'īlī Ṣulayḥid Queen of Yemen', in Gavin R.G. Hambly, ed., *Women in the Medieval Islamic World*. New York, 1998, pp.117-130.

The Encyclopaedia of Islam, New edition. Leiden, 1960-2002.

Gacek, Adam. *Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Library of The Institue of Ismaili Studies*. London, 1984-85.

Glassen, Erika. *Der Mittlere Weg. Studien zur Religionspolitik und Religiosität der späten Abbasidenzeit*. Wiesbaden, 1981.

Gottheil, R. 'A Distinguished Family of Fatimide Cadis (an-Nu'mān) in the Tenth Century', *Journal of the American Oriental Society*, 27 (1906), pp.217-296.

Halm, Heinz. 'Der Wesir al-Kundurī und die Fitna von Nīšāpūr', *Die Welt des Orients*, 6 (1970-71), pp.205-239.

— 'Die *Sīrat Ibn Ḥaušab*. Die ismailitische *da'wa* im Jemen und die Fatimiden', *Die Welt des Orients*, 12 (1981), pp.107-135.

— *Das Reich des Mahdi. Der Aufstieg der Fatimiden (875-973)*. Munich, 1991. English trans. M. Bonner as *The Empire of the Mahdi: The Rise of the Fatimids*. Leiden, 1996.

— *Die Kalifen von Kairo. Die Fatimiden in Ägypten, 973-1074*. Munich, 2003.

— *Shiism*, tr. J. Watson. Edinburgh, 1991.

— *The Fatimids and their Traditions of Learning*. London, 1997.

— 'The Isma'ili Oath of Allegiance (*'ahd*) and the "Sessions of Wisdom" (*majalis al-ḥikma*) in Fātimid Times', in Daftary, ed., *Mediaeval Isma'ili History and Thought*, pp.91-115.

Hamdani, Abbas. *The Sīra of al-Mu'ayyad fi'd-dīn ash-Shīrāzī*. Ph. D. thesis, School of Oriental and African Studies. London, 1950.

— *The Beginnings of the Ismā'īlī Da'wa in Northern India*. Cairo, 1956.

— 'Evolution of the Organisational Structure of the Fāṭimī *Da'wah:* The Yemeni and Persian Contribution', *Arabian Studies*, 3 (1976), pp.85-114.

al-Hamdānī, Ḥusain, F. 'The History of the Ismā'īlī Da'wat and its Literature during the Last Phase of the Fatimid Empire', *Journal of the Royal Asiatic Society* (1932), pp.126-136.

— 'The Letters of al-Mustanṣir bi'llāh', *Bulletin of the School of Oriental Studies*, 7 (1933-35), pp.307-324.

— *al-Ṣulayḥiyyūn wa'l-ḥaraka al-Fāṭimiyya fi'l-Yaman*. Cairo, 1955.

Heidemann, Stefan. *Die Renaissance der Städte in Nordsyrien und Nordmesopotamien. Städtische Entwicklung und wirtschaftliche Bedingungen in ar-Raqqa und Harran von der Zeit der beduinischen Vorherrschaft bis zu den Seldschuken*. Leiden, 2002/

Houtsma, M. Th. 'Zur Geschichte der Selguqen von Kermān', *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, 39 (1885), pp.362-402.

Hunsberger, Alice C. *Nasir Khusraw, The Ruby of Badakhshan: A Protrait of the Persian Poet, Traveller and Philosopher*. London, 2000.

Institute du Monde Arabe. *Trésors fatimides de Caire*. Paris, 1998.

Ivanow, Wladimir. *A Guide to Ismaili Literature*. London, 1933.

— 'The Organization of the Fatimid Propaganda', *Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society*, New Series, 15 (1939), pp.1-35.

— *Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids*. London, etc., 1942.

— *Problems in Nasir-i Khusraw's Biography*. Bombay, 1956.

— *Ismaili Literature: A Bibliographical Survey*. Tehran, 1963.

Jiwa, Shainool. 'Fāṭimid-Būyid Diplomacy during the Reign of al-'Azīz Billāh (365/975 - 386/996)', *Journal of Islamic Studies*, 3 (1992), pp.57-71.

Klemm, Verena. *Die Mission des fāṭimidischen Agenten al-Mu'ayyad fī d-dīn in Šīrāz*. Frankfurt, 1989.

Kraus, Paul. 'Beiträge zur islamischen Ketzergeschichte. Das Kitāb az-Zummurruḍ des Ibn ar-Rawandī', *Rivista degli Studi Orientali*, 14 (1934), pp.93-129 and 335-379; reprinted in P. Kraus, *Alchemie, Ketzerei, Apokryphen im frühen Islam*, ed. R. Brague. Hildesheim, 1994, pp.109-190.

Laoust, Henri, 'La Pensée et l'action politiques d'al-Māwardī (364-450/974 - 1058)', *Revue des Etudes Islamiques*, 26 (1968), pp.11-92.

Le Strange, Guy. *The Lands of the Eastern Caliphate*. Cambridge, 1905.

Madelung, Wilferd. 'Das Imamat in der frühen ismailitischen Lehre', *Der Islam*, 37 (1961), pp.43-135.

— 'The Assumption of the Title Shāhānshāh by the Būyids and "The Reign of the Daylam" *(Dawlat al-Daylam)'*, *Journal of Near Eastern Studies*, 28

(1969), pp.84-108, 168-183; reprinted in W. Madelung, *Religious and Ethnic Movements in Medieval Islam*. Hampshire, 1992, article VIII.

Makdisi, George. *Ibn 'Aqīl et la résurgence de l'Islam traditionaliste au XIe siècle*. Damascus, 1963.

Margoliouth, David S. 'Abu'l-'Alā al-Ma'arrī's Correspondence on Vegetarianism', *Journal of the Royal Asiatic Society* (1902), pp.289-332.

Massignon, Louis, et. al. 'Taṣawwuf', *EI2, vol.10, pp.313-340.*

Poonawala, Ismaili K. *Biobibliography of Ismaʿīlī Literature*. Malibu, Ca, 1977.

Qutbuddin, Bazat-Tahera. *al-Mu'ayyad fi al-Dīn al-Shīrazī: Founder of a New Tradition of Fatimid Da'wa Poetry. Ph.D. thesis, Harvard University, 1999.*

Smoor, Pieter. 'Maghribī, Banū', EI_2, vol.5, pp.1210-1212.

Stern, Samuel M. *Studies in Early Ismāʿīlism*. Jerusalem and Leiden, 1983.

Walker, Paul E. *Abū Ya'qūb al-Sijistānī: Intellectual Missionary*. London, 1996.

— 'Fatimid Institutions of Learning', *Journal of the American Research Center in Egypt*, 34 (1997), pp.179-200.

— *Ḥamīd al-Dīn al-Kirmānī: Ismaili Thought in the Age of al-Ḥākim*. London, 1999.

— *Exploring and Islamic Empire: Fatimid History and its Sources*. London, 2002.

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

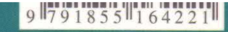
فهرس المصطلحات

يتحدَّر المؤيَّد في الدين الشيرازي من أصول فارسية. وقد برع كداعية إسماعيلي، ورجل دولة وشاعر، وتبوّأ منصب رئيس الدعوة الإسماعيلية («داعي الدعاة») في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر باللّه في القاهرة؛ مركز الدولة الفاطمية وعاصمتها آنذاك.

يتقصّى هذا الكتاب «سيرة المؤيّد في الدين الشيرازي»، ويسرد تفاصيل دقيقة تطال حياته وإنجازاته خلال سنوات كفاحه الطويلة. ويتطرق إلى محاولاته كسبَ حكام البويهيين، ورحلته إلى القاهرة وطموحه في التقرُّب من إمامها الفاطمي. كما يفصّل أيضاً رحلته إلى شمال سوريا والعراق بصفة مبعوث فاطمي مطلق الصلاحيات، ويبيِّن هدفه من هذه المهمة وكيف استطاع إنشاء حلف يجمع الأمراء المحليين بمواجهة السلاجقة الأتراك الذين نجحوا في غزو العالم الإسلامي في تلك الحقبة الصاخبة من التاريخ.

ولا تقتصر «السيرة» على تحليل حياة المؤيّد في الدين الشيرازي فقط؛ بل تعمد مؤلفة الكتاب إلى إظهار مدى أهمية «السيرة» كمصدر لتاريخ تلك الحقبة، بالإضافة إلى كونها مذكرات شخصية حميمة لداعية فاطمي كرّس حياته وفكره من أجل نشر الدعوة الإسماعيلية. كما تشكِّل «السيرة» مصدراً قيّماً وشاملاً للتاريخ الإسلامي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهي فترة حسّاسة من التاريخ الإسلامي، شهدت صراعاً سياسياً وعسكرياً محتدماً بين العباسيين والفاطميين، وبين البويهيين والسلاجقة، من أجل السيطرة على العالم الإسلامي.

ڤيرينا كليم: أستاذة في معهد الدراسات العربية في جامعة لايبزغ، ومتخصصة في التاريخ الإسلامي والأدب العربي. حاصلة على شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة توبنغن. لها سلسلة من المؤلفات حول المواضيع الإسلامية في اللغتين الألمانية والإنكليزية.





معهد الدراسات الإسماعيلية

